



جامعة الزاوية
إدارة الدراسات العليا والتدريب
كلية الشريعة
قسم التفسير وعلوم الحديث

إحياءات القصص القرآني بين عبد الكريم الخطيب وفضل عباس

إعداد الباحث: فرج عمر عبد القادر الحويج

إشراف الدكتور: حمزة مسعود الطوير
الدرجة العلمية: أستاذ

قدمت الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الإجازة الدقيقة (الدكتوراه) في قسم التفسير وعلوم الحديث

بتاريخ: 11/ جمادى الأولى/ 1447هـ - الموافق: 2025/11/02م

مُلخَصُ البَحْثِ

تَكْمُنُ أَهْمِيَّةُ هَذَا البَحْثِ فِي إِبرازِ مَنهَجِ وطَريقَةِ كَلِّ مَن عبدِ الكَريمِ الخَطيِّبِ وَفَضلِ عَباسِ فِي دَراسَةِ القِصصِ القُرْآنِي، إِذْ جَمَعَا بَينَ الأَصالَةِ وَالْمُعاصِرَةِ، وَكَذلكَ فِي بَيانِ مَرجِعِيَّتِهِما فِي دَراسَتِها، مَعَ بَيانِ أَثرِهما فِي الدَّراساتِ الَّتِي لَها اِهْتِمامٌ بِالنَّصِّ القُرْآنِي، وَالوَقوفِ عَلى الإِحياءاتِ الَّتِي تَضَمَّنَتِها بَعضُ القِصصِ، كَما تَتَجَلَّى أَهْمِيَّةُ هَذَا البَحْثِ فِي مَوضوعِهِ، أِلا وَهُوَ كِتابُ اللَّهِ - تَعالَى.

وَتَتَعَلَّقُ إِشكاليَّةُ البَحْثِ بِالإِعجازِ البَيبانيِّ القانِمِ عَلى حُسنِ التَّأثيرِ بِالتَّصويرِ المَجازيِّ، الَّذِي تَتَضَمَّنُهُ إِحياءاتُ مَشاوِدِ القِصَّةِ القُرْآنِيَّةِ، وَهَذا يُؤهِمُ التَّعاضُّ بَينَهُما فِي ظاهِرِ الأَمْرِ. فَكِيفَ يَمكُنُ التَّوفيقُ بَينَ تِلْكَ الحَقائِقِ وَهَذِهِ الإِحياءاتِ الَّتِي تَعتمِدُ المَجازَ فِي عَرضِها، وَبِخاصَّةِ أَنَّ النَّصَّ القُرْآنِي يُعَبِّرُ عَن مَشاوِدَ تاريخيَّةِ وَقَعَت، أَوْ أَنها سَتَقعُ إِخبارًا مَنَ اللَّهِ تَعالَى.

يَهْدِفُ البَحْثُ إِلى: إِدراكِ العِلاقَةِ بَينَ الإِعجازِ وَالقِصصِ القُرْآنِيِّ، مَن وَجِهةِ نَظَرِ بَعضِ العِلماءِ المُعاصِرِينَ، وَالوَقوفِ عَلى بَعضِ الإِحياءاتِ البَيبانيَّةِ فِي بَعضِ قِصصِ القُرْآنِ الكَريمِ عِندَ عبدِ الكَريمِ الخَطيِّبِ وَفَضلِ عَباسِ. وَاتَّبَعْتُ فِي هَذا البَحْثِ كَلاً مَن: المَنهَجِ الوَصفِيِّ وَالمَقالِ فِي عَرضِ بَعضِ المَسائِلِ، وَالمَنهَجِ التَّحليليِّ لِاسْتِخراجِ أَهمِّ النَّتائِجِ، وَالمَنهَجِ النِّقديِّ فِي بَعضِ القِضايا.

وَقد قَسَمْتُ البَحْثَ إِلى: مَقدِّمَةٍ، وَتَمهيدٍ، وَأربَعَةَ فِصولٍ، وَخاتِمَةٍ. فَالتَمهيدُ بِعَنوانِ: الحِياةُ العِلميَّةُ لِعَبدِالكَريمِ الخَطيِّبِ وَفَضلِ عَباسِ. وَالفِصلُ الأوَّلُ: العِلاقَةُ بَينَ الإِعجازِ وَالقِصَّةِ القُرْآنِيَّةِ عِندَ الخَطيِّبِ وَعَباسِ. وَالفِصلُ الثَّانِي: مَرجِعِيَّتُهُما فِي دَراسَةِ القِصصِ القُرْآنِيِّ. وَالفِصلُ الثَّالِثُ: إِحياءاتُ فِي قِصصِ بَعضِ الأنبياءِ وَالأُمَمِ. وَالفِصلُ الرَّابِعُ: الأَحوالُ السُّلوْكيَّةُ وَالْحِضارِيَّةُ.

وَمَن أَبرزَ نَتائِجَ هَذا البَحْثِ: أَنَّ الخَطيِّبَ قَد تَأَثَّرَ بِبَعضِ المَدارِسِ الفِكريَّةِ فِي تَقَديرِ بَعضِ القِضايا، وَأَنه قَد خالَفَ جَمهورَ العِلماءِ فِي بَعضِ المَسائِلِ. فِي حَينِ أَنَّ عَباسَ كَانتَ لَه وَقَفاتٌ عِلميَّةُ فِي تَحقيقِ عِدِّ مَن القِضايا الَّتِي كَانتَ مَنارَ خِلافٍ بَينَ العِلماءِ. وَمَن أَبرزَ النَتائِجِ: أَنه بِالرُغمِ مَن قَصَرَ بَعضُ القِصصِ القُرْآنِيِّ، حَينَ لا تَتعدَّى سِورةً مَن قِصارِ السِورِ، إِلا أَنها تُشبعُ بِالهِدايَةِ، وَتُحَقِّقُ مَقصدَها مَنَ الاِعتبارِ بِتِلْكَ الصُّورةِ المُكَنزَةِ فِي الحَدِثِ المَذكورِ بِها.

الكِلماتُ الدَّالَّةُ: الإِعجازُ، القِصصُ، الإِحياءاتُ، الإِشاراتُ.

الآية القرآنية

قال الله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ^ط
مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

سورة يوسف، الآية: (111).

الإهداء

إلى أفضل الخلق .. رسول الثقلين

(سيدنا محمد ﷺ -)

(إعظاماً لقدره الشريف وإجلالاً لجنابه الطاهر)

إلى من كانت نفسي وقاء نفسه، وصدري وعاء وده، ولساني ناشر فضله إلى روح شيخي المرّبي:

(سالم مخلوف زيدان) - ﷺ - .. (تقديراً ووفاءً وامتناناً)

إلى من أرضعتني حبّها وحنانها .. عنوان ذاتي .. وسرّ حياتي

(أمّي الغالية)

حفظها الله .. وأطال في عمرها .. (مودّةً وطاعةً وبرّاً)

إلى من كان له الفضل بعد الله تعالى في وجودي

رباني صغيراً .. ورعاني شاباً .. وساندني طوال مسيرتي العلمية

(والدي العزيز)

جزاه الله عني خير ما جرى محسناً على إحسانه .. (أدباً وإكراماً وتوقيراً)

إلى رفاق دربي ونور عيني .. إلى من ساروا معي نحو الحلم .. خطوةً بخطوة

زوجي الحبيبة .. بناتي وأبنائي الأعزاء .. حفظهم الله .. وأدام ودهم

(حبّاً وتقديراً وعرفاناً)

الشكر والعرفان

أتقدم بالشكر والعرفان إلى مشرفي على الأطروحة

الأستاذ الدكتور:

"حمزة مسعود الطوير"

كما أرفع أصدق عبارات الشكر والعرفان إلى من قدم لي يد العون في هذا البحث

الأستاذ الدكتور:

"سعيد سالم فاندي"

لما بذله من جهدٍ ووقتٍ في توجيهي لتقويم هذا البحث

كما أودُّ أن أُعبّر عن امتناني العميق إلى:

"جامعة الزاوية - كلية الشريعة"

التي أتاحت لي فرصة البحث والدراسة فيها

كما أشكر جميع أعضاء لجنة المناقشة

الذين قبلوا مناقشة هذا البحث والحكم عليه

وأخيراً أتقدم بجزيل الشكر والعرفان

إلى كل من أعانني في كتابة هذا البحث وتقويمه

فهرسُ المحتويات

رقم الصفحة	اسم المحتوى	ر.ت
أ	ملخصُ البحثِ	-1
ب	الآية	-2
ج	الإهداء	-3
د	الشكر والعرفان	-4
هـ	فهرس المحتويات	-5
1	المقدمة	-6
7	التمهيد	-7
8	الحياة العلمية لعبد الكريم الخطيب وفضل عباس	-8
8	الحياة العلمية لعبد الكريم الخطيب	-9
8	نشأته وتحصيله	-10
12	مؤلفاته وأثره العلمي	-11
17	الحياة العلمية لفضل عباس	-12
17	نشأته وتحصيله	-13
19	مؤلفاته وأثره العلمي	-14
24	الفصل الأول	-15
25	العلاقة بين الإعجاز والقصة القرآنية عند عبد الكريم الخطيب وفضل عباس	-16
25	مفهوما الإعجاز والقصة القرآنية عند عبد الكريم الخطيب وفضل عباس	-17

33	رؤيتهما في مجالات الإعجاز	-18
47	موقفهما من صلة الإعجاز بالقصص القرآني	-19
55	الفصل الثاني	-20
56	مرجعيتهما في دراسة القصص القرآني	-21
56	مصادرها من التفسير وعلوم القرآن	-22
77	مصادرها من كتب الحديث	-23
88	مصادرها الأخرى	-24
97	الفصل الثالث	-25
98	إيحاءات في قصص بعض الأنبياء والأمم	-26
100	إيحاءات في قصتي: آدم وسليمان -	-27
117	إيحاءات في قصة: يوسف -	-28
134	إيحاءات في قصص: أصحاب الكهف، وذو القرنين، وموسى والخضر -	-29
152	الفصل الرابع	-30
153	الأحوال السلوكية والحضارية	-31
154	قصة ابني آدم	-32
158	قصة طالوت وجالوت	-33
163	قصة المنسلخ من آيات الله	-34
166	قصة صاحب الجنين	-35
170	قصة السامري	-36

173	قصة قارون	-37
176	قصة لقمان	-38
179	قصة أصحاب الجنة	-39
183	قصة أصحاب الفيل	-40
188	الخاتمة	-41
190	فهرس الآيات القرآنية	-42
204	فهرس الأحاديث النبوية	-43
207	فهرس الأعلام	-44
215	قائمة المصادر والمراجع	-45
225	الملخص باللغة الإنجليزية	-46

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله حمداً يوافي نِعَمَهُ وَيَكْفِي مَزِيدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ، وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمَقْدَارِهِ الْعَظِيمِ. أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ أَجَلَ مَا أَعْمَلْتُ فِيهِ هِمَمُ الْعُلَمَاءِ الْبَحْثُ عَنْ أَسْرَارِ التَّنْزِيلِ الَّذِي عُرِفَ بِتَمَكُّنِ فَوَاصِلِهِ، وَحَسَنِ ارْتِبَاطِ أَوَاخِرِهِ وَأَوَائِلِهِ، وَالتَّقَاطُ بِدِيَعِ إِشَارَاتِهِ، وَالكَشْفُ عَنْ حَقَائِقِهِ، مِنْ الْقَصَصِ الْبَاهِرَةِ، إِلَى الْمَوَاعِظِ وَالْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ؛ لِأَنَّ الْقَصَصَ الْقُرْآنِيَّ جَاءَتْ لِنَقَرِّرَ عِدَّةَ أَهْدَافٍ وَغَايَاتٍ، إِذْ تُعَدُّ الْقِصَّةُ مِنْ أَقْوَى أَسَالِيبِ الْخَطَابِ تَأْثِيرًا وَإِقْنَاعًا، فَلَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْقِصَصُ بِأَسَالِيبٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي ثَنَائِهَا سُورَ الْقُرْآنِ وَأَيَاتِهِ، إِذْ بَلَغَتْ مَا يَرُبُّو عَنْ التُّلُثِ.

لِذَا فَقَدْ ارْتَأَيْتُ أَنْ تَكُونَ دِرَاسَتِي فِي جَانِبِ الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ، وَالَّذِي أَتَطَلَّعُ مِنْ خِلَالِهَا الْحُصُولَ عَلَى دَرَجَةِ الدُّكْتُورَاهِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَعُلُومِهِ، بِعَنْوَانِ:

(إِحْيَاءُ الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ بَيْنَ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْخَطِيبِ وَفَضْلِ عَبَّاسٍ)

أَهْمِيَّةُ الدِّرَاسَةِ:

تَكْمُنُ أَهْمِيَّةُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ فِي كَوْنِهَا تَتَعَلَّقُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْإِحْيَاءِ فِي الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ، وَعَنْ عِلَاقَةِ الْإِعْجَازِ الْقُرْآنِيِّ بِالْقِصَصِ، وَتَتَنَاوَلُ دِرَاسَةَ جِهْدِ شَخْصِيَّتَيْنِ لِهَمَا مَوْلَفَاتٌ قِيَمَةٌ فِي هَذَا الْجَانِبِ، إِضَافَةً إِلَى مَوْلَفَاتِهِمَا الْأُخْرَى فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ وَالتَّفْسِيرِ، وَالبَلَاغَةِ وَالْإِعْجَازِ، وَكَوْنِهِمَا كَانَا مِنْ الْأَسَاتِذَةِ بَعْدَةَ جَامِعَاتٍ، كَكَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ بِجَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَكَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ بِالْجَامِعَةِ الْأُرْدُنِيَّةِ، وَكَلِيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ بِجَامِعَةِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ بِعَمَّانَ، كَمَا أَنَّهُمَا كَانَا مُعَاصِرِينَ لِلتَّغْيِيرَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

أَسْبَابُ اخْتِيَارِ الْمَوْضُوعِ:

- 1- مَا لِلْقِصَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ مِنْ أَهْمِيَّةٍ، حَيْثُ شَغَلَتْ مَسَاحَةً وَاسِعَةً مِنْ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ.
- 2- بَرُورُ شَخْصِيَّتَيْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْخَطِيبِ وَفَضْلِ عَبَّاسٍ، وَمَا أَضَافَاهُ مِنْ نَقْدٍ وَتَمْحِيصٍ، وَمَا لِهَمَا مِنْ رَدُودٍ حَوْلَ مَا أُثِيرَ مِنْ شَبَهَاتٍ حَوْلَ الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ.
- 3- لَمْ أَجِدْ مَنْ تَنَاوَلَ هَذَا الْمَوْضُوعَ فِي دِرَاسَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ - بِحَسَبِ مَا أَطَّلَعْتُ عَلَيْهِ - مِمَّا دَفَعَنِي إِلَى أَنْ أُجْمَعَ مَادَّتَهُ الْمُتَفَرِّقَةَ، وَأُوزِنَ بَيْنَ عِلْمَيْنِ لِهَمَا السَّبِقُ فِي دِرَاسَةِ دَلَالَاتِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ.

أهداف الدراسة:

- 1- إبراز الجهود العلميّة لعبد الكريم الخطيب وفضل عباس في القصص القرآني.
- 2- كشف بعض الإيحاءات البيانية الكامنة في عددٍ من القصص القرآنيّ.
- 3- إدراك العلاقة بين الإعجاز والقصص القرآنيّ.
- 4- الوقوف على الاستنباطات الإيحائيّة للخطيب وعباس.
- 5- الاطّلاع على موقفهما من بعض قضايا القرآن الكريم.
- 6- موازنة آراء عبد الكريم الخطيب مع فضل عباس في جانب إيحاءات القصص، وبعض القضايا القرآنيّة.

الإشكاليّة والتساؤلات:

يعبّر النّصّ القرآنيّ عن مشاهد تاريخيّة وقعت أو أنّها ستقع إخبارًا من الله تعالى، والإعجاز البيانيّ قائم على حسن التأثير بالتّصوير المجازيّ الذي تتضمّنه إيحاءات مشاهد القصّة القرآنيّة، وهذا يؤهّم التّعارض بينهما في ظاهر الأمر.

فكيف يمكن التوفيق بين تلك الحقائق وهذه الإيحاءات التي تعتمدُ المجازَ في عرضها؟

ومن خلال هذه الإشكاليّة تولّدت بعضُ التّساؤلات:

س1: ما العلاقة بين الإعجاز والقصص القرآنيّ؟

س2: ما رؤية عبد الكريم الخطيب وفضل عباس في مجالات الإعجاز؟ وما موقفهما من صلته بالقصص القرآنيّ؟

س3: ما مرجعيّة هذين العّلمين في دراسة القصص القرآنيّ؟

س4: ما أبرزُ الإيحاءات التي حوتها قصصُ بعض الأنبياء والأمم السابقة؟

س5: ما أبرزُ الإشارات المتّصلة بالأحوال السلوكية والحضارية؟

الدراسات السابقة:

اطّلعْتُ على عددٍ من الدراسات ذات الصلة غير المباشرة بموضوع هذا البحث، يمكنُ الاستفادة منها في بعض مباحثه، تشملُ رسائلَ جامعيّةً وأبحاثًا علميّةً، غير أنّي لم أقف فيما أعلمُ على دراسة تناولت الإيحاءات في القصص القرآنيّ عند هذين العّلمين على نحوٍ خاصّ. ومن أهمّ ما وقفتُ عليه من دراساتٍ اختصّت بجانب القصّة القرآنيّة ما يأتي:

- 1- رسالة ماجستير بعنوان: القصّة القرآنيّة في دراسات عبدالكريم الخطيب (دراسة وصفية تحليليّة)، من إعداد: خولة الفيتوري محمّد الدّيب، بإشراف: د. خيريّة محمّد الجربي، جامعة الزّاوية، كليّة الآداب، قسم الدّراسات الإسلاميّة - الزّاوية - نوقشت بتاريخ: (30/05/2021م).

قامت الباحثة بدراسة تحليلية لموضوع القصص القرآني في دراسات عبدالكريم الخطيب، وذلك باستعراض آرائه حول بنية القصة وبعض القضايا المتعلقة بها، ومقابلتها مع آراء جلة من العلماء، حيث تُعدُّ دراسة الخطيب للقصص القرآني بمثابة الموسوعة التي امتازت بالشمولية، فقد أحاطت - بحسب الباحثة - بكلِّ شيءٍ يخصُّها، بغضِّ النظر عن بعض الهنات التي وقع فيها الكاتب عند دراسته للقصص القرآني. أما دراستي فهي تركز على الإحياءات.

2- رسالته دكتوراه بعنوان: القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس (دراسة تحليلية مقارنة)، من إعداد: أفنان محمد عدنان، بإشراف: أ.د. أحمد سليمان البشايرة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا - قسم أصول الدين - عمان، نوقشت بتاريخ: (2015/01/19م).

اعتنت هذه الأطروحة بالكشف عن منهج دراسة القصة القرآنية بعامة، ومنهج فضل عباس في دراستها بخاصة، مع إبراز أسس المنهجية العلمية من خلال جهوده، وقد التزمت الدراسة المنهج التحليلي والمقارن لمعرفة الوجوه التي أضافها الكاتب في دراسته حول القصة، كما وضعت منهجه في الميزان، حيث كشفت من خلاله عن إضافاته وترجيحاته التي امتاز بها، وعرضت للكثير من القضايا التي كانت مثار خلاف العلماء في تفسير القصة القرآنية.

3- (دراسة تحليلية نقدية) لكتاب الأستاذ: عبد الكريم الخطيب (القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه)، من إعداد: د. عودة عبد عودة عبد الله، تحقيق: إبراهيم داود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالسعودية، من منشورات مجلة تبيان للدراسات القرآنية، المجلد: 21، (1436هـ - 2015م).

تناولت هذه الدراسة بطريقة التحليل والتقد، وذلك لغرض إبراز ما في هذا الكتاب من وقفات إبداعية من جهة، وما عليه من انتقادات من جهة أخرى، والتي تبين أنها لم تكن في القضايا الجوهرية والأساسية للكتاب، وإنما كانت في أخطاء وهنات وقع فيها الكاتب في ثنايا شرحه أو عند رُوده، تعود في معظمها لتأثر الكاتب ببعض النظريات العلمية والاجتماعية، كراي الكاتب حول نشأة الدين، وتصوره عن خلق سيدنا آدم - ﷺ -.

منهج الدراسة:

سأتبع في هذا البحث: المنهج التحليلي والوصفي في عرض بعض المسائل، واستخراج أهم النتائج، مع استخدام المنهج المقارن عند إجراء المقارنات، وإعمال المنهج النقدي فيما يستلزم ذلك.

منهجية الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم كلُّ فصلٍ إلى عناوين، حيثُ إنَّ أسلوبَ عبد الكريم الخطيب وفضل عباس استطراديٌّ فلا يُمكنُ حصرَ كلامهما ضمنَ مباحثٍ متوازنةٍ، وانتهجتُ عند ذكر المصادر سواءً في الهامش أو في قائمة المصادر والمراجع على الدليل في كتابة الرسائل العلمية بوزارة التعليم العال المُعتمد من قِبَل الجامعة.

كما قمتُ بتخريج كلِّ الأحاديث الواردة في هذه الدراسة، وبيان درجتها ما لم تكن مُخرجةً في الصحيحين، كما أنّي لم أُفردُ تراجمًا للصحابة - ﷺ - أو للأعلام المشهورين. والتزامًا بتعليمات الأستاذ المشرف أحلتُ التراجم إلى فهرس الأعلام، ولم أترجم إلا للمغمورين فقط، ووضعتُ بيانات المصادر داخل فهرس الأعلام، خشية الإطالة وإرهاق المتن بالهوامش.

مصطلحات الدراسة:

من بين المُصطلحات في دراستي لهذا الموضوع:

- الإعجاز: هو "أن يؤدي الكلام المعنى بطريقٍ هو أبلغ من جميع ما عداه من الطُّرُق"⁽¹⁾.
- القصص: وهو "الخبرُ المُقصَّوص، بِالْفَتْحِ، وَضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ حَتَّى صَارَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ"⁽²⁾.
- الإيحاء: وهو "إلقاء المعنى في النَّفسِ بخفاءٍ وسُرعة"⁽³⁾.

وَمُصْطَلِحَاتٌ أُخْرَى سَأَتَعَرَّضُ لَهَا فِي ثَنَائِي الدِّرَاسَةِ.

حدود الدراسة:

تناولَ عبد الكريم الخطيب وفضل عباس دراسة القصص القرآني مع تسليط الضوء على الإيحاءات المنبئة منها، وربطها بالإعجاز القرآني، لذا لزم تحديد الحدود الزمانية والمكانية التي توضح دراستهما، وتكشف عن الامتدادات العلمية التي تأثرت بها.

- الحدود الزمانية: تنطلق ابتداءً من عصر عبد الكريم الخطيب وفضل عباس، أي من نهاية الثلث الأخير من القرن العشرين حتى سنة وفاة فضل عباس (1432هـ - 2011م).

1/ الجرجاني، التعريفات، ص: 31.

2/ ابن منظور، لسان العرب، 7/74.

3/ الجرجاني، التعريفات، ص: 40.

- الحدودُ المكانيةُ: تركزُ على البيئتين: المصريَّة والشَّاميَّة التي نشأ وعاشَ فيها عبد الكريم الخطيب وفضل عباس، كما تركزُ على تأثرهما بالأزهر الشريف، وبشيوخهما، وبالبيئة العربيَّة والإسلاميَّة التي عاصراها، وتنقلنا للتدريس بين جامعاتها.
- الحدودُ الموضوعيَّة: تنحصرُ هذه الدِّراسةُ في موضوعاتٍ تتعلَّقُ بالإعجاز والإحياءات في القصصِ القرآني، وذلك من خلالِ دراساتِ عبد الكريم الخطيب وفضل عباس.

خطةُ الدِّراسة:

- اقتضتْ خطةُ الدِّراسةِ أن تشتملَ على: مقدِّمة، وتمهيد، وأربعة فصولٍ، وخاتمة.
- **المقدِّمة:** وتحتوي أهميَّة الدِّراسة، وأسبابَ اختيار الموضوع، وأهداف الدراسة، والإشكاليَّة والتساؤلات، والدِّراسات السابقة، ومنهج الدراسة، ومنهجيَّة الدراسة، ومصطلحات الدراسة، وحدود الدراسة، وخطة الدراسة.
- **التمهيد:** الحياةُ العلميَّة لعبدالكريم الخطيب وفضل عباس، ويحوي:
 - **أولاً:** الحياةُ العلميَّة لعبد الكريم الخطيب، ويحوي: نشأته وتحصيله العلمي، ومؤلفاته وأثره العلمي.
 - **ثانياً:** الحياةُ العلميَّة لفضل عباس، ويحوي: نشأته وتحصيله العلمي، ومؤلفاته وأثره العلمي.
- **الفصلُ الأوَّل:** العلاقة بين الإعجاز والقصة القرآنيَّة عند عبد الكريم الخطيب وفضل عباس، ويحوي:
 - مفهومَا الإعجاز والقصة القرآنيَّة عند عبد الكريم الخطيب وفضل عباس، ورؤيتهما في مجالَات الإعجاز، وموقفهُما من صلة الإعجاز بالقصص القرآني.
- **الفصلُ الثَّاني:** مرجعيَّتُهُما في دراسة القَصصِ القرآني، ويحوي:
 - مصادِرُهُما من التفسير وعلوم القرآن، ومصادِرُهُما من كتب الحديث، ومصادِرُهُما الأخرى.
- **الفصلُ الثَّالث:** إحياءاتٌ في قصص بعض الأنبياء والأمم، ويحوي:
 - إحياءاتٌ في قصتي: آدم وسليمان - ﷺ -، وإحياءاتٌ في قصة: يوسف - ﷺ -، وإحياءاتٌ في قصص: أصحاب الكهف، وذي القرنين، وموسى والخضر - ﷺ -.
- **الفصلُ الرَّابِع:** الأحوال السلوكيَّة والحضاريَّة، ويحوي عدداً من القصص القصيرة:

قِصَّةُ ابْنِي آدَمَ، وَقِصَّةُ طَالُوتَ وَجَالُوتَ، وَقِصَّةُ الْمُنْسَلِخِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَقِصَّةُ صَاحِبِ الْجَنَّةَيْنِ، وَقِصَّةُ السَّامِرِيِّ، وَقِصَّةُ قَارُونََ، وَقِصَّةُ لَقْمَانَ، وَقِصَّةُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، وَقِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ.

● **الخاتمة:** أنهيتُ هذه الدِّراسةَ بخاتمةٍ ضمَّنتُها: أهمَّ النَّتائِجِ، وعدداً من الفهارسِ الفنيَّةِ.

واللهَ أسألُ أن يكونَ بحثي هذا نافِعاً لكلِّ من قرأه أو نظَرَ فيه،
وأن يرزقه القَبولَ الحسنَ، وأن يجعله في ميزانِ حسناتي
أنا ومشايخي وكلِّ من اطَّلَعَ عليه،
إنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.
وصلَّى اللهُ على نبيِّه وخاتِمِ رسلِهِ ومُصطَفاهُ
سَيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه
وسلِّمَ تسليماً.

الباحث.

تمهيد

الحياة العلمية لعبدالكريم الخطيب وفضل عباس

أولاً: الحياة العلمية لعبدالكريم

نشأته وتحصيله العلمي

مؤلفاته وأثره العلمي

ثانياً: الحياة العلمية لفضل عباس

نشأته وتحصيله العلمي

مؤلفاته وأثره العلمي

تمهيد

الحياة العلمية لعبدالكريم الخطيب وفضل عباس

أولاً: الحياة العلمية لعبدالكريم الخطيب

• نشأته وتحصيله العلمي

هو عبد الكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب⁽¹⁾. ولد في السابع عشر من شهر مايو، سنة (1910م - 1328هـ) في بلدة الصوامعة غرب⁽²⁾، التابعة لمركز طهطا⁽³⁾، بمديرية جرجا⁽⁴⁾، محافظة سوهاج حالياً، من صعيد مصر⁽⁵⁾. نشأ في أسرة كانت أحد فروع القبائل العربية التي جاءت إلى مصر إبان الفتح الإسلامي⁽⁶⁾.

تعلم الخطيب في كتّاب القرية، وبه أتم حفظ كتاب الله، ثم تخرّج في مدرسة المعلمين بسوهاج، كما تخرّج في دار العلوم سنة (1937م)، وحصل منها على شهادة الدراسات العليا⁽⁷⁾، وبعد تخرّجه منها اشتغل مُدرّساً بالمدارس الابتدائية بالتعليم الحرّ، ثم نجح في امتحان المسابقة الذي كانت تجريه وزارة المعارف، حيث عُيّن مدرّساً للغة العربية بمدرسة (الصنائع) في مدينة سوهاج، ثم اشتغل مُدرّساً بمدرسة المعلمين بمدينة قنا⁽⁸⁾، وبعد ذلك انتقل للتدريس بأسبوط، وفي سنة (1942م) تمّ نقله إلى مدرسة المنيرة الابتدائية بمدينة القاهرة، وبعد مدة نُقل إلى المدرسة السعيدية⁽⁹⁾، وعمل بها مُدرّساً⁽¹⁰⁾ مدة من الزمن.

ثم نُقل إلى وزارة الأوقاف وكُلف سكرتيراً برلمانياً، ثم صار مُديراً لمكتب الوزير، وذلك سنة (1953م)، لكنّه بعد مدة أُحيل إلى المعاش عام (1959م)⁽¹¹⁾، وكان ذلك بقرار جمهوري، بعد أن ظلّ مُعتقلاً بالسجن الحربي من التاسع من شهر فبراير سنة (1959م)، إلى العشرين من

1/ محمد خير رمضان يوسف، تنمية الأعلام للزركلي، 317/1.
2/ نسبة إلى قبيلة الصوامعة، وأكثر فروعها بمحافظتي سوهاج وقنا بالوقت الحاضر. حيث يستوطنون كثيراً من البلاد في جمهورية مصر العربية لا سيما في محافظتي سوهاج وقنا، وبلاد الصوامعة التابعة لمحافظة سوهاج تنقسم إلى الصوامعة شرق والصوامعة غرب. محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، 287/2.
3/ طهطا: هي مدينة ومركز إداري يقع في محافظة سوهاج بجمهورية مصر العربية.
4/ "جرجا: بجيمين، والراء ساكنة: قرية من أعمال الصعيد قرب إخميم ينسب إليها عبد الولي بن أبي السرايا بن عبد السلام الأنصاري، فقيه شافعي". الحموي، معجم البلدان، 119/2.
5/ تنمية الأعلام للزركلي، 317/1. و محمد جبر حسن، منهج التفسير القرآني للقرآن، ص: 31.
6/ تنمية الأعلام للزركلي، 317/1.
7/ مرتضى الرضوي، مع رجال الفكر في القاهرة، ص334.
8/ "قنا: بكسر القاف، والقصر، كلمة قبطية: مدينة بالصعيد لطيفة بينها وبين قوص يوم واحد". الحموي، معجم البلدان، 399/4.
9/ المدرسة السعيدية: هي مدرسة ثانوية بمدينة القاهرة في مصر، تم إنشاؤها عام (1908م).
10/ تنمية الأعلام للزركلي، 317/1.
11/ مع رجال الفكر في القاهرة، ص334.

شهر أكتوبر من العام نفسه، مع مجموعة من كبار⁽¹⁾ موظفي الوزارة، وذلك بسبب امتناعهم عن الإدلاء بشهادة باطلة ضد وزير الأوقاف آنذاك، حيث قُبِضَ عليهم ظُلماً دون سبب، ثم أُطْلِقَ سراحهم، وتمَّ فصلهم جميعاً من وظائفهم⁽²⁾.

حيثُ أُتاحت له عمله في وزارة الأوقافِ فرصة الإطلاع على أحوال المسلمين في بعض الأقطار الإفريقيَّة التي زارها، وكانت باكرة مؤلفاته كتابه: (الدَّعوة الوهابيَّة)⁽³⁾. كما أتاحت له فرصة الفصل من الأعمال الحكوميَّة المجال؛ ليكون دائم الاتصال بالكتاب قراءة ودراسة وتأليفًا، كما أتاحت له من الوقت ما مكَّنه من مُراجعة عددٍ من الموضوعات التي كان يعالجها⁽⁴⁾، ممَّا جعله يخرجُ بجملةٍ من المؤلَّفات العلميَّة القيِّمة.

ثمَّ لم يلبثُ طويلاً حتَّى انتدبَ لتدريس علوم التفسير في كليَّة الشريعة بجامعة الإمام محمد ابن سعود بمدينة الرياض بالسَّعوديَّة سنَّتي (1973م - 1975م)⁽⁵⁾، حيثُ عملَ بها أستاذًا للدراسات العليا.

والناظرُ في الاتجاهِ الفكريِّ للخطيب، يجده قد تأثرَ ببعض الأفكار والرؤى طوال مسيرته العلميَّة، مرورًا باجتماعه بداره الواقعة في الثلاثين بشارع عبد العزيز بالقاهرة، مع جماعة من الأساتذة والعلماء في وزارة الأوقاف، إذ كان مديرًا لمكتب وزيرها⁽⁶⁾، فقد كان زوَّارُه من مصرَ وخارجها، فكان ممَّن تأثرَ بهم رجلٌ شيعي⁽⁷⁾، حيثُ يخبرُ عن لقائه بالخطيب في شهر رمضان من عام (1337هـ - 1985م)، فلم يُخفِ الخطيبُ إعجابَه ببعض آراء هذه الفرقة، حيثُ وافقهم وقرَّر قولهم في مسألة توقيت الإفطار عندهم في رمضان، بعد أن بيَّن له قول الشَّيعة بأنهم يرون الإفطار إنَّما يكون بعد الأذان بمُدَّة تكفي لزوال تلك الحمرة المشريقيَّة⁽⁸⁾ بالأفق، مُستدلينَّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ﴾⁽⁹⁾، فأتارَ ذلك إعجابَ الخطيب، بل ووافقهم في أنَّه لن يُفطرَ إلَّا بعدَ ذهابِ الحمرة المشريقيَّة⁽¹⁰⁾. كما نجدُه يطلبُ من صديقه الشيعي أن يُرسلَ له نسخة من تفسير: مجمع البيان (للطَّبْرسي) الذي هو من تفاسير الشَّيعة الإماميَّة، حيثُ اعتمدَ عليه

1/ نزار أباضة، ومحمد رياض المالح، إتمام الأعلام، ص: 164.

2/ تنمة الأعلام للزركلي، 317/1.

3/ منهج التفسير القرآني للقرآن، ص: 33.

4/ المصدر نفسه، ص: 32.

5/ مع رجال الفكر في القاهرة، ص: 334.

6/ هو الوزير: أحمد حسن الباقوري. مع رجال الفكر في القاهرة، ص: 336.

7/ هو مرتضى الرضوي، صاحب كتاب: مع رجال الفكر في القاهرة.

8/ الشفق: هي الحمرة في الأفق من الغروب إلى العشاء الآخرة. قال أبو حنيفة: هو البياض الذي بعد الحمرة بعد غروب الشمس. محمد البركتي، التعريفات الفقهيَّة، ص: 124.

9/ سورة البقرة، من الآية: 187.

10/ مع رجال الفكر في القاهرة، ص: 336.

الخطيب في بعض نقولاته، متأثراً ببعض أفكار هذه الفرقة، فكانت سبباً من أسباب تغير اتجاهه الفكري.

وربما كان التأثر بالحضارة الغربية وباكشافاتها وعلومها، سبباً أراد الخطيب من خلاله أن يبرز مرونة الإسلام، وأن يُبدي صلاحيته لكل زمان ومكان، بيد أن هذا الانبهار ربما أوقعه في بعض المحظورات لإعجابه بها، كالقول بنظرية النشوء والارتقاء، فقد ذهب الخطيب يؤكد على هذه القضية في تفسيره، في محاولة لإلباس هذه النظرية ثوباً عربياً إسلامياً شرقياً⁽¹⁾. وذلك راجع إلى ظهور الضعف، وتفشي التبعية للغرب في الدول الإسلامية والعربية⁽²⁾. مع أن العلم الحديث⁽³⁾ قد أثبت بطلان مثل هذه النظريات؛ لأنها من النظريات القائمة على الاحتمالات والمتغيرات، وليست قائمة على الحقائق العلمية الثابتة، وليس لها نص صريح من كتاب الله.

ومن ثم فقد مرّ الخطيب ببعض المراحل التي تشكّل من خلالها اتجاهه الفكري، فبعد انتدابه للتدريس بالسعودية ألف كتابه الذي أسماه: (الدعوة الوهابية)، فقد تضمن الكتاب دراسة تحليلية لهذه الدعوة من حيث الأسس التي قامت عليها وطريقتها، وثمرتها والحاجة إليها، وما قوبلت به من خصومها⁽⁴⁾. فقد أبدى الخطيب ما لهذه الدعوة من مميزات - بحسب وجهة نظره - والأصول التي قامت عليها، كما أنه انتقدتها في كثير من القضايا: كتكفير المسلمين، والغلو، والتطرف، والعنف، وحصار الإسلام في أتباع تلك الدعوة النجدية فقط، ونبذ كل من انحرف عنها.

كما اتّجه الخطيب فكرياً إلى إنكار بعض المسلّمات في الشريعة الإسلامية، متأثراً ببعض المدارس الفكرية، من ذلك إنكاره للنسخ في القرآن الكريم، وكذلك مثله لإنكار الأحاديث الواردة في السحر، بحجة أنها أحاديث آحاد، ولتاثره بما جاء في تفسير الطبرسي، لكنّ الخطيب توقّف عن الخوض في هذه القضية. وهنا ينبغي الإشارة إلى أنه ليس من وراء صحة هذه الأحاديث ما يُخلّ بمقام النبوة، فإنّ السحر الذي أصاب النبي - ﷺ - كان من قبيل الأمراض التي تعرّض للبدن، دون أن يكون لها تأثير على شيء من العقل⁽⁵⁾. وعلى كلّ فهذه قضية خلافية بين العلماء قديماً وحديثاً.

1/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 22.

2/ يوسف محمد زقوت، موقف عبد الكريم الخطيب في تفسيره من مسألة النشوء والارتقاء، ص: 2.

3/ "وقد أثبت العلم القائم على التجربة بطلان النظرية بأدلة قاطعة وإنها ليست نظرية علمية على الإطلاق. والإسلام وكافة الأديان السماوية تؤمن بوجود الله الخالق البارئ المصور الذي أحسن صنع كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من سلالة من طين ثم خلقه من نطفة في فرار مكين، والإنسان يبقى إنساناً بشكله وصفاته وعقله لا يتطور ولا يتحول". الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 930، 931/2.

4/ وقد رد عليه بعض أتباع هذه الدعوة على الشبكة تحت عنوان: التعقيب على ما ذكره الأستاذ عبد الكريم الخطيب. ولم أقف على كتاب الخطيب: (الدعوة الوهابية)، ولم أطلع عليه.

5/ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 421/2.

وكذلك قضية إعمال الخطيب للعقل، إذ يُعدُّ أحدَ رجالِ المدرسةِ العقليَّةِ الحديثةِ في التفسير، فمن خلالِ تفسيره لبعضِ الآياتِ تبرُّرُ دعوتهُ إلى البحثِ والنَّظرِ، وتقليبِ حقائقِ الأمورِ، وعرضِها على العقلِ، ووزنها بميزانهِ، قبلَ الأخذِ بها، مُشيرًا إلى عدمِ قبولها من غيرِ إقناعٍ قائمٍ على دراسةٍ وتأملٍ⁽¹⁾. فالظاهرُ من كلامِ الخطيبِ أنَّه أرادَ أنْ يوكِّدَ على ضرورةِ وقوفِ العقلِ في مملكتهِ، وذلكَ ضمنَ حدودِ اللهِ وشريعتهِ، وهذا ما كانت عليه المدرسةُ الإصلاحيةُ في دعوتهم إلى تحريرِ الفكرِ من كلِّ قيودِ التقليدِ، ومحاولةِ فهمِ الدِّينِ على طريقةِ سلفِ هذه الأمةِ، أي قبلَ ظهورِ الخلافِ، والوقوفِ على ينابيعها الأولى، واعتباره ضمنَ موازينِ العقلِ البشريِّ التي وضعها اللهُ لتردُّه عن شططه، وتقلُّلِ من خلطه وخوضه مع الخائضين.

وكذلك نبذَ الخطيبُ للتقليدِ وعدمِ الجمودِ بالوقوفِ على ظواهرِ النصوصِ، بل الذهابُ إلى أبعدِ من ذلك، أي إلى مفهوميها التي يؤدِّيها منطوقها، كالإشاراتِ القرآنيَّةِ، وكذلك في دعوتهِ للتجديدِ في بعضِ القضايا دونما قيودٍ أو ضوابطٍ، وإن لم يُصرِّحْ بذلك، ممَّا يترتَّبُ على ذلكِ إخضاعُ بعضِ نصوصِ الوحيِ للآراءِ والأهواءِ، فينتجُ عن ذلكِ عدمُ دقَّةِ فهمِ المرادِ من كلامِ الله - ﷻ -.

وقد خالفَ الخطيبُ جماعةَ المُفسِّرينَ في قضيةِ المُحكِّمِ والمُتَشابِه، حيثُ ظهرَ منه تناقضٌ في أقواله، ربما بسببِ أنَّه عندما كتبَ تفسيره لم يكنْ مُطلَّعًا على آراءِ العلماءِ - وهذا بعيدٌ -، وربَّما كانَ تأثرُهُ ناتجًا عن احتكاكه بأفكارِ مَنْ أقامَ عندهم أثناءَ عمله مُدرِّسًا في السعودية⁽²⁾. من خلالِ ما ذُكِرَ يتضحُ مدى تأثرِ الخطيبِ ببعضِ المدراسِ الفكريةِ، وتغيُّرِ اتِّجاهه الفكريِّ، وفقًا لمنهجيةِ التي سارَ عليها، وانبرى للدِّفاعِ عنها، وهذا يبدو جليًّا من خلالِ مؤلفاته المتنوعةِ، التي نالَ التفسيرُ القرآنيُّ نصيبًا وافرًا منها.

ومن ثمَّ فقد برزَ اهتمامُ عددٍ منَ الباحثينَ بدراسةِ بعضِ مؤلفاتِ الخطيبِ، حيثُ أُلِّفَ كتابٌ في سيرته⁽³⁾، وكُتِبَ عن منهجه في تفسيره⁽⁴⁾، كما عرضَ فضلُ عباسٍ في كتابه: قصصُ القرآنِ الكريمِ للمنهجِ الذي سارَ عليه الخطيبُ، حيثُ تحدَّثَ عن كتابتهِ: القصصُ القرآنيُّ في منطوقه ومفهوميهِ، والقصصُ القرآنيُّ من العالمِ المنظورِ وغيرِ المنظورِ، وذكرَ ما في الكتابينِ من سلبياتٍ وإيجابياتٍ، مُبرِّزًا بعضَ الأخطاءِ التي وقعَ فيها الكاتبُ، مُنَوِّهاً إلى عدمِ أخذِ آرائه واعتبارها من قبيلِ الحقائقِ المُسلَّمةِ. إلى غيرِ ذلكَ من الدِّراساتِ والأبحاثِ التي قامتِ حولَه.

1/ التفسير القرآني للقرآن، 1081/6.

2/ وذلك راجعٌ إلى أن جل علمائهم كانوا يركنون إلى مذهب ابن تيمية، ويأخذون بآرائه. فضل عباس، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، 449/3.

3/ نقلًا عن كتاب السيد أبو ضيف المدني، عبدالكريم الخطيب والثقافة الإسلامية.

4/ محمد جبر، منهج الأستاذ عبدالكريم الخطيب في تفسيره المسمى بالتفسير القرآني للقرآن الكريم، العدد الثاني والثلاثون - (2014م).

• مؤلفاته⁽¹⁾ وأثره العلمي

أخرج الخطيب عددًا من المؤلفات الدنيوية والأدبية، وجملة من المقالات التي نُشرت في الصحف المصرية والعربية، والمئات من الأحاديث الإسلامية المنشورة في الإذاعات المسموعة والمرئية في مصر والسعودية⁽²⁾.

كما قدّم الخطيب عددًا من الدراسات والبحوث في مختلف مجالات الفكر الإسلامي التي تدور حول إعجاز القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ومفهوم الألوهية والوحدانية، مما جعله يُعدّ من أشهر الكتاب المسلمين في وقته. وترك أكثر من خمسين مؤلفًا⁽³⁾.

تعريف ببعض مؤلفات الخطيب المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن:

1- (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه):

صدرت أول طبعة لهذا الكتاب سنة (1384هـ - 1964م)، ثم طبع ثانية بدار المعرفة في بيروت بלבنا سنة (1395هـ - 1975م) في (496) صفحة، وقد قسمه الكاتب إلى تسعة أبواب، الباب الأول: القصة ومفهومها في القرآن، والثاني: عناصر القصة في القرآن. والثالث: الحركة والحوار في القصة. والرابع: القوى الغيبية في القصص القرآني. والخامس: القدر وحسابه في القصص القرآني. والسادس: الصراع في القصص القرآني. والسابع: التكرار في القصص القرآني. والثامن: الرمز والقصص القرآني. والتاسع: منهج دراسة القصة القرآنية، ووقفه مع قصتي: آدم ويوسف - ﷺ -. وكان مما امتاز به إسهابه في عرض بعض مزايا القصة القرآنية، مُصنلاً لها، مُدافعاً عنها، مُفنداً كل ما أُثير حولها من شبهات، كشيبة: الخيال القصصي، ووقوع التكرار في القصة القرآنية⁽⁴⁾.

1/ من مؤلفاته: (التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته)، و(الحدود في الإسلام)، و(اليهود في القرآن)، و(أيام الله)، و(المهدي المنتظر ومن ينتظرونه)، و(الدعوة الوهابية)، و(قضية الألوهية بين الفلسفة والدين) في كتابين، الأول: (الله ذاتا وموضوعا)، والثاني: (الله والإنسان)، و(القضاء والقدر بين الفلسفة والدين)، و(المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن)، و(النبى محمد إنسان الإنسانية ونبى الأنبياء)، و(عمر بن الخطاب؛ الوثيقة الخالدة للدين الخالد)، و(علي بن أبي طالب؛ بقية النبوة وخاتم الخلافة)، و(الخلافة والإمامة)، و(السياسة المالية في الإسلام)، و(الدين ضرورة حياة)، و(الإسلام في مواجهة الماديين الملحدين)، و(الإنسان والشيطان)، و(التصوف والمتصوفة)، و(مسلمون وكفى). وغيرها من المؤلفات.

2/ تنمة الأعلام للزركلي، 317/1.

3/ المصدر نفسه، 317/1.

4/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 19، 20.

2- (إعجاز القرآن؛ في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها) الكتاب الثاني - الإعجاز في مفهوم جديد: طُبِعَ الكتابُ طبعته الأولى بدار الفكر العربي بمصرَ عام (1964م)، في (384) صفحة، وقد جعله مؤلفه في صورة (الإعجاز في مفهوم جديد)، فجاء البابُ الأوَّلُ بعنوان: الإعجازُ في منطق الأحداث. والثَّاني: النَّبِيُّ والإعجازُ القرآنيُّ، وذكرَ فيه شواهدَ على مكانة النَّبِيِّ - ﷺ - من القرآن وإعجازه. والثَّالثُ: مواقعُ الإعجاز في القرآن، وفيه أسرارُ الإعجاز ووجوهه. واختتمه بالباب الرَّابع تحتَ عنوان: صورٌ من إعجاز القرآن. وكان ممَّا امتازَ به هذا الكتاب عن كتابه الأوَّل: أنَّه عرضَ فيه لقضية الإعجاز، مع عقده لموازنة بين النَّبُوَّة والإعجاز والقرآن، مُشيرًا إلى مواقع الإعجاز، وبعض صورهِ.

3- (التفسير القرآني للقرآن): يُعَدُّ هذا التفسيرُ من التفسيرِ المطوَّلة، حيثُ طُبِعَ في سَنَةِ عَشْرٍ مُجَلَّدًا من الحجم المتوسط، من فاتحة الكتاب إلى آخر الناس، وهو من منشورات دار الفكر العربي بالقاهرة سنة (1390هـ - 1970م)، ولقد عاب بعضهم على الخطيب في تسميته لتفسيره (التفسير القرآني) من أنَّه لم يكن على طريقة التفسير بالمأثور، الذي هو تفسير القرآن بالقرآن، وفي حقيقة الأمر أن تفسير القرآن للقرآن بعضهم لا يُعده من قبيل المأثور. حيث قدَّم الخطيبُ لتفسيره بمقدمة ذكرَ فيها: دراسات حول القرآن، والمكي والمدني. ثم تحدَّث عن منهجه في تفسيره مدَّعيًا أنَّه لا يفسرُ القرآن بالمعنى المعروف للتفسير، بل يُرثِلُ آيات الكتاب ترتيلاً، فيقفُ مع كلِّ آية أو مجموعة من الآيات، وينظرُ فيما تطالعه به نصوص الوحي من العجائب والروعة، فيسيلُ قلمه ببعض ما وقع في مشاعره من تلك الصور، ويعدُّها معلماً من معالم الطريق الموصلة إلى كتاب الله تعالى، رجاء أن يجدَ السالك فيها نوراً، ويزدادَ المُهتدي بها هدىً وبصيرة⁽¹⁾.

كما امتازَ تفسيره بالمحافظة على الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، حيثُ يذكرُ فيه وجه الارتباط بين أوائل السور وأواخرها، ويربطُ بداية السورة بنهاية السورة التي قبلها، وكذلك يُعدُّ الموضوعات التي تناولتها السورة⁽²⁾، وقد كان صاحب دعوة تُخاطبُ العقل والوجدان معاً. كما أنَّه يُطنِّبُ في الرِّدِّ على الشُّبه التي تعرضُ له، كما اهتمَّ بذكر مناسبات الآيات، وامتازَ بأنَّه سارَ على طريقة السلف في بعض القضايا، كقضيَّة: السِّتَّة أيام، وعصمة الأنبياء⁽³⁾، كما كان له اهتمامٌ بالقضايا التي تمسُّ بنية المجتمع الأساسية، كقضايا: الأسرة، والزَّواج، وغيرهما⁽⁴⁾.

1/ التفسير القرآني للقرآن، 1/12، 11.

2/ المصدر نفسه، 1194/9.

3/ فضل عباس، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، 3/433 - 439.

4/ المصدر نفسه، 443/3.

4- (من قضايا القرآن): هذا الكتاب من مطبوعات دار الفكر العربي بالقاهرة سنة (1973م) في (240) صفحة، تناول فيه الخطيب عددًا من القضايا، حيث اشتملت كل قضية على موضوع من موضوعات القرآن، كقضية: لفظ القرآن ومعناه، والنسخ، والتكرار في القرآن، والتكرار في القصص القرآني، وقضية: القرآن الكريم قديم أو حادث؟ حيث عرض فيه لفتنة خلق القرآن، وكذلك قضية: المحكم والمتشابه، ومعارضة القرآن، ثم تحدت عما أسماها: فتنة الترتيب النزولي للقرآن الكريم. وقد امتاز كتابه بعرضه لبعض الشبهات، وردّه عليها بالحجج والبراهين.

5- (الإعجاز في دراسات السابقين): طبع هذا الكتاب الطبعة الأولى سنة (1974م) بدار الفكر العربي بمصر، في (512) صفحة، حيث قسّمه المؤلف إلى أربعة أبواب، فجاء الباب الأول بعنوان: نظرة في كلام الله وكلام الناس. والثاني: المعجزة؛ زمانها ومكانها، وسبب اختلاف الناس في الاستدلال على وجه الإعجاز. والثالث: آراء ومباحث في الإعجاز، ومن نظرات السابقين في الإعجاز. والرابع: شبهات ودعاوى ومفتريات حول القرآن، ونظمه، وقضية التكرار، والمحكم والمتشابه، والنسخ في القرآن. حيث امتاز هذا الكتاب بأن مؤلفه وازن فيه بين نظرات السابقين والمحدثين في قضية الإعجاز، كما أورد بعض الدعاوى والشبهات التي أثيرت حول بعض القضايا، كقضية: خلق القرآن والمحكم والمتشابه، والنسخ، والرد بالحجج والبراهين.

6- (القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور): طبع الكتاب أول طبعة ببيروت عن دار الأصالة ومؤسسة الرسالة عام (1404هـ - 1984م)، في (185) صفحة، وقد قسّم إلى ثمانية مباحث، حيث اختار الكاتب أمثلة من القصص القرآني فجعلها مادة علمية لكتابه، وهذه الأمثلة تتصل بعالم الحيوان، كالنملة، والهدد، وبعض الشخصيات كأهل الكهف، وقصة ذي القرنين، والعبد الصالح صاحب موسى - ﷺ -، ثم عقد مبحثًا خاصًا بالعالم غير المنظور، كالجن، وإبليس، والشيطان. وامتاز كتابه بالموازنة بين القصة القرآنية المتصلة بعالم الحيوان وقصص البشر التي دارت على السنة تلك الحيوانات⁽¹⁾.

1/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 32.

بعض الدراسات والأبحاث العلمية التي قامت حول عبد الكريم الخطيب:

1- (منهج الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره المسمى بالتفسير القرآني للقرآن الكريم)؛ عرضٌ ونقدٌ للباحث: محمد جبر محمد حسن، في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر - بفرع الرقازيق، سنة (2014م)، تضمن هذا البحث: مميزات وعيوب المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، وأبرز علمائها، كما عرض لموقف الخطيب من بعض القضايا، كقضية: العقل، والتقليد والمقلدين، والاجتهاد في التفسير. حيث احتوى على: التعريف بالخطيب، ومقدمة تفسيره، وسبب تأليفه، ومنهجه فيه. ثم بيان موقفه من التفسير بالمأثور، وأسماء السور، وغيرها. وموقفه من التفسير بالرأي، متضمنًا موقفه من بعض القضايا الأخرى، وكذلك: موقفه من الدخيل والإسرائيليات، وموقفه من نظرية الشؤء والارتقاء.

2- دراسة تحليلية نقدية لكتاب القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه للأستاذ عبد الكريم الخطيب، للباحث: عودة عبد عودة عبد الله، الأستاذ المشارك بقسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية - فلسطين، تحقيق: إبراهيم عبد الرحيم محمد داوود، نشر الكتاب بمجلة تبيان للدراسات القرآنية سنة (1436هـ - 2015م)، يقع هذا الكتاب في (86) صفحة، حيث أبرزت الدراسة جوانب الإبداع في كتاب الخطيب، وبينت ما عليه من انتقادات، كما أشارت إلى الأخطاء وقع فيها، والنتيجة عن تأثره ببعض النظريات العلمية، كرأي الكاتب في تصوّره عن آدم -ﷺ-.

3- (المسائل التي خالف فيها الشيخ عبد الكريم الخطيب جمهور العلماء من خلال سورتي البقرة وآل عمران)؛ عرضٌ ودراسةٌ وتعليقٌ، للباحث: وليد عبد الحميد زايد، نشرت سنة (1439هـ - 2017م) في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور بمصر، العدد: 2، الإصدار الثاني. حيث بحثت هذه الدراسة آراء الخطيب حول طبيعة الجنة التي أهبط منها آدم -ﷺ-، ومسألة النسخ، ورجعة عيسى -ﷺ-. ومن أهم ما انتهت إليه الدراسة أنّ المؤلف تميّز باستقلال شخصيته واجتهاده⁽¹⁾.

4- (عبد الكريم الخطيب ومنهجه في التفسير من خلال كتابه التفسير القرآني للقرآن): (أطروحة دكتوراه)، من إعداد الباحثة: هالة عبد المالك غرابي، تحت إشراف: أ.د. رشاد حسن علي، و أ.د. محمود عبد اللطيف صالح، بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، بقسم التفسير وعلوم القرآن، نوقشت سنة (1440هـ - 2019م).

5- (المأخذ التفسيرية على الخطيب في كتابه التفسير القرآني للقرآن)؛ دراسة نقدية: من إعداد الباحث: محمد بن صادق بن عبد العزيز عطران، ورقة علمية في مجلة القلم، بجامعة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية، المجلد:9، العدد: (33،2022م). ذكر فيها الباحث عددًا من المآخذ، وردّه عليها. وخلص الباحث إلى أنّ الخطيب قد تأثر بالمدرسة العقلية، وسار في تفسيره على أصولها في غالب أحواله، كما أنّه لم يلتزم في العقيدة منهجًا واحدًا، وتناول في تفسيره القضايا الاجتماعية بشكلٍ موسّع، وكان الإصلاح حاضرًا في أكثر من موضعٍ في تفسيره.

6- (منهج التفسير القرآني للقرآن لصاحبه عبد الكريم الخطيب): (رسالة ماجستير)، من إعداد: يحيى محمد حمد دخل الله، وإشراف: د. فضل عباس، بالجامعة الأردنية، وهي دراسة اختصت في منهج الخطيب في تفسيره من أغلب الجوانب: كالفقه، والعقيدة، والقراءات، والمناسبات، وأسباب النزول، وغيرها من الأمور التي تُظهرُ منهجه في كتابته للتفسير.

7- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (ت:406هـ)، طبعته- مصادره- ملامحه- تصنيفه- الدراسات حوله، وهذه الدراسة من الأبحاث التي نشرها (مصدر تفسير للدراسات القرآنية) (1446هـ - 2024م) تحت عنوان: تفاسير القرن الرابع عشر الهجري، تُعالج هذه الدراسة تفسير الخطيب من حيث سيرة مؤلفه، وطبعته، وسبب تأليفه، وبيان ملامح اشتغاله التفسيري، وبيان طبيعة تصنيفه، مع رصد الدراسات والأعمال العلمية حوله⁽¹⁾.

إلى غير ذلك من الدراسات التي قامت حول عبد الكريم الخطيب⁽²⁾. وهذا النموذج من الدراسات إنما هي على سبيل الذكر لا الحصر.

توفي عبد الكريم الخطيب في شهر صفر من سنة (1406م)، الموافق لشهر نوفمبر، من عام (1985م)، وشيّعهُ طلابه ومُرِيدُوهُ، ودفن في مداخل العائلة بمدينة نصر⁽³⁾.

1/ مصدر تفسير للدراسات القرآنية، التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (ت:406هـ)، طبعته- مصادره- ملامحه- تصنيفه- الدراسات حوله، ص: 59.

2/ ومن الدراسات: التفسير العقلي لقصة خلق حواء - ﷺ - عند عبد الكريم الخطيب المصري، من إعداد: عبد الخالق لعريبي، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان- (2022م). مخالقات عبد الكريم الخطيب لجمهور المفسرين في القصص القرآني من سورة الفاتحة إلى نهاية الإسراء، دراسة نقدية، من إعداد: يوسف محمد زقوت، (إشراف: أ. د. محمد سميح الخالدي، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس - فلسطين، (أطروحة دكتوراه) نُوقِشت سنة (2024م)، في (240) صفحة. وغيرها من الدراسات.

3/ يوسف محمد زقوت، موقف عبد الكريم الخطيب في تفسيره من مسألة النشوء والارتقاء، ص: 6. جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان- (2022م). وغيرها من الدراسات التي لم أقف عليها.

ثانياً: الحياة العلمية لفضل عباس

• نشأته وتحصيله العلمي

هو أبو محمد فضل حسن بن أحمد آل عباس الصفوري⁽¹⁾، من أعلام المعاصرين في علوم القرآن، يقول عن نفسه في لقاء أجرى معه: بأن هويته هويته رجل مسلم، عاش أحداثاً كثيرة عقوداً من الزمن في أكثر من قرن⁽²⁾. وهو أشعري العقيدة، شافعي المذهب⁽³⁾. وُلِدَ بفلسطين، في بلدة صفورية في شهر رمضان عام (1350هـ)، كانون الثاني من سنة (1932م).

نشأ فضل عباس في أسرة علمية، فقد كان بيت والدته ملتقى للعلماء الذين يزورهم بدعوة من خاله (يوسف عبد الرزاق) المدرّس في كلية أصول الدين بالأزهر الشريف، فكان له أثر كبير في نشر العلم.

أمّ حفظ كتاب الله - ﷻ - دون سنّ العاشرة، ثمّ بدأ بحفظ بعض المثنون العلمية في علوم مختلفة، فحفظ متن الغاية والتّقريب⁽⁴⁾ في الفقه الشافعي، و متن الرّحبية⁽⁵⁾ في الفرائض، و متن الجوهرة⁽⁶⁾ في التوحيد، وبعض متون المنطق، و متون في علوم الحديث، ثمّ بدأ بحفظ ألفية ابن مالك⁽⁷⁾، وذلك أثناء وجوده في بلدته صفورياً. حيث عاش حياته محروماً من نعمة البصر، إلا أنّ الله عوّضه عنها نفاذ البصيرة.

انتقل عباس إلى (عكا) بفلسطين فدرّس في جامع الجزائر في المدرسة الأحمديّة - نسبة لأحمد باشا الجزائر - وهي مدرسة علمية - أنهى دراسته فيها. ثمّ رحل عباس إلى مصر فدرّس بها علوم القرآن والقراءات والتّجويد، فتحصّل على شهادة من كلية اللغة العربيّة في تجويد القرآن سنة (1948م)، ثمّ دخل كلية أصول الدين بالأزهر وتخرّج فيها عام (1952م)، وكان عمره آنذاك عشرين سنة، فكان أصغر طالب يتخرّج فيها. بقي فضل عباس في مصر إلى سنة (1953م) إلى أن جاءه نبأ وفاة والده في لبنان، فرحل إليها وبقي فيها سنة، إلى أن وجد عملاً

1/ الصفوري نسبة إلى صفورية: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وواو، وراء مهملة ثم ياء مخففة: كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام وهي قرب طبرية. شهاب الدين أبو عبد الله الحموي، معجم البلدان، 414/3.

2/ حوار علمي مع الأستاذ الدكتور: فضل حسن عباس، أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة اليرموك، مجلة الفرقان نشر في: 2011/2/12م.

3/ دعاء أمين الناطور، منهج الدكتور فضل عباس في دراسته لمسائل علوم القرآن الكريم، ص: 15.

4/ هو: متن أبي شجاع المسمى الغاية والتّقريب، لمؤلفه: أحمد بن الحسين بن أحمد، أبو شجاع، شهاب الدين أبو الطيب الأصفهاني (ت: 593هـ).

5/ لمؤلفه: موفق الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن الرحبي (ت: 577 هـ).

6/ هو متن الجوهرة في علم التوحيد، لمؤلفه: إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني أبو الإمداد برهان الدين المالكي (ت: 1041هـ)، عدد الأبيات: (144) بيتاً.

7/ حوار علمي مع الأستاذ الدكتور: فضل حسن عباس، مجلة الفرقان، نشر في: 2011/2/12م.

بمدينة صيدا في الأوقاف، فعمل فيها حتى سنة (1956م)، ثم رحل إلى الأردن ليعمل واعظاً في عمان سنة (1965م)، ثم عُيّن مدرساً في كلية الشريعة سنة (1966م).

وخلال مدة تدريسه تحصّل على شهادة الماجستير من كليّة أصول الدّين بالأزهر عام (1967م)، وكان أحد ثلاثة نجحوا في تلك الدفعة من الطلاب ولم ينجح غيرهم. كما نال درجة الدكتوراه سنة (1972م) من الكليّة نفسها⁽¹⁾، وكانت رسالته بعنوان: (اتّجاهات التّفسير في مصر والشّام). ثم عُيّن في المعهد الشرعي لتأهيل الوّعاظ بعمّان، ثم انتقل إلى الإمارات العربية ليعمل في المجال نفسه ما بين عامي (1975 - 1978م)، وعاد بعد ذلك مدرّساً في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية حيث شغل منصب رئيس قسم أصول الدين لفترة طويلة، وقد عمل مدرساً في جامعة اليرموك من عام (2002 - 2007م)، وانتقل بعدها إلى جامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن من سنة (2008م)، إلى وفاته⁽²⁾.

بدأ فضل عبّاس دراسته مُتتلمذاً على يد جُلّة من علماء بلدته ومن علماء الأزهر، فكان من بينهم: محمّد سليمان بن أحمد سليمان الشنّدي، وخاله يوسف عبد الرزاق المشهدي، ومشهور الضّامن بركات، وعبد الحلّيم محمود شيخ الأزهر آنذاك، ومحمّد عبد الرّحمن بيسار، ومحمّد عبد الله دراز، ومحمّد البهي. وغيرهم من الشيوخ والعلماء الذين تتلمذ على أيديهم من داخل مصر بالأزهر الشّريف وخارجها، كالأردن وفلسطين.

ومن ثمّ فقد تتلمذ على يدي فضل عبّاس عدّد من طلاب العلم، منهم: عبد الناصر موسى أبو البصل، ومحمّد عبد الله محمّد عويضة، وأحمد سليمان العوض البشايرة، وجمال محمود أحمد أبو حسّان، ومحمّد خازر صالح المجالي، وسليمان محمّد علي الدقّور، وجهاد محمّد فيصل النّصيريات، وأحمد بن إسماعيل بن إبراهيم نوفل، وغيرهم⁽³⁾.

ومن ثمّ فقد كان لفضل عبّاس عدّة وُقّفاتٍ علميّةٍ مُتأنيّةٍ في تحقيق عددٍ من القضايا التي كانت مثارَ خلافٍ بين العلماء، كما امتازَ منهجُه بالجمع بين التّدقيق والتّحقيق، فنراه يقف من آراء العلماء موقف الناقد البصير، فلا يأخذ رأياً دون تمحيصٍ وتدقيقٍ، وفي هذا إشارة إلى عدم تأثره بالمدارس الفكرية، إضافةً إلى توسّعه في الرّدّ على الشُّبهات التي أُثيرت حول القرآن، وعلى بعض النّظريّات التي افنّنت بها بعضُ الكُتّاب، كما كانت له قدرةٌ على التّعامل معها، فقد كان حذراً في تقليد من سبقه من العلماء، إلّا فيما صحّ من الأصليين، أو استند إلى أقوال الصّحابة والتّابعين، الموافقة لما للمفهوم الصّحيح المُراد منها. كما كان له بعضُ المخالفات التي خالفت فيها

1/ حوار علمي مع الأستاذ الدكتور: فضل حسن عباس، مجلة الفرقان، نشر في: 2011/2/12م.

2/ جمال أبو حسان، سلسلة تراجم علماء الأردن، الدكتور فضل عباس، ص: 16.

3/ لم أترجم لهؤلاء الأعلام؛ لعدم توفر ترجمة لهم، حيث إن جلمهم لا يزال على قيد الحياة، وخشية أن أثقل البحث بكثرة التراجم. لذا اكتفيت بترجمة الأهم فالأهم.

أقوال جَلَّةٍ من العلماء، من ذلك دراستُهُ للقصاصِ القرآنيِّ حسبَ ترتيبها النَّزوليِّ، والناظرُ في هذه الطريقة يجدُّ أنَّها قد تكونُ مفيدةً لفهمِ أعمقَ للسياقِ التاريخيِّ والتشريعيِّ للقصاصِ. وكان من ترجيحاتِ عباس: القولُ بأنَّ مُدَّةَ ابتلاعِ الحوتِ ليونسَ - ﷺ - كانت يوماً، أو بعضَ يومٍ⁽¹⁾. وهذه من المسائلِ الخلافيةِ، أصح ما جاء فيها أنَّه لبثَ أربعين يوماً. والأولى الإعراضُ عن مثل ذلك، بما لا نفعَ من معرفته.

• مؤلفاته⁽²⁾ وأثره العلميِّ

تعددتُ مُصنَّفاتُ فضلِ عباس في الدِّراساتِ القرآنيَّةِ، فمنها ما كانَ تأليفاً مُستقلاً، ومنها ما كانَ تأليفاً مُشترِكاً معَ جَلَّةٍ من أهلِ العلمِ، ومنها ما كانَ الغرضُ من تأليفه بأنَّ يُجْعَلَ مُقرَّراً دراسياً في بعضِ المُوسَّساتِ التَّعليميَّةِ الثَّانويَّةِ، والمعاهدِ المتوسِّطةِ، والعليا.

تعريفٌ ببعضِ مؤلِّفاتِ فضلِ عباس المُتعلِّقةِ بالتفسيرِ وعلومِ القرآنِ:

1- (إتقان البرهان في علوم القرآن):

طُبِعَ هذا الكتابُ لأوَّلِ مرَّةٍ بمكتبةِ الفرقانِ في عمَّان بالأردن عام (1947م)، ثمَّ أعادَ المؤلِّفُ النَّظَرَ فيه، وزادَ عليه ما يقربُ من الثُّلثِ، وطُبِعَ طبعةً جديدةً بدارِ النَّفائسِ بالأردن، عام (2010م) في مُجلدَيْنِ من (973) صفحة. حيثُ عرضَ فيه علومَ القرآنِ بأسلوبٍ مُيسِّرٍ، تناولَ بعضَ موضوعاتِهِ، وبعضَ ما يُثارُ حولَ علومِ القرآنِ الكريمِ من شُبُهاتٍ وطعوناتٍ استشرافيَّةٍ، معَ إيرادِهِ ردوداً علميَّةً عليها، واختتمَ كتابه بالحديثِ عن العلمانيِّينَ والحداثيِّينَ واعتراضاتهم على النَّصِّ القرآنيِّ. فامتازَ كتابه بالتَّحقيقِ العلميِّ والتَّمحيصِ للمسائلِ المطروحة⁽³⁾. ثمَّ اختصره تحتَ اسمِ: (غذاء الجنان بثمر الجنان)؛ ليناسبَ طُلَّابَه بالمرحلةِ الجامعيَّةِ. كما كانَ له كتبٌ في علومِ القرآنِ، وهي مُقرَّراتٌ دراسيَّةٌ في المعهدِ العاليِّ للقضاءِ، وفي جامعةِ القدسِ المفتوحةِ، وذلك بالاشتراكِ معَ غيره من المؤلفين⁽⁴⁾.

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 633. وأفنان "محمد عدنان" شريف الشيخ، القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس، ص: 283.

2/ له عدة مؤلفات: ففي علوم القرآن الكريم: (لطائف المنن وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن)، و(نقض مطاعن ورد شبهات)، و(الدكتوراة بنت الشاطئ والبيان القرآني)، و(الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية)، و(بيان إعجاز القرآن للخطابي تحليل ومقارنة ونقد)، و(قضية الزوائد في كتاب الله تعالى)، و(قضية التكرار في كتاب الله تعالى)، و(شبهات حول نشأة التفسير)، و(شبهات حول القراءات القرآنية)، و(النكت في إعجاز القرآن للرماني تحليل ومقارنة ونقد)، و(مفردات القرآن الكريم مظهر من مظاهر إعجازه). وفي علوم البلاغة: (البلاغة، فنونها وأفانها) في مجلدين، و(البلاغة المقترى عليها بين الأصالة والتبعية)، وله في الفقه عدة مؤلفات، منها: (أنوار المشكاة في أحكام الزكاة)، و(التوضيح في صلاة التراويح والتساييح)، و(التيبان والإتحاف في أحكام الصيام والاعتكاف)، و(المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج)، و(خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمانة)، و(فقهنا بين التوسط والتسلط). وغيرها من المؤلفات.

3/ إتقان البرهان في علوم القرآن، 11/ 6.

4/ أ. د. فضل حسن عباس (ت: 1432هـ) سيرته - جهوده في الدراسات القرآنية - الكتابات حوله، ص: 9 - 11.

2- (قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية):

طُبِعَ الكتابُ لأوَّلِ مرَّةٍ بدارِ البشيرِ للنَّشرِ بعمَّانَ، سنة (1987م)، وطُبِعَ الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّةُ سنة (1410هـ - 1989م)، في (288) صفحة، وكانَ تَأليفُهُ بسببِ ما أُثِيرَ حَوْلَ القرآنِ مِنْ شبهاتٍ، فقد قَسَمَ المؤلِّفُ كتابَهُ إلى تمهيدٍ، وثمانيةِ فصولٍ، حيثُ خَصَّصَ لكلِّ عنوانٍ مِنَ العناوينِ التي جاءت في الموسوعةِ فصلاً مُستقِلاً، وقَسَمَ كلَّ فصلٍ إلى قضايا وجزئياتٍ تتحدَّثُ عن كلِّ قضيةٍ مُنفردةٍ، كما ضَمَّنَه الرُّدودَ العلميَّةَ المُحكِّمةَ على ما أورده المُستشرقونَ مِنْ شبهاتٍ وأباطيلٍ حَوْلَ نزولِ القرآنِ ونظْمِهِ، وبلاغتِهِ وإعجازِهِ، وقصصِهِ ومناهجِ مُفسِّرِيهِ، وذلكَ بأسلوبٍ علميٍّ مُتَّسِمٍ بالموضوعيَّةِ. كما امتازَ بأنَّ جعلَ للقصةِ القرآنيَّةِ مساحةً واسعةً مِنْ كتابِهِ، معَ اهتمامِهِ بإيرادِ القضيةِ المتعلِّقةِ بأسلوبِ القصةِ، ومما امتازَ بِهِ كتابُهُ أَنَّهُ عقدَ فِيهِ مُقارنَةً بينَ القرآنِ الكريمِ والتَّوراةِ أثناءَ عرضه لقصةِ يوسفَ - ﷺ -، كما اهتمَّ بإيرادِ أهدافِ القصصِ القرآنيِّ ونظاميِّها، معَ بيانهِ لوظيفةِ الأنبياءِ، واستعراضِ قصصِهِم، والهدفِ مِنْ ذكرِ الأنبياءِ السَّابِقِينَ في القرآنِ، واختتمَ كتابَهُ ببيانِ الصِّلَّةِ بينَ سيِّدنا مُحَمَّدٍ وإبراهيمَ - ﷺ -⁽¹⁾.

3- (القصصُ القرآنيُّ؛ إبحاؤه ونفحاته):

طُبِعَ هذا الكتابُ لأوَّلِ مرَّةٍ بدارِ الفرقانِ في عمَّانَ بالأردنِ عام (1407هـ - 1987م)، في مجلِّدٍ واحدٍ من (453) صفحةٍ حيثُ عرضَ المؤلِّفُ فِيهِ لقضيةِ التَّكرارِ في القرآنِ الكريمِ، وأوردَ قصصَ الأنبياءِ، ونماذجَ مِنْ القصصِ القصيرةِ، ثمَّ اختتمَ كتابَهُ بإيرادِ بعضِ الشُّبهِ حَوْلَ القصةِ القرآنيَّةِ، وردَّ عليها بطريقتيَّةٍ موضوعيَّةٍ تحليليَّةٍ. ومنَّ مميَّزاتِ هذا الكتابِ: أَنَّهُ يُعالجُ موضوعَ التَّكرارِ، وَأَنَّهُ يبيِّنُ أهميَّةَ القصةِ القرآنيَّةِ وأهدافها، كما يُرتِّبُ القصصَ في السُّورِ القرآنيَّةِ، وقد جعلَ جُلَّ كتابِهِ تطبيقاً عملياً على كلِّ نبيٍّ مِنَ الأنبياءِ، مُبرزاً القصةَ مِنْ جانبِ جزئياتها، وموضوعاتها، ومواقفها، ومشاهدتها. معَ بيانِ اختصاصِ كلِّ قصةٍ بما يتَّسَّقُ معَ شخصيَّتها. كما امتازَ بتعقيبه على كلِّ قصةٍ منها، والإشارة إلى ما فيها مِنْ فوائدٍ، ولبناتٍ حضاريَّةٍ وضعها الأنبياءُ في البناءِ الإنسانيِّ⁽²⁾.

4- (قصصُ القرآنِ الكريمِ؛ صدقُ حدِّثٍ وسموُّ هدفٍ، إرهافُ حسِّ وتهديبُ نفسٍ):

بعدَ التَّعديلاتِ التي أجراها المؤلِّفُ على الطبعَتَيْنِ الأولىينِ للكتابِ، وبعدَ مزيدِ تنقيحٍ، طُبِعَ الكتابُ الطَّبَعَةُ الثَّالِثَةُ بدارِ النَّفائسِ في الأردنِ سنة (1430هـ - 2010م)، في (768) صفحةٍ، وهو تصحيحٌ لكتابِهِ الأوَّلِ - إبحاؤه ونفحاته - وزياداتٌ وتحقيقاتٌ، حيثُ توسَّعَ في الرِّدِّ على بعضِ الشُّبهِ والآراءِ، معَ تحقيقِ كثيرٍ مِنَ القضايا التي اختلفتَ فِيها آراءُ الباحثينَ. فقد قَسَمَ

1/ أفنان "محمد عدنان" شريف الشيخ، القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس، ص: 52.
2/ المصدر نفسه، ص: 28، 29.

كتابه إلى بابين، الأول: دراسات حول القصة، تناول الحديث فيه عن بعض الكاتبين في القصص القرآني، وأهداف القصة وخصائصها، والشبهات التي أثيرت حولها، وقضية التكرار. والثاني: عرض فيه جُلَّ قصص الأنبياء، وبعض القصص القرآنية القصيرة. وما هو إلا استدراك على كتابه الأول⁽¹⁾. وكان مما امتاز به هذا الكتاب عن سابقه: أنه قام بتصحيح الأخطاء مع إضافة بعض الزيادات عليه، وتحقيق عدد من القضايا، وامتاز بالتوسُّع في الردِّ على الشُّبهات، وردِّ بعض الآراء، كالنظريات التي افنتت بها بعض الكاتبين، مع التنبية على بعض قضايا الإعجاز في القصة، كما امتاز بتفسير الكلمات والعبارات التي تحتاج إلى تفسير، والرَّبط بين القصة القرآنية والواقع المعيش؛ وذلك لاستنباط الدروس العملية من القصص القرآني⁽²⁾.

وينبغي الإشارة إلى أن ما جاء في عنوان الكتاب: (صدق حدثٍ وسموُّ هدفٍ إرهافٍ حسنٍ وتهذيبٍ نفسٍ) لا يبدو منسجماً مع محتواه، في حين أن عنوان كتابه الأول: (القصص القرآنيُّ إبحاؤه ونفحاته) كان الأوفق في التسمية؛ لما في القصص القرآنيِّ من لطائف وإشارات ونفحاتٍ مائعة، تشدُّ السامع والقارئ والمتدوِّق.

5- (إعجاز القرآن المجيد):

يعدُّ هذا الكتاب دراسةً في تاريخ الإعجاز وجهود العلماء الأقدمين والمحدثين، فقد طُبِعَ في مجلِّدٍ واحدٍ بدار النَّفائس في الأردن عام (2016م) في (384) صفحة، وهو عبارة عن مجموعة أبحاثٍ أعدّها فضل عباس حول إعجاز القرآن الكريم، ثمَّ جمعتها ابنته، وقامت بمراجعتها والتعليق عليها. فاشتمل الكتاب على بابين، الأول: أبحاث في الإعجاز عند العلماء الأقدمين، والثاني: الإعجاز عند بعض العلماء المحدثين⁽³⁾. وقد امتاز هذا الكتاب باستعراضٍ لتاريخ التَّأليف في الإعجاز القرآنيِّ، وذلك ابتداءً من القرن الثالث الهجريِّ، مروراً بامتداد يد التَّأليف مع مضيِّ الزَّمن، وحتى عصرنا الحديث، فهو يعرض آراء العلماء ويتبعها بشرحه، مع بيانه لوجهة نظره في كلِّ ما يعرضه من قضايا ومؤلفات وآراء. كما أن كتابه يُعدُّ مقدِّمةً للقارئ عن إعجاز القرآن، أو لمن له عناية بما كتب العلماء حول هذا العلم.

1/ أ. د. فضل عباس، (ت: 1432هـ) سيرته - جهوده في الدراسات القرآنية - الكتابات حوله، ص: 13-15.
2/ قصص القرآن الكريم، ص: 6-10.
3/ أ. د. فضل عباس، (ت: 1432هـ) سيرته - جهوده في الدراسات القرآنية - الكتابات حوله، ص: 17/18.

6- (التفسير والمفسرون؛ أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث):

طُبِعَ هذا الكتابُ الطَّبْعَةَ الأولى بدارِ النَّفائسِ سنة (1437هـ - 2016م) في (1958) صفحة، وكانَ أصلُه أطروحته التي قدمها لنيلِ درجةِ الدكتوراه، وذلكَ بعدَ إعادةِ صياغتها، وإضافةِ تعديلاته عليها، فقد قسّمَ كتابه إلى ثلاثةِ مُجلّداتٍ، الجزء الأول: التفسيرُ أساسياته واتجاهاته، تحدّثَ فيه عن: معنى التفسير، وأنواعه، ومراحلِهِ، وتطوُّره، واختلافِ المفسرين، وأسبابِ الاختلافِ، وما يتعلّقُ بالإسرائيليات، ثمّ تحدّثَ عن اتجاهاتِ التفسير: الاتجاهَ البياني، والفقهِي، والعقائدي، والموضوعي، معَ ضربِ أمثلةٍ لها، وذكرَ أصحابِ هذهِ الاتجاهاتِ، كما تحدّثَ عن التفسيراتِ المنحرفة. وفي الجزء الثاني: تحدّثَ عن مدارسِ التفسير: المدرسة العقلية الاجتماعية، والعلمية، والتربوية، ومدرسة الجمهور، كما تناولَ مناهجَ جُلّةٍ من العلماء، وذكرَ نماذجَ من تفسيراتهم ومحاسنهم. وفي الجزء الثالث: تحدّثَ فيه عن مناهجِ بعضِ المفسرين في عصرنا الحديث⁽¹⁾.

7- (تفسير القرآن المجيد)، وهو التفرُّغُ الصوتيُّ للتفسير الإذاعي:

صدرَ هذا التفسيرُ في خمسِ مُجلّداتٍ، ونُشِرَ عام (1438هـ - 2017م) وهو تفسيرٌ كاملٌ للقرآن الكريم، قدّمه عباس في (452) حلقةً إذاعيةً، وذلكَ عبرَ أثرِ إذاعة (حياة إف إم)، حيثُ قاربَتْ عددُ ساعاته (150) ساعةً صوتيةً، ثمّ حُوّلتِ المادةُ الصوتيةُ إلى مادّةٍ علميةٍ مكتوبةٍ من قِبَلِ اللجنة العلمية بجمعية المحافظة على القرآن الكريم بالأردن، فعنيت بحسنِ صياغته، وتخريجِ أحاديثه، وذكرِ القراءات، وتوثيقِ بعضِ النصوص⁽²⁾. وكانَ ممّا امتازَ به تفسيره: عنايته بموضوع السورة، ووقوفه مع اختيارِ المفردة القرآنية، مُبرِّزاً ما حوِّثه من قضايا نحويةٍ وبلاغيةٍ. وكذلكَ التّرجيحُ بينَ الأقوالِ المتعدّدة، معَ اعتنايه باختيارِ الرّأيِ المُوافقِ للمأثورِ واللُّغةِ والسِّيَاقِ. بعضِ الدراسات والأبحاث العلمية التي قامت حول فضل عباس:

1- (منهج الدكتور فضل عباس في دراسته لمسائل علوم القرآن الكريم)؛ دراسة تحليلية نقدية: من إعداد: دعاء أمين الناطور، بإشراف: سليمان الدقور، وهي (رسالة ماجستير) بقسم التفسير وعلوم القرآن، في كلية الدراسات العليا، بالجامعة الأردنية بعمّان، نوقشت عام (2014م). حيثُ

1/ أ. د. فضل حسن عباس، (ت: 1432هـ) سيرته - جهوده في الدراسات القرآنية - الكتابات حوله، ص 13/12. وفضل عباس، مقدمة كتابه: التفسير والمفسرون، 5/6، 1. ملحوظة: تشير ابنته إلى أن أباهما كان قد طلب منها الكتابة في منهج محمد أبو زهرة إضافة لما كان قد كتبه في رسالة الدكتوراه، وكذلك طلب الرجوع إلى رسالة جمال أبو حسان التي كتبها في منهج محمد الطاهر بن عاشور؛ للأخذ منها وضمه إلى كتابه، وكذلك كان قد طلب من جهاد النصيرات أن يكتب في منهج عبد الكريم الخطيب، كما بينت ابنته أن المؤلف لم يقرأ ما كُتب في هذه الفصول الثلاثة. فضل عباس، التفسير والمفسرون، 5/6، 3.

2/ تُعدُّ من الجمعيات البارزة في خدمة القرآن الكريم تعليمًا وتحفيظًا وتجويدًا وتدبّرًا، أسست في السابع من شوال (1411هـ).

تناولت منهجه في كتابيه: (إتقان البرهان في علوم القرآن)، و(غذاء الجنان بثمر الجنان)، ومنهجه في بعض القضايا المتعلقة بعلوم القرآن، وبعض شبهات المستشرقين والحدائين.

2- (البلاغة القرآنية عند العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس وأثرها في الإعجاز والتفسير)؛ دراسة وتحليل ونقد: من إعداد: عبد الله حماد عبد الله العوايصة، بإشراف: د. جمال محمود أبو حسان، (أطروحة دكتوراه) بكلية الدراسات العليا، بقسم أصول الدين، شعبة التفسير وعلوم القرآن، في جامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن، نوقشت بتاريخ: 2014/08/18م بعمان. حيث قُسم البحث إلى ثلاثة فصول، الأول: التعريف بفضل عباس، ووجوه الإعجاز عنده، والثاني: بلاغة الحروف والكلمة القرآنية، وموقفه من بعض القضايا، والثالث: بلاغة الجملة القرآنية، ودلالات التركيب، وغيرها من آرائه وأقواله وترجيحاته⁽¹⁾.

3- القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس -رحمه الله؛ دراسة تحليلية مقارنة: من إعداد: أفتان محمّد عدنان شريف الشيخ، بإشراف: أحمد سليمان البشايرة، وهي (أطروحة دكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن، بجامعة العلوم الإسلامية العالمية، نوقشت بتاريخ: (2015/01/19م)، في كلية الدراسات العليا، بقسم أصول الدين، بعمان - الأردن.

4- (مسلك فضل عباس في دراسة القصص القرآني): للكاتبين: زاملية حبيبة، وسابق حدة، وهو بحث نُشرَ بمجلة المعيار، في المجلد: 25، بالعدد: 55 - لسنة (2021م). حيث نُسلطُ الورقة الضوء على جهوده في دراسة القصة القرآنية بغية الوقوف على بعض مزايا منهجه ومظاهر إبداعه في دراسة القصة القرآنية. وهذه النماذج من الدراسات على سبيل الذكر لا الحصر⁽²⁾.

توفي فضل عباس يوم الأربعاء السادس من ربيع الأول، سنة (1432هـ)، الموافق للتاسع من شهر فبراير سنة (2011م) في العاصمة الأردنية عمان، وكان حينئذٍ قاصداً بيت الله الحرام لأداء مناسك العمرة، عن عمر يُناهزُ التاسعة والسبعين عاماً، وصلي عليه عقب صلاة الظهر بمسجد الزميلي في منطقة الجاردنز، ودُفن بالمقبرة الإسلامية في مدينة (سحاب) بالأردن⁽³⁾.

1/ عبد الله حماد العوايصة، البلاغة القرآنية عند العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس وأثرها في الإعجاز والتفسير، المقدمة.

2/ ومن الدراسات حوله: العلامة الدكتور فضل حسن عباس وجهوده في التفسير، من إعداد: سناء فضل عباس، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، (2015م). وغيرها من الدراسات التي لم أقف عليها.

3/ أ. د. فضل حسن عباس، (ت: 1432هـ) سيرته - جهوده في الدراسات القرآنية - الكتابات حوله، ص: 7.

الفصلُ الأوَّلُ

العلاقةُ بينَ الإعجازِ والقصةِ القرآنيَّةِ

عند عبدِ الكريمِ الخطيبِ وفضلِ عباس

مفهوما الإعجازِ والقصةِ القرآنيَّةِ عند عبدِ الكريمِ الخطيبِ

وفضلِ عباس

رؤيتهما في مجالاتِ الإعجازِ

موقفهما من صلةِ الإعجازِ بالقصصِ القرآنيِّ

الفصل الأول

العلاقة بين الإعجاز والقصة القرآنية

مفهوما الإعجاز والقصة القرآنية عند عبد الكريم الخطيب وفضل عباس

يعدُّ القرآن الكريم معجزةً إلهيةً تتحدى العقلَ البشريَّ، وتُفوق قدراته اللغوية والأدبية، وهو مصطلحٌ إسلاميٌّ يستعمل لوصف الطبيعة المتميزة لكتاب الله تعالى، حيث أدى ذلك الإعجازُ المبتُوث فيه إلى الإقناع العقليِّ والتأثير الوجدانيِّ. فهو يشمل جميع جوانب القرآن، ويتجلى في جميع حروفه وآياته؛ ليكون مُعجزةً لكلِّ من الجن والإنس، بل ومُتحدِّيًا لأرباب البلاغة والفصاحة والبيان بأن يأتيوا ولو بأيةٍ من مثله، فضلاً عن أن يأتيوا بقصة من قصصه، فبانَ عجزُهم واستسلامُهم، في دلالةٍ صريحةٍ على عظمة القرآن، وصدق رسالة الإسلام، وأنَّ القرآنَ معجزةٌ دائمةٌ تتحدى الأجيال على تعاقب الأزمان، ولا يزال هذا التحدي مستمراً.

حيث تُعدُّ القصةُ هي إحدى أهمِّ نواحي الإعجاز في القرآن الكريم، إذ تشكّل القصصُ القرآني نسبةً كبرى من كتاب الله تعالى، ومما يتمثلُ الإعجازُ فيها أنها تصوّرُ بشكلٍ عجيبٍ هذا الواقع، وكأنك تراه رأي العين.

• رأيهما في الإعجاز

يتجلى الإعجاز في روعة الأداء القرآني من خلال العرض البديع للقصص، بحيث لا يقتصرُ الإعجازُ على هذا الجانب وحده، بل يلمسُ كلَّ كلمةٍ من كلمات القرآن، ممَّا يكشفُ عن تدبيرِ إلهيِّ مُعجَزٍ وعجيبٍ. حيثُ نجدُ الخطيبَ يعرفُ المعجزةَ⁽¹⁾ كما جاء عند السيوطي بأنها: "أمرٌ خارقٌ لِلعادةٍ مقرونٌ بالتحدي سالمٌ عن المُعارضةِ وهي إمَّا حسيَّةٌ وإمَّا عقليَّةٌ"⁽²⁾. كما صنَّفَ الخطيبُ المعجزةَ بأنها إمَّا أن تكون معجزةً حسيَّةً: أي أنها تجابه الحواسَّ، وتقوم بتحديِّ القُدْرِ البشريَّة، ومعظمها من المعجزات التي سبقت معجزةَ نبيِّ الإسلام -ﷺ-، فهي تقع في مجال الحسن، وإمَّا أن تكونَ معجزةً عقليَّةً: فهي تصطمم بالعقل، فتقابلة بكلِّ حواسِّه وقدراته الإدراكيَّة، فيلقاه كلُّ بحسب فهمه وقدرته على التفريق بين الخير والشرِّ⁽³⁾.

بينما يرى فضل عباس أنَّ أولى التعريفات للمعجزة في اللغة هو ما عرفه الرَّاعِب الأصفهاني بقوله: "عَجَزُ الإنسان: مُؤَخَّرُهُ، وبه شُبَّهَ مُؤَخَّرٌ غيره. قال تعالى: كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْفَعِرٍ، وَالْعَجْزُ أَصْلُهُ التَّأَخُّرُ عَنِ الشَّيْءِ، وَحَصُولُهُ عِنْدَ عَجْزِ الْأَمْرِ، أَي: مُؤَخَّرُهُ، كما ذكر في

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 87.

2/ الإتيان في علوم القرآن، 4/ 3.

3/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 87، 88.

الدُّبْر، وصار في التّعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضدّ القدرة⁽¹⁾. يقول عباس: "والمتدبر لأي القرآن الكريم يدرك هذه القضية، واللغويون والمفسرون مجمعون على أنه ليس للعجز إلا هذا المعنى"⁽²⁾. إذن هناك صلة وثيقة بين هذا المعنى وبين القصور عن الشيء، لذا فإنّ التّأخّر والقصور متلازمان.

يقول عبّاس: "فكلمة إعجاز مصدر، وإضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر إلى فاعله فكأنّ التقدير أعجز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، ومعنى ذلك أنّ هذا القرآن الكريم دلّ بما فيه من بيانٍ على أنّه من عند الله، وثبتّ عجزُ الناس عن أن يأتوا بمثله"⁽³⁾. ثم يشير إلى أنّ مصطلح الإعجاز والمعجزة له أساس لغويّ صحيح، ويرى أنّ هذا المصطلح قد تأخّر ظهوره إلى ما بعد القرن الثّاني الهجريّ، حيث نشأ في بيئة المتكلمين⁽⁴⁾ أثناء دفاعهم عن كتاب الله، من خلال ردودهم على تكهّنات أهل الزّيغ والضلال، وتخرّصات الملاحدة والزنادقة، وشبهات أهل البدع والأهواء⁽⁵⁾.

ويُعرّف الخطيب مصطلح الإعجاز بقوله: "وأنت تعلم أنّ القرآن هو معجزة كلامية، قد أعجزت كلّ متكلم، وأخرست كلّ ناطق، وأنّ القرآن الكريم حين تحدّى العرب (بالكلمة)؛ إنما تخيّر زماناً ومكاناً، دعا فيه أهل هذا الزمان وذلك المكان إلى التحدي.. وكان أهل هذا الزمان وذلك المكان بحيث لا ترى الحياة بعدهم أو قبلهم من بلغ أو يبلغ شأوهم في هذا الميدان.. وبهذا يكون إفحام هؤلاء القوم وإعجازهم حجة قائمة على الناس جميعاً"⁽⁶⁾. أي أنّ الله قد اختار للقرآن أفصح الأزمنة، وأبلغ الأقوام؛ لتوجيه هذا التحدي، أي زمن قريش وما حولها، حيث كانت اللغة هي ميدان التفاخر والمسابقة، فكانوا خير من يتحدّى في هذا الجانب.

ويردّف الخطيب قائلاً: "وهذا شاهد قائمٌ أبد الدهر على أنّ اللغة العربية هي وحدها من بين اللغات، اللغة الصّالحة للمعجزة الكلامية. وأنّ الكلمة لا تبلغ مبلغ الإعجاز إلا في هذه اللغة وبها"⁽⁷⁾. لأنّها هي الوعاء الوحيد المناسب لمعجزة بيانية، فالإعجاز اللغوي لا يتحقّق في غيرها.

1/ المفردات في غريب القرآن، ص: 547.

2/ إعجاز القرآن، ص: 11.

3/ المصدر نفسه، ص: 27.

4/ عرف الجرجاني علم الكلام بأنّه: "علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام". التعريفات، باب: العين، ص: 156. ومن أشهر علماء المتكلمين: أبو الحسن الأشعري والباقلاني والجويني والرازي، وغيرهم. وسمي المتكلمون متكلمين: لأجل تكلمهم في علم الكلام، وكان أول من قالها عمرو بن عبيد، ثم خلفه بعد موته: عطاء بن واصل. الألويسي، غاية الأمان في الرد على النبهاني، 420/1.

5/ إعجاز القرآن، ص: 27.

6/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 136.

7/ المصدر نفسه، 1/ 136.

ثم يُقرّر الخطيب أنّ حُجّة إعجاز القرآن تكوّن ظاهرةً على كلّ من يُتقن العربية، ويحتاج من أجل الإيمان به مُعجزةً تثبت صدق الرسالة، ثمّ يُشير إلى أنّ عدم معرفة الإعجاز القرآني لا يمنع الدخول في دين الإسلام، لكنّ تلك المعجزة سيقت لأجل صدور من مُلئت أفئدتهم عناداً وكبراً، إذ لم يستجيبوا لنداء ربهم، ولم يخضعوا للحق الذي جاء به رسوله⁽¹⁾. لذا كانت الحجّة أكبر على من يُحسن العربية، وليس معنى هذا أنّ الأعجمي لا يستطيع الوقوف على بعض إعجازه؛ لأنّ من وجوه إعجازه تأثيره في النفوس البشرية بمجرد سماعه من عربٍ ومن عجم.

في حين نجد عبّاس يشير إلى مسألة التحدّي فيصف العرب بأنهم امتازوا بسلامة سجيّتهم، وعرفوا بسرعة البديهة؛ لأنّهم على دراية واسعة بقواعد وأصول النّقد الأدبيّ، وتلك المعرفة ناتجة عن ملكة الذوق عندهم، لذا تجذّب القرآن قد استولى على مسامعهم، بمجرد أن يُتلى عليهم، فصار حديثاً لهم في نواديهم وموضوعاً في مجامعهم، فتحدّاهم القرآن بسبب عنادهم، بل وأطلق لهم العنان في ميدان التّحدي، لكنّهم عجزوا عن مجاراته أو مُعارضته، بالرّغم من توافر دوافع تلك المُعارضة⁽²⁾. ولقد ضرب عبّاس مثاليّن يُدلل فيهما على عجز العرب، فالأوّل: عن الوليد بن المغيرة لما قال عن القرآن: "وَاللّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُنْمَرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحِطُّمُ مَا تَحْتَهُ"⁽³⁾.

والآخر: هو قول أنيس أخى أبي ذرّ -رضي الله عنه- حينما سمع القرآن الكريم، فقال: "لقد سمعتُ قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعتُ قوله على أقرء الشعير فما يلتئم على لسان أحدٍ بعدي أنّه شعيرٌ، والله إنّهُ لصادقٌ وإنّهم لكاذبون"⁽⁴⁾. ذلك لأنّ القرآن الكريم قد تحدّى العرب بالصنّاعة التي يفخرون بها، وبالأصالة التي يتغنّون بها، كيف لا وهم مجبولون على الحميّة والأنفة والكبرياء، حيث يرى عبّاس أنّ أحوالهم كلّها إنّما تدلّ في الحقيقة على عجزهم⁽⁵⁾. لذا فإنّ من المعلوم أنّ المخاطب بتحدّي القرآن في المراحل الثلاث هم العرب، حيث كان البيان بضاعتهم، والبلاغة سجيّتهم، لذا جاءت المرحلة الرّابعة مخاطبةً للنّاس جميعاً، عرباً وعجمًا، وهذا التّحدّي لم يكن بالبيان وحده، بل هو تحدّي عامٌ لكلّ المخاطبين به؛ لأنّ هذه الرسالة هي خاتمة الرسالات، فكذا كانت معجزةً مُتحديةً لكلّ مخاطبٍ بتلك الآيات.

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 138.

2/ إعجاز القرآن، ص: 29.

3/ أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة المدثر، برقم: (3872)، 2/ 550. وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِسْنَادًا عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

4/ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي ذرّ -رضي الله عنه-، برقم: (2473)، 4/ 1919.

5/ إعجاز القرآن، ص: 29.

ثم يشير الخطيب إلى القرآن بقوله: "إنَّ القرآنَ سيظلُّ أبدَ الدهرِ معجزةً مُتحديةً.. تملأُ
أسماعَ الدنيا بقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾⁽¹⁾⁽²⁾. ولقد جاء هذا التَّحدِّي بكلِّ صراحةٍ وقهرٍ واستعلاءٍ.

وهنا يطرحُ الخطيبُ⁽³⁾ سؤالاً مهمًّا، وهو: لماذا عجز العرب عن معارضة القرآن،
والوقوف في وجه هذا التحدي الذي دعاهم إليه في إصرار وقوة وإثارة وسخرية؟ لماذا عجزوا
وفي أيديهم كل ما في يده من أسلحة المعركة.. الحروف والكلمات والأساليب؟
ولقد أجاب عن هذا التساؤل باستطرادٍ، حيث ضرب أمثلةً لذلك العجز القائم الذي لا
ينقطع، ثم قال: "والقرآن بمنزلة الشمس.. فكما لا ينسخها ولا يُغني عن ضوئها ولا يُرخصُ من
قيمتها وقدرها عملٌ من أعمال الإنسان، ولا مخترعٌ من مخترعاته - كذلك لا ينسخُ القرآن -
كتاب أدبٍ، ولا يُغني عنه، ولا يُرخصُ من قيمته وقدره أي أسلوبٍ آخر من أساليب الأدب يظهر
في عصرٍ من الأعصار! وهذه منزلةٌ لم تكن إلا للقرآن وحده.. لم ولن يتحوَّل عنها أبدًا، وإن
تحوَّل كلُّ شيءٍ وتبدَّل"⁽⁴⁾. حيث شبَّه الخطيب القرآن بالشمس، وهي أعظم مصدرٍ للنور والحياة؛
ليؤكد على ثبات عظمة القرآن وعدم قابليته للتغيير، ويؤكد على خلود تأثيره وأبديته، وعجز
العقل البشري مهما سما أن يبلغ مبلغه، أو يقوم مقامه.

ثم يشير الخطيب إلى مراحل الانتقال في اتجاهات النظر إلى علم الإعجاز بسبب تأثرها
بالعامل الزماني، وبسبب التأثيرات الفكرية المتبادلة بين العلماء، حيث سلك العلماء في الإعجاز
مسلكًا سار فيه اللاحقون منهم على خطى السابقين⁽⁵⁾، يقول المولى -⁽⁶⁾: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا
لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾⁽⁶⁾. لذا فالملاحظُ عدم تباين أقوال الخلف
عن أقوال الأوائل في جُلِّ المسائل المتعلقة بالإعجاز القرآني.

1/ سورة الإسراء، الآية: 88.

2/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 278.

3/ المصدر نفسه، 2/ 166.

4/ المصدر نفسه، 2/ 176.

5/ المصدر نفسه، 2/ 153.

6/ سورة الكهف، الآية: 109.

• مفهوم القصة

تعدُّ القصة القرآنية أحدَ أهم الأساليب البيانية الظاهرة، حيث اعتمدها القرآن الكريم لعرض حقائقه، وتبليغ رسالاته، بالنظر لما تحمله القصص من تأثيرٍ بالغٍ في النفس البشرية، حيث يعرض القرآن محطاتٍ تاريخيةً دون تفصيلٍ مملٍ، أو تكرارٍ مُخلٍ، فهي لا تُروى لمجرد الإمتاع أو السرد التاريخي فقط، وإنما تهدف إلى تحقيق مقاصد تربوية وعقائدية وتشريعية وتاريخية، ومراعاةً للعبارة والعظة.

فالقصُّ في اللغة: هو "تتبع الأثر"⁽¹⁾. ومنه قوله تعالى على لسان أم موسى -ﷺ:-

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾⁽²⁾، والقصص: "الأخبار المتتبعة"⁽³⁾، وإلى هذا المعنى الذي وضَّحه الرَّاعِبُ ذهبَ جُلُّ اللغويين⁽⁴⁾.

يشيرُ الخطيبُ إلى المعنى اللغوي للقصة بأن أصل اشتقاقها يلتقي مع مفهوم أصل تسميتها بالقصص القرآني، فالقصة اشتقت من القص الذي هو تتبع للأثر، فقد جاء على وفق ما انتهى إليه أمره⁽⁵⁾. حيث شبّه الخطيب ذلك التتبع للأثر بقوله: "فالقصُّ للأثر أشبه ما يُعرف في عصرنا هذا بتصوير (البصمات) أو رفع الآثار وتصويرها، ليستدلَّ منها على ما وراءها من أحداثٍ مضت، وليمسك بما يقدر على إمساكه منها"⁽⁶⁾، لتكون شاهدةً على الحقيقة، ومؤكدةً للهوية، ومحفوظةً بأدق التفاصيل.

ويرى الخطيبُ أنّ الاشتقاق اللغوي للقصة أو القصص: "هو كشفٌ عن آثارٍ، وتنقيبٌ عن أحداثٍ، نسيها الناسُ أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد بهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد، لتذكير الناس بها، وإفاتهم إليها، ليكون لهم منها عبرةٌ وموعظةٌ"⁽⁷⁾، ففي هذا الشأن يقول الله -ﷻ:-

﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁸⁾. فهي لا تقتصر على مجرد سرد الأحداث،

1/ المفردات في غريب القرآن، ص: 671.

2/ سورة القصص: من الآية: 11.

3/ المفردات في غريب القرآن، ص: 671.

4/ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة قص، 5/ 11، والفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، بصيرة في قص وقصد، 4/ 271.

5/ القصص القرآني في منظوقه ومفهومه، ص: 44.

6/ المصدر نفسه، ص: 45.

7/ المصدر نفسه، ص: 48.

8/ سورة يوسف: الآية: 111.

وإنما تتضمن توجيهاتٍ ودروسًا وعبيرًا مُستفادًا من تجارب الأمم السابقة، ولتكون مصدرَ إلهامٍ وتحفيزٍ للقارئ والمستمع، ودعوةً للتأمل في معانيها العميقة.

إذن فالقصةُ في القرآن إنما هي تتبُّعٌ لأحداثٍ سالفَةِ الوقوع، حيثُ تعرضُ منها ما ترى عَرْضَه، فيرى الخطيبُ أنها تدخلُ في المعنى العامِّ لكلمتي: خبرٍ ونبأ⁽¹⁾. ثمَّ يُنبئه إلى قضيةٍ مهمَّةٍ في التعريفِ اللغويِّ وهي: أن تتبُّعَ الأثرِ يشتملُ التعرُّفَ على صاحبِ الأثرِ، وعليه فلا يُكتفى في القصةِ بتتبُّعِ الأثرِ والخبرِ فحسبُ، وإنما يجبُ أن يضافَ إلى ذلكِ التعرُّفُ إلى الأشخاصِ، إذ بدون ذلكِ ستفقدُ القصةُ عنصرًا أساسيًا فيها، وهو الشَّخصيَّاتُ⁽²⁾.

كما يشيرُ الخطيبُ إلى أنَّ إطلاقَ القرآنِ لفظَ القصصِ إنما أرادَ به كلَّ أحداثٍ وأخبارِ القرونِ السالفةِ في الكتبِ السماويةِ، وما تبعها من صراعٍ أزلِّيٍّ بينَ قوى الخيرِ والشرِّ⁽³⁾. حيثُ يقرَّرُ بأنَّ القصةَ القرآنيةَ قد بُنيتُ بناءً مُحكمًا من لبناتِ تلكِ الحقيقةِ المطلقةِ، التي لا يطوفُ بحماها طائفٌ من خيالٍ.

وفي نحو هذا يقول ابن عاشور: "وللقرآن أسلوبٌ خاصُّ: هو الأسلوبُ المُعبَّرُ عنه بالتذكيرِ وبالذكرِ في آياتٍ يأتي تفسيرُها، فكان أسلوبُه قاضيًا للوطرين، وكان أجلَّ من أسلوبِ القصَّاصين في سوقِ القصصِ لمجرد معرفتها؛ لأنَّ سَوْقَها في مناسباتها يُكسبُها صفتين: صفةَ البرهانِ، وصفةَ التبيانِ، ونجد من مميَّزاتِ قصصِ القرآنِ نسجُ نظمها على أسلوبِ الإيجازِ؛ ليكونَ شَبْهَها بالتذكيرِ أقوى من شَبْهَها بالقصصِ"⁽⁴⁾. وما ذكره الخطيبُ وابن عاشور يبرزُ الخصوصيةَ التي تميزُ بها القصصِ القرآني عن قصصِ القصَّاصين؛ لما يحمله من إعجازٍ بليغٍ، وأسلوبٍ فريدٍ مبتكرٍ، وبناءٍ مُحكمٍ يخلو من أيِّ أثرٍ للخيالِ البشري.

كما يذهب الخطيبُ إلى القولِ بأنَّ القصةَ تعدُّ أفضلَ وسيلةٍ من وسائلِ التَّربيةِ والتَّهذيبِ، فالعرضُ القصصيّ لتلكِ الحوادثِ ولأولئكِ الأشخاصِ؛ يفتحُ ويجددُ أشواقِ النَّفسِ إلى متابعةِ ذلكِ العرضِ المبهرِ، ويحفِّزُها على المشاركةِ الوجدانيَّةِ في مختلفِ مواقفِ وأحداثِ القصةِ، فيشعرُ القارئُ أو المشاهدُ أو المستمعُ، وكأنه جزءٌ منها، وأحدُ شخصياتها، يعيشُ معَ كلِّ حدثٍ من أحداثِها⁽⁵⁾. وهذا الإقناعُ العقليُّ المتمثِّلُ في عنصرِ الحوارِ في القصةِ هو ما يربطُ الوجدانَ بتلكِ القصةِ، وكأنَّه يشاهدُ كلَّ جزءٍ منها، وينفعلُ ويتفاعلُ معَ كلِّ نبرةٍ حزينٍ أو فرحٍ معها، إلى غيرِ ذلكِ من المشاعرِ المُصاحبةِ لها.

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 45.

2/ عبدالله عودة عبد عودة، دراسة تحليلية نقدية لكتاب: القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه للأستاذ عبد الكريم الخطيب، ص: 17.

3/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 40.

4/ التحرير والتنوير، المقدمة السابعة، 1/ 64، 65.

5/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 322، 323.

ثمَّ يَشِيرُ الْخَطِيبُ إِلَى عِنَصِرِ الْجَدِيَّةِ فِي الْقِصَصِ الْقِرْآنِيِّ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقِصَصَ مُسَاقً لَأَجْلِ الْعِبْرَةِ وَالْمَوْعِظَةِ، إِذْ لَا مَجَالَ فِيهِ أَلْبَتَّةَ لِلْهُوِّ أَوْ التَّنْسِلِيَّةِ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُهَيِّجُ تِلْكَ الْغَرَائِزَ الدُّنْيَا، كَمَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ كُتَّابِ الْقِصَصِ، إِذْ إِنَّهَا تَعُدُّ مِنْ أَهَمِّ الْمَقَاصِدِ عِنْدَهُمْ؛ لِعَرَضِ جَذْبِ الْقِرَاءِ إِلَيْهَا، وَسَعِيًّا وَرَاءَ إِثَارَةِ غَرَائِزِهِمُ الْكَامِنَةِ، وَتَحْرِيقًا لِعَوَاطِفِهِمُ الْخَفِيَّةِ⁽¹⁾.

فِي الْمَقَابِلِ نَجْدُ فَضْلِ عَبَّاسٍ قَدْ اشْتَرَكَ مَعَ الْخَطِيبِ بِالْقَوْلِ بِأَنَّ الْقِصَصَ الْقِرْآنِيَّ قِصَصٌ لَهَا أَهْدَافٌ وَغَايَاتٌ، وَلَيْسَتْ مَجْرَدَ تَحْلِيَّةٍ مُضَافَةٍ لِلنَّصِّ الْقِرْآنِيِّ، أَوْ مَجْرَدَ سَرْدِ تَارِيخِيٍّ، كَمَا يَرَاهَا كُتَّابُ الْقِصَصِ، وَلَيْسَتْ مَسْوُوقَةً سِيَّاقًا فَنِيًّا لِعَرَضٍ مِنْهُ الْمَتْعَةُ وَالتَّنْسِلِيَّةُ، فَهِيَ الصِّدْقُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي لَا زَيْفَ وَلَا شَكَّ فِيهِ⁽²⁾. وَالَّذِي يَظْهَرُ لِلنَّاطِرِ فِي هَذَا الْجَانِبِ أَنَّ الْقِصَصَ الْقِرْآنِيَّ لَهُ تَأْتِيْرٌ مَبَاشِرٌ عَلَى عَقْلِ وَقَلْبِ وَوَجْدَانِ الْمُتَلَقِّيِّ؛ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ هِدَايَتِهِ، حَيْثُ يَأْتِي ذَلِكَ الْقِصَصُ بِقَوَالِبَ تَعْبِيرِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، مِنْهَا مَا يَكُونُ بِالْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ لْجَانِبِ الْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ فِيهَا.

فَهُنَا نَلَاخِظُ اتَّفَاقَ الْخَطِيبِ وَعَبَّاسٍ فِي أَنَّ الْقِصَصَ الْقِرْآنِيَّ لَمْ يُسَقَّ لِأَجْلِ التَّنْسِلِيَّةِ وَاللَّهُوِّ، كَمَا نَجْدُ الْخَطِيبَ يَشِيرُ إِلَى اعْتِمَادِ كَثِيرٍ مِنْ كُتَّابِ الْقِصَصِ إِثَارَةَ الْغَرَائِزِ الْخَسِيْسَةِ، بَلْ جَعَلُوْهَا مِنْ الْمَقَاصِدِ الْأَصِيْلَةِ؛ وَذَلِكَ لِيَشَدُّوا الْإِنْتِبَاهَ بِأَسْلُوبٍ سَمِجٍ مَمْرُوجٍ بِاللَّهُوِّ وَالتَّنْسِلِيَّةِ وَالِاسْتِخْفَافِ بِالْعَقْلِ؛ إِثَارَةً لِلْغَرِيْزَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْخَبِيْثَةِ، وَبِالْمَقَابِلِ بَرَاءَةِ الْقِصَصِ الْقِرْآنِيِّ مِنْ تِلْكَ الْخِسَّةِ، وَمِنْ تَلْكَمِ الْأَسَالِيْبِ الرَّكِيكَةِ، بَلْ اعْتَمَدَ فِي قِصَصِهِ الْجَدِّ؛ لِأَجْلِ الْعِبْرَةِ وَالْعِظَةِ.

وَنَجْدُ فَضْلَ عَبَّاسٍ يُوَافِقُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْخَطِيبُ إِلَى أَنَّ الْقِصَصَ الْقِرْآنِيَّ لَمْ يَكُنْ بِبَهْدَفِ السَّرْدِ التَّارِيخِيِّ كَمَا هُوَ عِنْدَ الْمُؤَرِّخِيْنَ، وَإِنَّمَا كَانَ بِقِصْدِ التَّمَاسِ الْعِبْرِيِّ، وَالْوَقُوفِ عَلَى مَوَاطِنِ الْعِظَةِ. كَمَا يَشِيرُ إِلَى امْتِيَازِ الْقِصَصِ الْقِرْآنِيِّ بِأَنَّهُ قِصَصٌ وَاقِعِيٌّ، فَهُوَ يَمْتَلِ الصِّدْقَ كُلَّهُ، بِحَيْثُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِهِ⁽³⁾؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ

الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾⁽⁴⁾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾⁽⁵⁾. فَالْقِصَّةُ فِي الْقِرْآنِ تَعُدُّ إِحْدَى أَبْرَزِ مَعَانِي الْإِعْجَازِ، وَذَلِكَ فِي إِخْبَارِهَا عَنِ

الْأَمْرِ السَّالْفَةِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَانَتْ مَعْلُومَةً لَدِيْهِمْ فَجَاءَتْ مُصَحَّحَةً وَشَارِحَةً لَهَا،

1/ الإِعْجَازُ فِي دَرَاْسَاتِ السَّابِقِيْنَ، 323، 324/2.

2/ قِصَصُ الْقِرْآنِ الْكَرِيْمِ، ص: 43.

3/ الْقِصَصُ الْقِرْآنِيَّ إِحْوَؤُهُ وَنَفْحَاتِهِ، ص: 21، 22.

4/ سُورَةُ يُوسُفَ: مِنَ الْآيَةِ: 111.

5/ سُورَةُ الْكَهْفِ: مِنَ الْآيَةِ: 13.

كما يتمثل إعجازها في الأسلوب البليغ المؤثر لإحداث الغاية المطلوبة من عرض القصة، أو في وضوح التزامها بالأهداف القرآنية، وذلك في إطار الحوار الذي امتازت به القصة، والذي يعدُّ أفضل وسيلة للإقناع العقلي.

ويستشهد عباس⁽¹⁾ بما أثار عن النبي -ﷺ- قوله عن فتنة الخوض في الأحاديث لما سئل: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: "كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبْرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ"⁽²⁾. في إشارة صريحة من النبي -ﷺ- أن المخرج الآمن من هذه الفتنة وغيرها هو القرآن الكريم، الجامع لحقائق الماضي والمستقبل، والمشمول على التشريع المحكم.

وقد تبين من مظاهر الإعجاز البياني أن كل كلمة في كتاب الله تحمل أثرها المباشر، بحيث لا تغني عنها لفظة أخرى أو تقوم مقامها، فلكذلك القصة القرآنية فهي أداة من أدوات الإقناع، متمثلة في شخصيتها، وفي الحوار الذي يجري على لسان تلك الشخصيات، حيث لا تختلف من ناحية الأثر عن الآيات الأخرى، سواء من جهة الغاية التي سبقت لها، أو باعتبار الهدف المنشود منها، أو من حيث موضوعها الذي وضعت له، أو من ناحية الأسلوب المتبع في سردها. كما نشهد حرص القرآن على تداخل القصة بالحكم والعبر، وبالدروس المستفادة منها، وذلك بحسب ما دعت إليه الحاجة، والدعوة إلى استخراج العبرة منها، سواء أكان في مفتح القصة، أو في خاتمتها، وربما لاحت أثناء عرضها للقصة، أو بعد الانتهاء منها، وقد تجيء على لسان إحدى شخصيات القصة أثناء الحوار، وربما استهلَّت القصة بذكر العبرة منها، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّالِينَ﴾⁽³⁾.

فترى القصة القرآنية منطلقة من حقيقة راسخة صيغت بأسلوب فني مُعجز، يخاطب العقل والوجدان معاً لتحقيق رسالتها، وقد تنوعت موضوعاتها بين قصص الأنبياء والأمم السابقة، وأحداث السيرة، وأمثال الأمم، مع التركيز على العبرة والاتعاظ، دون التزام بذكر التفاصيل أو مراعاة التسلسل الزمني، كما هو الشأن في القصص الأدبي أو التاريخي.

1/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 9.
2/ أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما جاء في فضل القرآن، رقم: (2906)، 172/5. وقال: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الْحَارِثِ مَقَالٌ".
3/ سورة يوسف، الآية: 7.

رؤيتهما في مجالات الإعجاز

يعدّ الإعجازُ أحدَ أبرز خصائص القرآن الكريم، ودليلاً قاطعاً على مصدره الإلهي، حيث تحدّى الله به العرب والعجم على أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله، فعجزوا عن ذلك. والإعجاز في القرآن لا يقتصر على جانبٍ واحدٍ، بل يتوزّع على مجالاتٍ متعدّدةٍ، تُظهر عظمة هذا الكتاب وتفردّه، وتدلّ على أنّه كلام الله الذي لا يُشبهه كلامٌ، ولا يدانيه بيانٌ.

فمن هذه الصورة الكاملة لكتاب الله يقول الخطيب: "ولقد علا القرآن الكريم هذا العلوّ الشامخ، وارتفع ذلك الارتفاع البعيد عن متناول البلغاء والفصحاء، بهذا الإحكام المعجز في تصميم بنائه، وفي وضع كلّ حرفٍ، وكلّ كلمةٍ، وكلّ عبارةٍ مكانها الذي لا يمكن أن يكون غيرها قائماً مقامها فيه، والذي إن زُحزحت عنه تغيّر وجه الكلام، وربّما فسّد نظامه، وانفرد عقده"⁽¹⁾. وهذا ما درج علماء الإعجاز على تسميته بالإعجاز البياني الذي يتجلّى في روعة الأسلوب، ودقة الألفاظ، وجزالة المعاني، حيث يُعدّ من أعظم وجوه الإعجاز القرآني.

والناظر في كتاب الله يجد أنّ الإعجاز لا يقف على وجهٍ واحدٍ فقط، وذلك كما يتصوّرهُ الكثيرون؛ بل له عدّة وجوهٍ، فالناظر في كتاب الله قد تتكشّف له بعض وجوه إعجازه؛ لأنّ كلّ وجهٍ من وجوهه قائم بذاته معجزٌ في بيانه قاهرٌ دلّالته لا يُجاري⁽²⁾.

ويذكرُ الخطيب قولَ الجاحظ: "بعث الله محمداً ﷺ - أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغةً، وأشدّ ما كانت عدّةً، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجّة فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذي يمنعمهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبنو أعمامهم وهو في ذلك يحتجّ عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورةٍ واحدةٍ، أو بآياتٍ يسيرةٍ..."⁽³⁾. فالجاحظ يبرز حكمة الله في توقيت بعثة النبي - ﷺ -، إذ أرسله في أوج قوة العرب البيانية، فلم يُجبرهم بالسيف ولا بالمال، بل واجههم بالحجّة وحدّها، فالقرآن هو الحجّة البالغة، واللغة هي ميدان التّحدي، وذلك في زمنٍ كانت فيه الفصاحة والبلاغة والشعرُ والخطابةُ معيارَ التفوق وأساسَ القيادة.

ويُرجع الجاحظُ أنّ ذلك "من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريشٍ والعرب في الرأي والعقل بطبقاتٍ، ولهم القصيدُ العجيبُ، والرّجزُ الفاخرُ، والخُطبُ الطّوالُ البليغةُ، والقصارُ الموجزةُ، ولهم الأسجاع والمزدوج، واللفظ المنثور، ثمّ يتحدّى به أقصاهم بعد أن أظهر

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 379-380.

2/ المصدر نفسه، 1/ 239.

3/ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 4/ 6.

عجزَ أدناهم، فمُحالٌ- أكرمك الله- أن يجتمع هؤلاء كلُّهم على الغلطِ في الأمر الظاهر، والخطأ المكشوف البين، مع التفرع بالنقص، والتوقيف على العجز، وهم أشدُّ الخلق أنفةً، وأكثرهم مُفاخرةً، والكلامُ سيّد عملهم...⁽¹⁾. في دلالةٍ على استحالة اجتماع أصحاب الفطنة والفضل على خطأ واضحٍ. ويُعقَّب الخطيبُ على قول الجاحظ بقوله: "وإنَّ أكثرَ الذين أقاموا الحُجَّةَ على إعجاز القرآن من هذا الوجه، إنَّما نظروا إلى رأي الجاحظ هذا، واعتمدوا عليه وداروا حوله"⁽²⁾. وهنا يقرر الخطيب أن الجاحظ كان صاحب الأثر الأكبر في توجيه النظر إلى الإعجاز البياني القرآني من زاوية التحدي في ميدان اللغة، وأن من جاؤوا بعده نسجوا على منواله، وداروا حول فكرته المركزية، مما يدلُّ على فكر الجاحظ وسبقه في هذا الميدان.

أمَّا عباس فنجده قد استهلَّ كلامه بالحديث عن تعدد وجوه الإعجاز في كتاب الله بقوله: "والقائلون بتعدد هذه الوجوه مجمعون على أن الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه وأهمها وأعمها، ذلك لأنه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى، أما الوجوه الأخرى فليست كذلك، فهي مُفرقةٌ فيه"⁽³⁾. حيثُ يعدُّ أحد الأدلَّة الدامغة على عظمة كتاب الله تعالى، وصدق رسالة الإسلام. كما يشيرُ عباس إلى تعدُّد وجوه الإعجاز، فهو يرى أنَّ القرآن معجزةٌ في بيانه، وتشريع، وبما حواه من حقائق علمية وكونية، وبما ساقه من أخبار الأمم السالفة، ومن أخبار المغيبات، ومعجزةٌ من حيث تأثيره في النفوس، إلى غير ذلك من وجوه إعجازه⁽⁴⁾. مما يؤكد على شمولية الإعجاز القرآني من جهة البيان.

يقول عباس: "أسهب بعض الكاتبيين وهم يتحدثون عن هذه الوجوه، فأوصلها بعضهم إلى نيّفٍ وثلاثين وجهًا⁽⁵⁾، ولكن عند التحقيق نجد أنَّ أكثرها لا يستحقُّ أن يُذكر وجهًا خاصًا على حدة"⁽⁶⁾. في إشارةٍ إلى أنَّ بعض هذه الوجوه لا يصلحُ أن يكونَ وجهًا مستقلًّا قائمًا بذاته، يجعله وجهًا من وجوه إعجاز القرآن.

ثم نجد الخطيب قد وضع شروطًا لمن أراد التعرف على وجوه الإعجاز في كتاب الله، وذلك بقوله: "أما من أراد أن يعرف وجه الإعجاز أو وجوهه، فذلك شأنٌ آخر يحتاج إلى علمٍ بأساليب البيان، وتمكُّنٍ من فن القول.. وإلى وجدانٍ سليمٍ، وحسٍّ مرهفٍ.. ثم يلقي بهذا كله القرآن الكريم، ويردد النظر في آياته.. هنالك يجد الإعجاز الذي أعجزَ العرب قاطبةً، وتحديّ الإنس والجنَّ"

1/ نقله السيوطي عن الجاحظ، الإتيان في علوم القرآن، 7/4.

2/ الإعجاز في دراسات السابقين، 164/1.

3/ إعجاز القرآن الكريم، ص: 28.

4/ المصدر نفسه، ص: 32.

5/ في إشارة إلى ما قرره جلال الدين السيوطي، وذلك في كتابه: معترك الأقران في إعجاز القرآن، حيث أوصلها إلى خمسة وثلاثين وجهًا من وجوه الإعجاز.

6/ فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص: 158.

جميعاً⁽¹⁾. في إشارة إلى أن الإعجاز لا يُدرك إلا لمن خبر أساليب العرب في البيان، وعرف أصول النظم، وأدام التأمل في تركيب الآيات.

• رأيهما في مجالات الإعجاز

الناظر في إعجاز القرآن بعامة يجد أنه قد أصاب الباحثين فيه إعياء؛ من أجل الوقوع على الضوابط الدقيقة التي يُضبط بها وجه الإعجاز في القرآن، ويُكشف عن أسرار هذا الإعجاز، فلو أن سرّ الإعجاز انكشف -وهيئات-؛ لعرفه الناس جميعاً، ومن ثمّ لم يعد بعيداً عن متناول أيديهم، وكان في استطاعتهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، والله سبحانه يقول: ﴿قُلْ لَّيِّنَ أَجْتَمَعَتِ

الْإِنْسِ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾⁽²⁾.

ولا شك أن هذا السرّ مضمّر في كلمات القرآن، كلمة كلمة، وآية آية، إنه أمرٌ من أمر الله تعالى، كالروح تُرى آثارها، وتُشاهد أفعالها، دون أن ينكشف للناس شيءٌ منها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽³⁾. والقرآن

المعجز روحٌ تتجلى آثاره في هذه الكلمات المنظومة في آياته⁽⁴⁾، فيقول لنبيه - ﷺ -: ﴿وَكَذَلِكَ

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾⁽⁵⁾.

ثمّ يشير الخطيب إلى أن وقوع الإعجاز أمرٌ لا ريب فيه، بفعل قيام تلك الدلائل القاطعة والشواهد المتصلة بوقوعه في ذلك الكلام المعجز، وفي شأن الوقوف على الإعجاز ووجوهه، يقول: "وإنك أينما قلبت وجوه الرأي في الكلام العربي وأساليبه لم تجد القرآن قد خرج على وجه واحدٍ منها خروجًا غير مألوفٍ، بحيث يعدّ وجهًا جديدًا جاء به القرآن مفردًا.. يرى منه وجه الإعجاز، الذي لا يقدر الناس على مثله - رؤيةً واضحةً محدّدة"⁽⁶⁾. فهو يؤكد أن واقع الأمر في الإعجاز القرآني أن العرب قد أذعنوا للقرآن، وأقروا بإعجازه، وشهدوا بالعجز عن مطاولتهم لأقصر سورة منه، حيث يتجلى الاختلاف بشكلٍ واضحٍ في الكشف عن وجه الإعجاز، وتحديد المصدر الذي جاء منه هذا الإعجاز. مع الإشارة إلى أن القرآن قد نُظِمَ من الألفاظ المتداولة عند

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 203.

2/ سورة الإسراء، الآية: 88.

3/ سورة الإسراء، الآية: 85.

4/ عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 177، 178.

5/ سورة الشورى، من الآية: 52.

6/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 151.

العرب، ولم يخرج عن قواعدهم، ولم يُبعد عن أساليبهم، فكانوا ينظمون من تلك الألفاظ شعرهم ونثرهم، ويصيغون منها حكمهم وأمثالهم، وبالرغم من كل ذلك وأكثر ظلَّ القرآن مُعجَزًا أبد الدهر.

وعن البحث في وجوه الإعجاز يقول الخطيب: "كان الكشف عن وجه الإعجاز، والتعرف على دلائله مطلبًا عزيزًا أثيرًا، انصرفت إليه همم الباحثين والدارسين من المسلمين، وغير المسلمين، ليقعوا على السر الذي من أجله كان القرآن الكريم بهذه المكانة العالية، التي لا ينالها أحدٌ، ولا يطمَع فيها بشرٌ.. مع أنه كلامٌ من الكلام المألوف المعروف"⁽¹⁾. وهذا يدل على أن معرفة سر إعجاز القرآن ليس بالأمر اليسير، فهو مطلبٌ صعب المنال، ممَّا لفت أنظار العرب وغير العرب، فجعلهم حيارى متسائلين! كيف يكون هذا الكلام الذي في ظاهره كلاما عربيا مألوفًا، ومع ذلك يعجز الخلق جميعًا عن الإتيان بمثله أو محاكاته؟! فهذه المفارقة دفعت العلماء والمفكرين عبر العصور، إلى محاولة كشف هذا السر، فكلما اقتربوا ازداد يقينهم بأن القرآن فوق طاقة البشر، وأنه حقًا من عند الله.

ويقول الخطيب: "والقرآن، وإن كان معجزةً النبي، فإنَّ على الناس أن يعرفوا وجه المعجزة فيما نزل عليهم! فهو كتاب النبي وكتابتهم، وهو معجزة النبي ومعجزة العرب الذين نزل بلسانهم.. فهم الذين يعرفون المعجزة القرآنية، ويشهدون مطالعها في آياتها، ومن أجل هذا خاطبهم الحقُّ بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾⁽²⁾"⁽³⁾. وهذا بلا شك تكريمٌ للعرب وتشريفٌ

لهم. فالخطيب هنا يرى أن إدراك هذا الإعجاز والوقوف على وجوهه منحصرٌ فيمن نطق بالعربية فقط، ويخالفه في ذلك فضل عباس، حيث يرى أنَّ انكشاف ذلك الإعجاز غير متوقَّفٍ على العرب وحدهم. يقول عباس: "وإذا القرآن الكريم كتاب الإنسانية جميعها، عربها وعجمها، منذ أنزله الله ما دامت الحياة والأحياء، إذا كان كذلك فليس من المنطقي أن يكون هذا النظم خاصًا بالعرب وحدهم، وإنما غلط من غلط في هذه القضية، لأنهم ظنوا أن الإعجاز البياني إنما هو حديث عن الصورة التي تمتع العواطف، وتلذها النفس..."⁽⁴⁾. فهو يرى أنَّ هذا الإعجاز الذي حواه القرآن غير منحصرٍ في العرب دون غيرهم. بل يشترك فيه العرب والعجم.

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 151.

2/ سورة الزخرف: الآية: 44.

3/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 146، 147.

4/ إعجاز القرآن الكريم، ص: 160.

ثم يردف عباس قائلًا: "وتلك قضية كان يدركها العربي عند نزول القرآن بذوقه وسليقته، أما العرب اليوم فإنما يدركونها بالفكرة لا بالفطرة بعد أن تفسر لهم وتبين لهم دقائقها وهم وغيرهم في ذلك سواء"⁽¹⁾. والصحيح أن إدراك الإعجاز ليس حكرًا على العرب، بل هو متاح لكل من امتلك لسانهم وأدواتهم في البيان، ولكن بسبب ضعف الفصاحة لديهم صار العرب والأعاجم في الفهم سواءً. وبالتالي يمكن لغير العربي أن يبصر جوانب الإعجاز التي لا تتطلب تذوقًا لغويًا عميقًا، أو يدرك الإعجاز البياني بالتعلم والمقارنة والتحليل، مما يؤكد شمولية القرآن وعالميته، فهو يخاطب العقل والقلب معًا.

ثم يشير الخطيب إلى عنصر مهم في إعجاز كتاب الله تعالى بقوله: "كان للباحث في إعجاز القرآن أن يتتبع نظرات الناظرين في إعجاز القرآن جميعها، وأن يتفرس فيها نظرًا بعد نظر، حيث يلوح له في كل نظر ملامح جديدة في وجه الإعجاز أو وجوه"⁽²⁾. وهذا التوجيه يقضي بأن فهم الإعجاز القرآني لا يُنال من زاوية واحدة، أو رأي واحد، بل يستدعي تتبُّعًا واسعًا لمختلف الآراء والمدارس؛ لأن كل مفسر أو بلاغي أو أصولي قد يُبرز جانبًا من جوانب الإعجاز لم يدركه غيره أو ركز عليه.

• أبرز وجوه الإعجاز عندهما

يقول الخطيب: "فكل نظر وتدبر في آيات القرآن الكريم، هو وجه جديد من وجوه إعجازه، ولو كان هذا النظر بعد أفراد الناس فردًا فردًا، وبعده نظرات الفرد حاليًا حاليًا، على امتداد الأزمان واختلاف الأزمنة والأوطان ﴿قُلْ لَوْ كَانَ أَلْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾"⁽³⁾⁽⁴⁾. فهو يشير إلى كثرة الآراء في وجوه إعجاز القرآن بلا حد ولا عدد.

يطرح الخطيب تساؤلًا حول اعتبار الإخبار بالغيب وجهًا من وجوه الإعجاز، فيجيب بقوله: "وحتى في هذا أن القرآن قد تحدى العرب أن يأتوا بأية سورة من مثله، من غير تخصيص، وليس الإخبار بالغيوب واقعًا في كل سورة، ولأن القرآن تحدى بجملته لا ببعضه، فكيف يصرف التحدي إلى ما يتضمن ذلك، دون ما يتضمن الحلال والحرام؟". ثم ينقل عن القاضي عبد الجبار قوله: "ولأنه -ﷺ- تحدى بذلك على الطرائق المقبولة عندهم، وفي عاداتهم، وإنما اعتادوا التحدي في الكلام على الوجه الذي ذكرناه". ثم يعلق الخطيب قائلًا: "وهذا الوجه الذي يرده (عبد

1/ إعجاز القرآن الكريم، ص: 160.
2/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 155.
3/ سورة الكهف: الآية: 109.
4/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 156.

الجبار) ولا يراه من إعجاز القرآن، هو في رأينا وجهٌ بارزٌ من وجوه الإعجاز، وإن لم يكن منظوراً إليه في وقت التحدي؛ لأنَّ القرآن ليس معجزةً موقوتةً بالفترة التي نزل فيها، ولا محصورةً في القوم الذين دُعوا إلى هذا التحدي، وإنَّما القرآن معجزةٌ قائمةٌ على الزَّمن كُلِّه، وعلى الناس جميعاً في أجيالهم المتعاقبة⁽¹⁾. وعلى هذا فإنَّ وقوع الإعجاز أمرٌ لا ينكره أحدٌ، ولكنَّ وجوهه متعدِّدةٌ ومتنوّعةٌ، يصعبُ حصرُها بدقَّةٍ، ولهذا ثار حولها الخلاف، وتباينت الآراء، غير أنَّ المتأمِّلَ يجدها متَّفِقةً في كونها وجهًا للإعجاز وإن اختلفت صورها ومظاهرها. فالقرآن الكريم كتابٌ لا تنفذ وجوه إعجازه تنوّعًا وتعدُّدًا، بحيث يظلُّ مُتجدِّدَ الدِّلالات على مرِّ الزمن.

وعن موافقته للقاضي عياضٍ يقولُ الخطيبُ: "والإعجاز بالمغيبات التي يقول بها القاضي عياض - كما قال بها غيره - ليس وجهًا من وجوه الإعجاز يمكن أن يقطع الخصم عن المعارضة، ويمسك به عن العناد واللجاج، إذ كثيرٌ من الكهَّان كانوا يرجمون بالغيب، فيصيبون ويخطئون، ولو كان القرآن حينَ تحدَّى العرب - قد أشار إلى هذا الوجه من التحدي لما أقرَّوا بالعجز عنه، ولما شهدت عليهم الحياة به، بل لكان لهم على هذا الوجه سبيلٌ إلى المجادلة والمحاجة والمعارضة، ولاستدعوا إليهم كهنتهم وأصحاب الرؤى عندهم..."⁽²⁾. فهو يرفض أن يكونَ الإخبارُ بالمغيبات وجهًا من وجوه إعجاز القرآن القائمة على التَّحدِّي، لأنَّ هذا القياسَ يُرادُ به أنَّ الإخبارَ بالمغيبات ليس دليلًا قاطعًا عند الخصم؛ لأنَّه يُشبه ما كان يفعله الكهَّان. وهذا تأويلٌ بعيدٌ.

وكذلك وجه الإعجاز المسمى بأبناء القرون والأمم السَّالفة، يرى الخطيبُ أنَّ هذا الوجه كسابقه مفتقرٌ إلى عنصر التَّحدِّي المُفجِّم، فهو وسابقه يُضفيان على إعجاز القرآن روعةً وجلالًا، ويزيدانه مزيدًا من الإشراق والتميز⁽³⁾. فالخطيب والقاضي وغيرهما ممن سار على هذا الرأي ينحازون إلى أنَّ وجوه الإعجاز البيانية هي الأقوى حجَّةً؛ لأنَّها الوحيدة التي لم يُعارض بها القرآن قطً.

بينما نجد فضل عباس يقرّر أنَّ هذا الوجه - الإخبار بالمغيبات - هو أحدُ وجوه الإعجاز⁽⁴⁾، إذ يقول: "والمتملُّ في قصص القرآن، والمتدبِّر لآياته يُدرك أنَّ ما جاء به القرآن الكريم مُجملاً تارةً، ومُفصلاً تارةً، لا يُمكن أن يكونَ من خبر السَّماء، فكان حريًّا أن يُعدَّ وجهًا من وجوه الإعجاز"⁽⁵⁾. وإن كانَ هذا الوجه أقلَّ مرتبةً من بقيَّة الوجوه فيه. وهذه إشارةٌ إلى

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 239.

2/ المصدر نفسه، 1/ 315، 316.

3/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 316.

4/ إعجاز القرآن، ص: 323.

5/ المصدر نفسه، ص: 325.

التفريق بين مراتب وجوه الإعجاز، وأن القصص وحده لا يُعدّ تحديًا قاطعًا، لكنه مع ذلك يحمل طابعًا إعجازيًا حين يُتدبّر ضمن السياق العام للبيان القرآني.

وينبغي أن نشير إلى أن رأي فضل عباس يعدّ رؤية واعية متوازنة في باب الإعجاز؛ لأنه لا يبرز الإعجاز القصصي من حيث المحتوى فقط، بل من حيث الطريقة القرآنية الفريدة في عرض القصص، مع التأكيد على أن هذا الوجه يكمل ولا يغني عن الوجوه الأخرى كالإعجاز البياني والتشريعي.

وفيما يخصّ الإعجاز النَّفسيّ أو الرُّوحيّ نجدُ الخطيبَ يُعلِّقُ على ما قرّره القاضي عياض، وذلك بعد ذكره للحديث الوارد في الصّحاحين عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- قال: "سمعت النبي -صلى الله عليه وآله- يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ الآية: ﴿أَمْ حُلِفُوا مِنْ عَيْرِشَىٍّ أَمْ هُمْ الْخَلْفُونَ﴾^(٣٥) أم

خَلَفُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْفُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾^(١) كاد قلبي يطير للإسلام"^(٢)، وكان هذا منه قبل إسلامه، ولقد صحّح الخطيبُ للقاضي عياض جعله لهذا الوجه - الإعجاز النفسي - حاشيةً في وجوه الإعجاز، حيثُ يقول: "وهذا الوجه هو في رأينا عمدةٌ وجوه الإعجاز في القرآن، إن لم يكن هو وحده وجه إعجاز القرآن"^(٣). حيثُ عدّه الخطيبُ المُرتكزَ الرئيسَ الذي يُبنى عليه سائر الوجوه.

ونجد عباس يُعرّف الإعجاز النفسي بقوله: "هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم، وما يُفرحهم وما يُحزنهم، ما نجده من بيانٍ لمكونات النَّفسِ وخفاياها، ودوافعها في أي القرآن الكريم، قد يكون ذلك في القصة القرآنية يجدها تصور له نفسية من تتحدّث عنهم، بصورةً جليّةً، لا لبسٍ فيها، دقيقة المعالم، لا تُهملُ مشهّدًا، ولا تتركُ أيّ فراغ"^(٤)، بل تصفّه وكأنّه مُشاهدٌ للعيان.

ثم يُقرّر الخطيبُ ما قاله القاضي عياض من أنّ وجه الإعجاز الحقيقي يتمثّل في: صورةٍ نظمه العجيب، وأسلوبه الفريد، حيثُ يقول: "وهذا الوجه الذي يقول به القاضي عياض من وجوه الإعجاز هو ما عليه أكثر الذين نظروا في إعجاز القرآن، وحاولوا الكشف عن بعض وجوهه.. وهو هذا الأسلوب الذي انفرد به القرآن، وجاء فيه على صورة من النظم لم تقع للعرب، وإن جمعت الطيب الحسن من كلّ أسلوب"^(٥). لذلك فإنّ الحدثُ أيًا كان فإنّه في معرض النظم

1/ سورة الطور، الآيات: 35 - 37.

2/ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة والطور، برقم: (4854)، 12/124.

3/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 318.

4/ إعجاز القرآن، ص: 334، 335.

5/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 314.

القرآني، بل ويكون معجزة قاهرة؛ لأنّ هذا النظم جاء على صورة معجزة متحدية، وذلك في مجال الكلمة وفي مقام البلاغة والبيان بأسلوبه الفريد في التعبير.

ثمّ يوضّح الخطيب وجه الإعجاز في القصص القرآني بقوله: "وعلى هذا نستطيع أن نقول إنّ القصة القرآنية - وإن تكن أحداثها مما يفيضُ به واقع الحياة، ومما يعيشُ فيه الناس - فإنها تشتملُ دائماً على قدرٍ من الإعجاز، إن لم يكن في الحدث ذاته، فإنّه في النظم القرآني، من حيث هو إعجازٌ بما اشتمل عليه أسلوبه من قوى مدركةٍ وغير مدركةٍ، يعجزُ الناسُ جميعاً عن الجري معها، وتخضعُ أمامَ جلالها الرقابُ"⁽¹⁾. حيث يتجلى سرّ الإعجاز في القصص القرآني في طريقة عرضها، أي في النظم القرآني الذي يصوغ الحدث صياغة تُخرجه من دائرة العادة إلى دائرة الإعجاز.

وعن وجه الإعجاز الذي أسماه بـ: (صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس) يقول الخطيب: "وهذا الوجه من وجوه الإعجاز هو - فيما نرى - المعجزة القائمة في القرآن أبداً، الحاضرة في كلّ حين، وهي التي تسعُ الناسَ جميعاً، عالمهم وجاهلهم، عربيهم وأعجميهم، إنسهم وجنهم..."⁽²⁾. وهو البعدُ التأثيري في الوجدان والروح الذي يحدثه القرآنُ بالإنسان، فحين يُخالطُ القرآنُ وجدانه يخضع له ويخضع لجلاله. وهذا يجعل من التأثير الوجداني للقرآن معجزةً حيّةً مستمرةً، تُخاطبُ الفطرة، وتستوعب الإنسان كلّهُ، بعقله وقلبه وروحه.

وهو ما أسماه عباس بالإعجاز الروحي، حيث عرفه بقوله: "هو ذلكم التأثير العظيم لهذا القرآن العظيم على النفوس هيبّةً وحلاوةً، ورغبةً ورهبةً، ولا يُعرف كتابٌ في الدنيا كلّها له من الأثر على تاليه ومستمعه، كما لهذا القرآن، حتى أولئك الذين لا يدركون معانيه، ولا يفهمون ألفاظه، نجدّهم يتأثرون بهذا القرآن"⁽³⁾. كما يشيرُ عباس إلى أنّ أولَ من نَبّه إلى هذا الوجه هو الخطابي⁽⁴⁾، وأنّ بعضَ الكاتبيين المُحدثين جعلوا هذا الوجه من أهم وجوه الإعجاز، متجاهلين سائرَ الوجوه، وهو أمرٌ يُعدُّ مغالطةً كبيرةً⁽⁵⁾.

ولقد رصدَ الخطيبُ أحوالَ النفس الإنسانية وهي بمشهدٍ من القرآن، فوجدَ انفرادَ القرآن عن كلام البشر بأمورٍ، منها: الصّدقُ المُطلقُ المُصقّى، وذلك في قوله: "هذا الصدق الذي يجعل لكلماته هذا الأثرَ القويّ على النفوس، وهذا السلطانُ المُتمكّن من القلوب، ومن الضمائر، ومن

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 150.

2/ الإعجاز في دراسات السابقين، 1/ 193.

3/ إعجاز القرآن، ص: 335.

4/ يقول الخطابي: "قلت في إعجاز القرآن وجهًا آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس". إعجاز القرآن، ص: 70.

5/ المصدر نفسه، ص: 336.

العقول"⁽¹⁾. ويتبين أنّ هذا راجعٌ إلى أنّ هذه الكلمة الصادقة ما هي إلا قوّةٌ منطلقةٌ لا يقفُ في سبيلها شيءٌ؛ حتى تبلغ غايتها التي تُريد من ضمير الإنسان ومن وجدانه، ثم يضيف الخطيب قائلاً: "فالصدق الذي نزل به القرآن، هو الحقّ المُطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الذي يجعلُ لكلمات القرآن هذه الحياة القويّة المُتمكّنة المُتجدّدة، الخالدة التي لا تتألّ منها الأيام، ولا تنقص ذرّةً من كيانها الدّهور"⁽²⁾.

فالخطيب يرى أنّ تأثيرَ الكلمة مُتمثّلٌ في صدقها، ولا ينفكُّ عنها التّجددُ في سائر أوقاتها، لذا كان الكلامُ واقِعًا موقعه في العقول والقلوب، فالقرآن في كل أوقاته وأحواله نراه غضًا طريًّا، كما أنزل لأول مرة، فهو في حال شبابٍ دائمٍ، وأنتك كلما اقتربت منه، فاح لك عبيزه، وظهر لك شذاه⁽³⁾. وهذا ما يندرجُ تحت وجهِ إعجازه البيانيّ، ومن أمثله⁽⁴⁾ كما يقول الخطيب: "كان أشدّ رجال قريشٍ عداوةً للنبي يستمعون إلى القرآن خفيّةً، يريدون أن يطلّعوا على سقطه فيه أو عيبٍ، فيلقاهم منه هذا الصدق الذي به، والحق الذي فيه، فإذا هم في مجال سلطانه، ودائرة نفوذه.. لا يستطيعون منه فكاكًا، ولا يجدون عنه مُنصرفاً"⁽⁵⁾. بل ويكون أحيانًا كثيرةً سببًا في دخولهم الإسلام، وهو يوافقُ تمامًا ما اصطُح على تسميته بالإعجاز البيانيّ.

ولقد وافق عباسُ الخطيب في وجه الإعجاز البيانيّ، واعتبره من أعظم وجوه الإعجاز، وعلّل ذلك بقوله: "لأنّه ينتظم القرآن الكريمُ كلّهُ، في سوره على اختلافها طولًا وقصرًا، أمّا الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز فليس الأمر فيها كذلك، فأنباء الغيب مثلاً ليست موجودةً في كلّ آيةٍ من القرآن، وكذلك الإعجاز العلميّ والتّشريعيّ، ومن هنا كان الإعجاز البيانيّ أهمّ هذه الوجوه وأعمّها، بل هو أتمّها؛ لأنّه عامٌّ في القرآن كلّهُ لا تخلو منه سورةٌ على قصرها"⁽⁶⁾. ولأنّ الإعجاز البيانيّ هو الركيزة الأساس في إعجاز القرآن، فكل سورة - مهما قصرت - تحتضن من جمال النّظم، ودقة الأسلوب، وعمق البيان، ما يجعلها معجزةً قائمةً بذاتها، ويؤكد أنّ الإعجاز البيانيّ هو الأهم والأكمل، وهو الشاهد الدائم على علو شأن هذا الكتاب.

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 194.

2/ المصدر نفسه، 2/ 194.

3/ المصدر نفسه، 2/ 194.

4/ ومثاله ما كان من الطفيل بن عمرو الدوسي لما استمع إلى رسول الله - ﷺ - " قَالَ: فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ. دَقَالَ: فَاسْأَلْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أَمْرٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ، وَدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ لِي عَوْنًا عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً". ابن هشام، السيرة النبوية، 383/1.

5/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 194.

6/ إعجاز القرآن الكريم، ص: 160.

ثم يسلّط الخطيبُ الضوءَ على وجهٍ آخرٍ من وجوه الإعجاز، وهو الرفعة والمكانة السامية التي تنزّلَ منها كتاب الله تعالى، حيث يقول: "هذا وجهٌ آخرٌ من وجوه الإعجازِ القرآنيّ، يُطالعه كلُّ من يتصلُّ بالقرآن الكريم، قارئاً أو مستمعاً، مؤمناً أو غير مؤمنٍ. فهذا علوُّ الشامخِ قد رأيناه في تمكّن القرآن من مكانه، وثباته في مكانته التي قام عليها، في علوّها وشموخها، فلم يتأثر بالأحداث العارضة، التي كانت تدور في محيط الدّعوة الإسلاميّة، ولم ينفعل بها، ولم يستجب لها، بل كان دائماً وأبداً في علوّه وسموّه، وسلطانه وقوّته، ثمّ ينظر إلى النّاس والحياة من علٍ، دون أن يهتزّ أو يتأثر بما تهتزُّ له الحياة أو يتأثر به النّاس"⁽¹⁾. يشير بذلك إلى الأثر النفسيّ لكلمات القرآن الكريم، متمثلةً في جلال الحقّ، والعظمة والقوّة، حيث تُتلى وتُسمّع، دون انفكاكِ عن تلك العظمة والقوّة، فهي حقيقة لا تصنّع فيها، فهو في علوّ شامخٍ، ومقامٍ رفيعٍ لا يُنال، وهو ما يسميه علماء الإعجاز بالإعجاز الروحي، أو النفسي، ثمّ يضيف الخطيبُ قائلاً: "وهذا وجهٌ من وجوه الإعجاز القرآنيّ، وآيةٌ من آيات صدقهِ، وأتّه كلام الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ

عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽²⁾ اختلافاً في منازلهِ التي يطلع منها، واختلافاً في القوّة التي ينطلق منها، واختلافاً في الميزان الذي يزنُ به الخيرَ والشرّ..."⁽³⁾. فهو وحيٌّ يُخاطب الروحَ، ويهزُّ النفسَ، ويملأ القلبَ يقيناً وطمأنينةً، وهو من أرقى مراتب الإعجاز؛ لأنّه يتجاوزُ حدودَ اللغة والعقل إلى أعماقِ النفس الإنسانية.

كما يشيرُ الخطيبُ إلى أنّ القرآن لا يقفُ أمام سلطانه شيءٌ، أو يحولُ دون أمره شيءٌ، وأنّه يتحدّثُ للنّاس حديثَ المالك لكلّ شيءٍ، ومن ثمّ فإنّ المستمع أو القارئ لكتاب الله يسيطرُ عليه الشّعورُ بالتّضالُّ والتّصاغر أمام عظمة الآيات التي لا تتفكّ عنها العظمة بحالٍ، وإنّما هي من كيانها وصميمها، وهو ما عبّر عنه الخطيبُ بأسلوب الرواية، وهو الأسلوب الذي التزمه القصص القرآنيّ، حيث "يُقيمُ مشاعرَ الإنسان وأحاسيسه مع الأحداث التي تُروى، على مقامٍ واحدٍ منها، وهو أنّه إنّما يسمع أخباراً، وأنّ هذه الأخبارَ تجيءُ من جهةٍ عاليةٍ عالميّةٍ، وسع علمها ما تحوي الأزمنة والأمكنة"⁽⁴⁾. وهذه إشارةٌ إلى وجه إعجازه التاريخي المتمثّل في نقل الأخبار وتحريك الأزمنة والأمكنة، بحيث تُعرضُ الوقائع كما هي، دون خُرافةٍ أو تحريفٍ لما خفي منها، بأسلوبٍ يُثبتُ أنّ مصدرها لا يُمكن أن يكون إلا من لدن حكيمٍ خبيرٍ.

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 197، 198.

2/ سورة النساء، من الآية: 82.

3/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 202، 203.

4/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 81.

بينما نرى عباس يميل إلى القول بأن الإعجاز التاريخي متفرغ من الإعجاز البياني، فالإعجاز البياني هو الأصل والأساس، وأنه بدعي من بدائع إعجاز القرآن، ويربط هذا النوع من الإعجاز بالمثالين السابقين، فجاء الحديث عما كان يدور بين الأنبياء - ﷺ - وأقوامهم، فتهمة السحر لم تكن معروفة عند الأنبياء الأول، كعادٍ وثمود، بل كانت متأخرة، فكان ما يُجيبون به أنبياءهم هو أنهم بشرٌ يأكلون ويشربون، وأنهم اتَّبَعهم الأزدلون، لذا لا تستطيع أن تفسر كلمة (مسحّرين) التي قالها قوم صالح بمن أصابه السحر؛ لأنّ السحر لم يكن معهوداً عندهم، بل ظهر متأخراً، وهذا ما حدّث به القرآن عن المصريّين القدماء، مع العلم بقرب المسافة بين مصر ومدينَ منزلٍ شعيبٍ - ﷺ - إذ كان معلوماً لديهم السحر ومعروفاً⁽¹⁾.

فيما ذهب الخطيب إلى القول بأنه إذا أُريدَ إطلاقُ اسم القصص القرآني على بعض الأحداث التاريخية التي جاء بها، فإنّه ممّا لا تأباه هذه الأحداث، فهي ليست مجردَ سردٍ للأخبار، ولا عرضٍ للأحداث، بل هي نظمٌ مُعجَزٌ، ونشرٌ جديدٌ لها، كالمطرٍ يبعثُ الحياةَ في الأرض المواتِ⁽²⁾. فهي إعادة صياغة الأحداث بروح إلهية نابضة، تُضفي عليها حياةً ومعانٍ جديدةً. من خلال ما سبق نجدُ الخطيبَ يؤكِّدُ على أنّ هذه الأحداث ليست بحاجةً إلى أسلوب الإثارة والتشويق، إذ إنّها غنيّةٌ عن كلّ الزخارف الزائدة، وذلك بالنظر لما أضفاه عليها المولى من حسنٍ وحلاوةٍ، وروعةٍ وبيانٍ، فامتازت بكلّ جماليٍّ، ومُزجت بكلّ جلالٍ.

بينما نجد عباس⁽³⁾ يظهرُ موافقته لما ذهب إليه بعض العلماء، حيثُ يقول ابن عطية: "كتاب الله لو نُزعت منه لفظةٌ ثم أُديرَ لسانُ العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد. ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام"⁽⁴⁾. وهذا راجعٌ إلى قصورٍ في الذوق اللغوي المعاصر مقارنةً بذوق العرب زمن التنزيل، إذ امتازوا بفطرةٍ سليمةٍ وسليقةٍ لغويةٍ راقيةٍ.

ثم يعلّق عباس قائلاً: "وما قاله ابن عطية، كلامٌ حريٌّ بالتقدير، جديرٌ بالدراسة، ذلك أنّ المفردات القرآنية لها خصائص ومميزات، جمالٍ وقعها، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادةً دلالاتُ الكلمات الأخرى"⁽⁵⁾. حيث إنّ كلّ لفظةٍ في القرآن مختارةٌ بعنايةٍ لا يمكن أن يُؤتى بأفصح منها، ولو استعرضت مفرداتُ لسان العرب كلّها.

1/ إعجاز القرآن الكريم، ص: 196.

2/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 76.

3/ إعجاز القرآن، ص: 165.

4/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 52/1.

5/ إعجاز القرآن، ص: 165.

ومن الملاحظ هنا اتفاق الخطيب وعباس، كما اتفق من كان قبلهما على وجه من وجوه الإعجاز، وهو المسمى بالفاصلة القرآنية، إذ تعدُّ الفاصلة في كتاب الله وجهًا بارزًا من وجوه إعجازه، حيث يقول الخطيب: "وكلّ آية لها مقطع تنتهي به.. هو (فاصلة).. وليست هذه الفاصلة قافية شعر ولا حرف سجع.. وإنما هي شاهد قرآني، لا يوجد إلا فيه، ولا يعتدل في نظم قد فصل في آيات، وآيات قد ختمت بفواصل"⁽¹⁾. فهي جزء من البنية البيانية والدلالية للنص، تؤدي وظيفتها في إتمام المعنى وإحكام النظم.

ويرى الخطيب أنّ الفاصلة تمثل الصورة التي جاء عليها نظم القرآن، إذ التزم الفاصلة في جميع آياته "التزامًا مُطردًا لا تتخلف أبدًا، كأنّها القافية في الشعر، وفي هذا يقول الله سبحانه في وصف القرآن: ﴿كَتَبْنَا أَحْكَمَ آيَاتِهِ، ثُمَّ فَضَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾⁽²⁾، والفاصلة هي المقطع الأخير من الآية"⁽³⁾. فهي لا تنفصل عن المعنى ولا تفرض عليه، بل تأتي منسجمة معه، منتظمة في كل الآيات انتظامًا معجزًا. فهي تشبه انتظام القوافي في الشعر، ولكن دون أن تقيد النص. في حين يذكر عباس قول الزركشي وهو يعلل تسميتها فاصلة بقوله: "وسميت فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان"⁽⁴⁾. فهي تنتهي بحروف متقاربة أو متماثلة.

بينما يذكر الخطيب تعريف الباقلاني للفاصلة حيث يقول: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أنّ الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها"⁽⁵⁾. فالفاصلة هي نهايات الجمل، وتتميز في القرآن بتشابه حروفها في المقاطع، كتشابه الحروف وتوافقها في آخر الآيات، وفي اللغة يسمى سجعًا، والقرآن منزه عن مثل ذلك، لذا عدّه عيبًا في حق كلام الله تعالى؛ ولأنّ الفواصل تكون تابعة للمعنى المراد منها.

يقول الخطيب: "والمراد بقوله: يقع بها إفهام المعاني أنّها تعقيب على المعاني التي تضمنتها الآية، وفي هذا التعقيب يرى وجه جديد لتلك المعاني، فتزداد وضوحًا وبيانًا.. وإذن يكون من وظيفة الفاصلة تلخيص معنى الآية تلخيصًا يبرز به المعنى المراد منها، أو بمعنى آخر هي إشارة مضيئة إلى مركز الثقل في الآية"⁽⁶⁾. فهي أداة بيانية تُبرز المعنى وتُخلصه، ولها دور أساسي في تحقيق البيان والإعجاز القرآني.

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 205.

2/ سورة هود، من الآية: 1.

3/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 206.

4/ البرهان في علوم القرآن، 1/ 54.

5/ النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: 96.

6/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 206.

ولقد عرّفها عباس بقوله: "يُقصد بالفاصلة القرآنيّة: ذلك اللفظ الذي خُتمت به الآية، فكما سمّوا ما خُتم به بيتُ الشّعر قافيةً، أطلقوا على ما خُتمت به الآية الكريمةً فاصلةً"⁽¹⁾. وهذا التّحديد لمفهوم الفاصلة يُسهّم في فهم الخصائص الصّوتية والبيانية لنظم القرآن الكريم.

فالتّأظر إلى الفاصلة القرآنيّة يجدُ أنّها "لم تأت لغرضٍ لفظيٍّ فحسب، وهو اتّفاق رؤوس الأبي بعضها مع بعضٍ، وهو ما يُعبّرون عنه بمراعاة الفاصلة، إنّما جاءت الفاصلة في كتاب الله تعالى لغرضٍ معنويٍّ يُحتمه السّياق، وتقتضيه الحكمة، ولا ضيرَ أن يجتمع مع هذا الغرض المعنويّ ما يتّصل بجمال اللفظٍ وبديع الإيقاع"⁽²⁾. كما نجدُ لفضل عبّاس ردودًا علميّةً على بعض الأدّعاءات، منها: أنّ بعضَ الفواصل منقطعةً عمّا قبلها، ولا صلةً بينها ألبتّة⁽³⁾. إذن فمراعاة الفاصلة هي جزءٌ من السّياق البياني المحكم، تفرضها دقّة المعنى، وتقتضيها الحكمة البلاغيّة، فنزيدُ النصّ انسجامًا دونَ أن نُخرجه عن معناه.

ثمّ يكشفُ الخطيبُ عن وجهٍ آخرٍ للإعجاز، ألا وهو: روحانيّة القرآن، وهذه الرّوحانيّة نابعةٌ منه، إذ هو كلام الله - ﷻ - نفخَ فيه من روحه، فكان أمرًا منه، وروحًا من روحه، لذلك سُمّي القرآن روحًا بقوله - ﷻ -: ﴿يُرِزُّ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾⁽⁴⁾، ويقول سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾⁽⁵⁾، حيثُ يقول الخطيبُ: "فالروحُ هنا معناه القرآن الكريم، وأمرُ الله ما اشتمل عليه وحيه وكلامه من أحكامٍ ومواعظٍ، ممّا حمل القرآن الكريم من معاني كريمةٍ.. في شئون الدنيا والدين جميعًا"⁽⁶⁾. فهو يحملُ إعجازًا بيانيًا ودلالةً معنويّةً عميقةً، تجعلُ من القرآن عنصرًا للإحياء الشامل للقلوب وللأمم، وللحياة كلّها بالهداية والمعاني الكريمة. فالخطيب يلفت إلى النّظر في تلك التجلّيات المنبثقة من هذه الرّوح، فهو يدعو المسلم إلى أن يستشعرَ بأنّه بين يديّ روح الله، فالإحياءات المنطلقة بعد سماع تلك الكلمات، في الحقيقة هي ليست مجردَ كلماتٍ يسمعها، بل هي كلام الله، وليست تلك الإشارات إلا شاهدة على عظمته وجلاله⁽⁷⁾. فالإشارات القرآنية ليست مجرد دلالات بل شواهد على عظمة المتكلم - ﷻ -، وجلال حضوره.

بينما يرى عباس أنّ المقصودَ بالرّوح في الآيات هو "ذلك السرّ الإلهي الذي استحقّ به الإنسانُ هذا التّكريم؛ إنّها تلك الجدوة التي تنتشر في أرجاء نفسه، فتنشعُ منها جوانبُ الخير. من

1/ إعجاز القرآن الكريم، ص: 217.

2/ المصدر نفسه، ص: 218.

3/ جاءت هذه الردود في كتابه: قضايا قرآنيّة في الموسوعة البريطانيّة. إعجاز القرآن الكريم، ص: 218.

4/ سورة النحل، من الآية: 2.

5/ سورة الشورى، من الآية: 52.

6/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 237، 238.

7/ المصدر نفسه، 2/ 242.

ذلك امتنَّ الله على هذا الإنسان بالتكريم وعنَّفه على انحرافه عن الجادة؛ ذلكم العنصر العلوي الذي حُصَّ به آدم - ﷺ -، فاستحقَّ الخلافة في الأرض⁽¹⁾. فكانت تلك الجذوة تكريمًا من الله تعالى لهذا الإنسان وذلك بإضافتها لنفسه كما في قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾⁽²⁾.

وبعد كلِّ ما سبق ذكره من وجوه الإعجاز في القرآن، نجد الخطيب - كما صرَّح هو بنفسه - أنه لم يُسفر عن وجهٍ جديدٍ من وجوه الإعجاز، على الرغم من أنها لا تنتهي عدًّا ولا حصرًا، فما قرَّره من وجوه في الإعجاز، سبقه بالقول بها عددٌ من علماء القرآن، بيد أن بعضهم يصرِّح بهذه الوجوه، ويكتفي بعضهم بالتلميح⁽³⁾. فاقنصر دورُ الخطيب على جمع تلك الأقوال وتحليلها، مع إبراز ما قد يغيبُ عن القارئ من الإشارات، من غير أن يقدِّم وجهًا جديدًا للإعجاز. بينما نجد فضل عباس يقرِّر ما ذهب إليه المحققون من العلماء في القول بأن التشبيه والاستعارة وأنواع البديع، تعدُّ أمرًا خارجيًا عن جوهر الإعجاز الحقيقي للقرآن، ولكنَّ جوهر الإعجاز يكمن في النظم، كما يشير إلى أنَّ القول: بأنَّ الإعجازَ البيانيَّ في القرآن خاصٌّ بالعرب وحدهم، بحاجة إلى إعادة نظرٍ، حيث يزعمُ عباس أنه أوَّل من نبه على هذه القضية⁽⁴⁾. بل هو معجزةٌ إلهيةٌ تتخطى الحدودَ اللغوية والثقافية، غير أنَّ الإعجازَ البيانيَّ يتجلَّى بوضوحٍ في اللغة العربية خاصةً، لما تمتاز به من جمالٍ في الأسلوب وروعةٍ في التعبير.

ويتبيَّن من خلال استعراض جهود عبدالكريم الخطيب وفضل عباس لوجوه الإعجاز القرآني. فقد أسهم كلاهما بطريقته الخاصة في إبراز جوانب من إعجاز القرآن بين التأصيل من جهة، والنقد والتحليل من جهةٍ أخرى. حيث اتَّجه الخطيبُ إلى جانب التذوق الروحي والتأمل في الإحياءات القرآنية، مُركزًا على الأثر النفسي والمعنوي للكلام الإلهي، من غير أن يتوسَّع في طرح وجوهٍ جديدةٍ أو وضع تنظيرٍ منهجيٍّ مُفصَّلٍ. وفي المقابل قدَّم عباس معالجةً علميةً حرَّرها فيها القولَ وتتبعَ مختلفَ وجوه الإعجاز.

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 140.

2/ سورة الحجر، من الآية: 29.

3/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 243.

4/ إعجاز القرآن الكريم، ص: 161.

موقفهما من صلة الإعجاز بالقصص القرآني

يُعدّ الحوار من أهمّ العناصر في القصة القرآنية، فهو الذي يجعلها أكثر تعبيرًا عن المعنى المقصود، كما يُبرز ملامح الشخصية الإنسانية، بل ويُعبّر عن أسلوبها وطبيعتها، ويأتي في إطار السرد التاريخي للقصة، فالحوار قد يتخلّله التهديد والوعيد، أو الاستخفاف والازدراء، ومنه ما يُفيد النصّح والاعتراف.

فالحوار في قصة يوسف -ﷺ- التي تُعدّ غنيّةً بدلالاتها ومعانيها، كان حوارًا مؤثّرًا ومُعَبّرًا وبلغيًا، إذ تبرز معالمها في توضيح المعاني وتقريب الأفكار، مع إقناع السامع بالحجة والبرهان، مع تمكينه من الوصول إلى الحقيقة، بل والإجابة عن بعض التساؤلات. غير أنّ لهذا الحوار خصائص تميّزه عن غيره في القصص القرآني، إذ يقوم على مقوماتٍ أساسيةٍ، أبرزها: اللغة وما تُحدثه من أثرٍ نفسيٍّ، والإقناع العقليّ الذي يُعدّ من شواهد الإعجاز.

حيث يشير الخطيب إلى أنّ روعة الوصف في القصة القرآنية من أجلّ شواهد هذا الإعجاز، حيث يقول: "من آيات الإعجاز في القرآن ودلائله أن الكلمة في نظمه تأخذ عدل مكان وأنسبه في بناء هذا البنيان الذي تحسر دونه العيون.. ثم هي مع ذلك بناء متكامل في ذاتها. لا تصلح في اللغة كلها كلمة سواها"⁽¹⁾. وهذا الانسجام التام بين المبنى والمعنى في القصة القرآنية يكشف عن مستوى الإبداع اللفظي والتركيب الذي يفوق الطاقة البشرية، ويؤكد أنّ القرآن ليس نتاج اجتهاد لغويٍّ بشريٍّ، بل هو وحيٌّ إلهيٌّ مُحكم.

بينما يرى فضل عباس أنّ من شواهد الإعجاز في القصص القرآني "الإقناع العقلي والتأثير الوجداني لتمكين حقائق الإيمان والتوحيد والبعث في عقل وقلب المتلقي، وما فيها من حوار هادف مقنع"⁽²⁾. إذ يمثل الانسجام بين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني في القصص القرآني وجهًا بليغًا من وجوه إعجازه، فهو يخاطب العقل بمنطق راسخ، ويطرق القلب بعاطفة صادقة، فينتج أثرًا عميقًا يُرسّخ حقائق الإيمان والبعث في النفس.

ويذهب الخطيب إلى أنّ القصص القرآني يُعدّ من أدلة الإعجاز وشواهد، إذ يقول: "ولعلّ القصص القرآني أقرب الموارد لنا لتحقيق هذه الغاية.. - الكلمة المعجزة - حيث تُمثّل القصة صورةً متكاملةً من النظم، كما أنّها تكشف في يسرٍ وسهولةٍ عن علوِّ البلاغة القرآنية، واقتدارها على تصريف الأحداث، وامتلاك زمامها، وتحريكها.. حسب مقتضيات الحال

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 313.
2/ قصص القرآن الكريم، ص: 45.

والمقام"⁽¹⁾. في إشارة إلى أن وراء الأحداث رسالة أعمق، غايتها الهداية والتربية، وترسيخ العقيدة، وذلك في إطار فني متين، لا يُدانيه أي كلام بشري.

ولقد صوّب الخطيبُ نظرته تلقاءً بعض القصص القرآني، من أجل أن يأخذ منها الشاهد الذي أراده من نظم القرآن، إضافةً إلى ما في هذا النظم من إعجاز⁽²⁾. فالشواهد الدالة على علو منزلة القصص القرآني تتمثل في عناصر القوة فيها، إذ هي "مستمدّة من واقعية الموضوع وصدقه، ودقّة عرضه، والعناية بإبراز الأحداث ذات الشأن في موضوع القصة، دون التّعريض للجزئيات التي يُشير إليها واقع الحال، وتدلُّ عليها دلالات ما قبلها وما بعدها من صور. وذلك ما يُشوّق القارئ، ويوقظُه، ويفرضُ عليه مشاركةً فعليةً في تكملة أجزاء القصة، واستحضار ما غاب من أحداثها، وهذا ما يجعله يندمجُ في القصة، ويعيشُ في أحداثها، ومن ثمّ يتأثّر بها، وينتفعُ بما فيها من عبرٍ وعظات"⁽³⁾. يلفتُ الخطيبُ إلى ملمحٍ دقيقٍ في صلة الإعجاز بالقصص القرآني، يتمثلُ في الجمع بين السرد وعمق الأثر، مما يُثيرُ في القارئ والمستمع تفاعلاً داخلياً، ويجعلُ من هذه القصص أداةً فاعلةً في تحريك الضمائر وإثارة الفكر، وتحقيق العظة في إطارٍ فنيّ رفيع.

وكذلك من شواهد صلة إعجاز القرآن بقصصه ما قرره فضل عباس بقوله: "ومن عجب أمر القصة في القرآن، أنّك تقرأ القصة في السورة الواحدة، فتجدّها قد بلغت الغاية وأدّت الرسالة خير أداءٍ، بحيث تكون كافيةً لما سيقت له من الخبر المُتحدّث عنه..."⁽⁴⁾. وهذا الإيجاز الممزوج بالإعجاز والبلاغة هو ممّا يميّزُ القصة القرآنية عن غيرها، ويجعلها تؤثرُ في نفس القارئ وتبني وعيه وإدراكه. فالقصصُ القرآنيّ دون استثناءٍ بهذا التصوير الفني ينقلُ القارئ والمستمع إلى الأحداث الممتدة عبر الزمن البعيد، وذلك من أول القصة إلى آخرها، فلا تكادُ تتركُ لك فرصةً للانقطاع عن هذه الأحداث حتى تنتهي القصة.

ومن بين الشواهد التي ذكرها الخطيب ما جاء في قصة أصحاب الكهف، فبعد أن ألقى الفتيّة أنفسهم في جوف الكهف الموحش: "ويأتي القرآن بآياته المعجزة، فإذا هذا الجماد الصّامث حياةً مُتدفّقة، وإذا هذا الغارُ الموحشُ المخيفُ مسرحٌ لأحداثٍ عجاب"⁽⁵⁾. فالقرآن عند وصفه للغار لا يقدمه على أنّه مجرد فراغٍ صخريّ مظلمٍ موحشٍ فحسب، بل يجعله مسرحاً حيّاً للأحداث والمواقف الإيمانية. كما يتجلّى ذلك في قصة النبي -ﷺ- وصاحبه في غار ثور.

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 322.

2/ المصدر نفسه، 2/ 322.

3/ المصدر نفسه، 2/ 324.

4/ قصص القرآن الكريم، ص: 122.

5/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 329.

فالخطيب يشير إلى ربط القرآن بين حال الجماد، وحال الأحياء في هذه القصة، وذلك بصورة تكاد تخطف الألباب، وتأخذ بالنفس كلَّ مأخذ. كما ورودت قصص أخرى في هذه السورة، كقصة الرّجلين: المؤمن والكافر، وما انتهى إليه أمر كلِّ منهما، وقصة موسى مع الرّجل الصّالح، ثمّ قصة ذي القرنين، وما جرى على يديه من أحداث، مع ملاحظة أنّ كل حوادث تلك القصص هي من الخوارق والمعجزات، التي تتجاوز حدود الإدراك الإنساني، فيتعذر تصورها في الحياة الواقعية⁽¹⁾. وهذا هو ما يجعل التعبير القرآني مُعجزاً؛ لأنّه لا يكتفي بنقل الحدث، بل يصنّع المشهد، ويبثُّ فيه الروح، ويُشرك المُتلقي وجدانياً وفكرياً، فتنحوّل القراءة إلى تجربة شعورية عميقة، حتى كأنّه يعيش تفاصيلها بروحه وجسده معاً.

والنّظم القرآني في عرضه للقصص تجد كلماته تكادُ لإشراقها أن تنفد إلى القلب من العين قبل أن تجيء إليه من الأذن، وهذا ما يُقرّر الخطيب بقوله: "وأعجب ما في الآيات وأروع، وكلّها عجبٌ وروعة، أنّ الموسيقى المنطلقة من حروفها وكلماتها تؤلف ألحانا تنبعث من أنغامها ريح الزمن البعيد، فلا يكاد المرء يقرأ أو يسمع الكلمات الأولى للقصة حتى يجد نفسه مع أصحاب القصة، وكأنّه من زمانهم ومكانهم..! ثم كأنّه واحدٌ من أشخاصها، يشارك في الأحداث، ويتفاعل معها، وينتفع في حياته بهذه التجربة؛ إذاً هو امْتُنَحَن في عقيدته، أو رأيه، أو مبدئه"⁽²⁾. في إشارة إلى أنّ الإيقاع الصوتي للقرآن وتناسق ألفاظه يُسهمان في إحياء القصة، ويجعلانها حالةً وجدانيةً يعيشها المُتلقي، لا مجردَ حكاية تُروى، فهو لا يقتصر على جمال العرض، بل يُحقّق أثراً نفسياً وتربوياً عميقاً، ويجعل من القصة وسيلةً مؤثرةً في ترسيخ الإيمان وتوجيه السلوك، وهو ما يُعدُّ أحدَ وجوه الإعجاز القرآني.

كما أشار الخطيب إلى أحد شواهد الإعجاز في القصص القرآني، وهو عنصر الإخراج، فيرى أنّ المراد به هو العقل، فهو كما يحفظ للجسد ولالأعضاء توازنها، فإنّه كذلك يضع كلَّ حدثٍ من تلك القصص في موضعه، ويحافظ على توازن القصة، ومن ثمّ فإذا نظرت وتأملت في إحدى سياقات القصص، فإنك ستلقى الإعجاز قد أحاط بك من كل ناحية، وانكشف لك من سائر الطرق⁽³⁾. فعنصر الإخراج يُكسبها انسجاماً دقيقاً يجعل كلَّ جزءٍ منها قائماً بوظيفته، بحيث لو حذفنا منها حرفاً لاختلَّ توازنها، ولفقدت جزئياتها الغاية التي سبقت من أجلها.

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 2/ 326، 325.

2/ المصدر نفسه، 2/ 333.

3/ المصدر نفسه، 2/ 338.

فالخطيب يرى أنّ إعجازَ القرآن يكون من عدّة صورٍ، وأنّ في كلّ صورةٍ يتمثّل شاهدٌ من شواهد، ومن ثمّ فإنّ تلك الدلائل تفرّز وجودَ الإعجاز في جميع آيات كتاب الله تعالى.

في حين نجد فضل عباس يذهب إلى القول بأنّ من شواهد الإعجاز في القصص القرآني: تنوّع طريقة العرض في قصصه، فظهور الأحداث بصورة مباشرة، يقوم على استحضار تلك الأحداث من غير تدخل بالرواية، والاكتفاء بالتنبيه على عنوان أو موضوع ذلك المشهد؛ لأن القصص القرآنية يعتمد أكثرها على الحكاية والرواية، وكذلك انتقاء الأحداث بما يحقق الهدف الأسمى منها، وينتظمها في سياق فني لا يُزيحها عن الواقع؛ حتى تحقق هدفها الذي سبقت من أجله⁽¹⁾. وبالتالي فإنّ هذه القصص إنّما سبقت بهذا العرض المتنوع كلّ بحسب ما سبقت له القصة، وذلك بأسلوبٍ مشوّقٍ، وأحياناً تجده يعالجُ بعضَ التشكيكات التي تُثار حول بعض القصص، أو يضعُ للقصة خاتمةً في مُفتتحها، كقصة يوسف -ﷺ-، أو أنه يذكر القصة دون مُقدمة، ويكتفي بمجرد الإيحاء إلى محورها، كقصة سليمان -ﷺ- مع ملكة سبأ، وربّما قدّم أحداث القصة وفق ترتيبها الواقعي وتصويرها للحالة النفسيّة، وما تبعها من اختيار المفردات اللغوية المُعبّرة.

• الصلّة بين الإعجاز والقصص القرآني

ارتبط الإعجاز القرآني ارتباطاً متأسّلاً بجميع آي الكتاب العزيز وكلماته، لاسيّما ارتباطه بالقصص القرآني، بحيث لا ينفكّ عنها بأيّ حالٍ، إذ إنّ القصص مشتملٌ على دلالاتٍ وآثارٍ، وحقائقٍ وصورٍ، ومشاهدٍ نقلها نقلاً حياً، فبالرغم من أنّه خبرٌ من الماضي البعيد أو القريب، فهو بفعل القرآن وإعجازه في قصصه قرّب الصّورة والمشهد، حتى تبدو حقيقةً مُصفاةً دون تمويه، مع أنّ بعضها أحداثٌ خارقةٌ للعادة، ولا يقبلها إلا المؤمن من عباد الله.

لذا كان لأسلوب القصص في القرآن الكريم الأثر البالغ في نفس ابن آدم، إذ للبشر تعلّق بكلّ ما هو قصصٌ؛ لأنّ النّفس البشريّة تنوّق إلى معرفة كلّ حدثٍ قديمٍ أو حديثٍ، سيءٍ أو جيّدٍ، مع ما يصحبها من مؤثّراتٍ وتفصيلٍ، ممّا يجعلُ النّفس تميلُ إليه، كتقصّي الأخبار وما يتبعه من فضولٍ، كالنتبّع والإنصات لكلّ ما هو مخبأً.

يقول الخطيب: "فالقصص هو أحد الأساليب التي حملها القرآن ليُحاجّ بها الناس، وليقطعهم عن الجدل والمُماحكة، شأنه في هذا شأن ما جاء في القرآن من أساليب الاستدلال والمناظرة، والتعجيز، والوعد، والوعيد، والتهديد. وغيرها من المشاهد والمواقف المبنوثة في القرآن الكريم كلّها، من قصار السور إلى طوالها.. لا نجد سورةً - مهما قصرت - تخلو من مشهدٍ

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 47، 48.

أو موقفٍ يُمهّدُ للدعوة الإسلامية، ويضعُ معلّمًا أو معلّمًا للهُدى إليها والتبصرة بها، في منطِقٍ مُحكمٍ، وحجةٍ دامغةٍ، وبيانٍ مُعجزٍ مُفحمٍ"⁽¹⁾. فالقصص القرآني أداةٌ حجاجيةٌ تُؤدّي دورًا دعويًا كغيرها من أساليب القرآن، ببيانٍ مُعجزٍ يجمع بين الإقناع والتأثير.

ولهذا فقد كان للدعوة الإسلامية وما سبقها من دعوات رسل الله - ﷺ - الأثر البالغ في إبراز صور الإعجاز والمعجزات، وما تعلّق بها من أساليب الاحتجاج ضدّ المنكرين والمعاندين لهذه الدعوات، ممّا جعلها تحمل في طياتها معنى العظة والعبرة، مُذكّرةً هؤلاء المعاندين بعجزهم، وعجز من سبقهم؛ لأنّ غاية دُعاة الهداية من الأنبياء - ﷺ - الدعوة إلى الحقّ، وهداية البشرية إلى مواقع الخير، يقول الله - ﷻ -: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾⁽²⁾.

والناظر في القصص يجد أنّها ليست مجردَ خيالاتٍ أو ادّعاءاتٍ، بل هي رواياتٌ صحيحةٌ مضت، ومن بين ما يثبت به الإعجاز في القصص أنّ القرآن أخبر عن وقائع وأحداثٍ وأماكن، وصدّقها الواقع بالأدلة القطعية التي لا شكّ فيها، كنجاة جسد فرعون الغريق، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾⁽³⁾.

يقول عباس: "لا عجب إذن أن يكون هذا القصصُ بدعًا ممّا عرفته الإنسانية من هذا اللون في القديم والحديث حتى ذلك القصص الذي جاء في الكتب السماوية نجدّه يختلف تمامًا عن القصة القرآنية"⁽⁴⁾. في إشارةٍ منه إلى أنّ القرآن لا يقدّم قصةً لمجرد السرد أو التشويق الأدبي، بل يصوغها بمنهجٍ إلهيٍّ يخدم الهداية والإصلاح العقائدي والأخلاقي.

فالقصص القرآني نسيجٌ امتزج بالصدق، وبخلاصة الحقيقة، لا يغتره وهمٌ أو خيالٌ، وهو منطلقٌ من واقعٍ ثابتٍ، لا تُبدله آفات الزّمن، ففي هذا يقول الخطيب: "ونبادر فنقرر أن هذا الواقع لا يتغير وجهه أبداً، حين يعرض هذا العرض المعجز، في هذا الكلام الإلهي المنزل من رب العالمين"⁽⁵⁾. وهذا ما يمنح القرآن قوته الثابتة في الهداية والتأثير، مهما تغيرت العصور وتنوعت البيئات.

ومن ثمّ فإنّ تجلّيات تلك القصص مبعثها الإعجاز، وهي منطلقةٌ من واقعها الذي انطلقت منه، وتدرّجت إلى حيث نقلته إلى ما يجيش وسطّ الأنفس والضّمائر، حيث يُشير الخطيب في نحو هذا المعنى قائلاً: "هذا الإعجاز القرآني إنّما يتجلّى في صدق الأداء، وفي نقل الواقع وما تلبّس

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 8.

2/ سورة آل عمران: من الآية: 62.

3/ سورة يونس، من الآية: 92.

4/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 11، 12.

5/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 7.

به من سرائر النفوس، وخلجات القلوب، وخفايا الصدور"⁽¹⁾. فقد تردُّ التعابيرُ بصيغة الحزن، مثل مشاهد وأحداث قصص الأنبياء، وكره الصالحين، وما يرافقها من نزول البأس والعقوبة الإلهية في الظالمين، فينتج عن ذلك وقوع العبرة والعظة في خبايا النفوس؛ لأن القصة وسيلة وليست غاية، وأنها سيقَّت لإثبات الوحي والرسالة، والكشف عن ميولات النفوس وأمراضها.

يقول عباس: "يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها، هي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدي بها، تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفني، الذي تعرض فيه، وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية، وتلقي إيقاعها المطلوب"⁽²⁾. في دلالة على أن القصص القرآني يورد لتحقيق أغراض معينة من أبرزها إعجاز القرآن وإثبات سلطانه. كما يشير الخطيب إلى أن أحداث القصص القرآني: "إنما يبعثها القرآن الكريم على الصورة التي كانت عليها لحظة وقوعها، بحيث لو رآها الذين شاهدوها، أو شاركوا فيها، لأيقنوا أنهم ما زالوا حيث هم في لحظة وقوع الحدث"⁽³⁾. فالإعجاز القرآني قادرٌ على إيصال كلِّ جوانب تلك القصص التي في ثناياها، دون فصلٍ بين لحظة وقوعها، وبين تشكيل الصورة الحيَّة أثناء وقوعها، وذلك لبقاء تأثير تلك الصور والمشاهد في المخيلة، ولو بعد مُضيِّ قرنٍ ونصف تقريباً.

وهذا ما دفع سيّد قطب إلى القول بالتصوير الفني في القرآن الكريم، يقول الخطيب: "إن تصوير القرآن الكريم للأحداث التي ينتظمها قصصه، هو نقلٌ حيٌّ لها، حتى وكأنها تتجسّد في الزمان والمكان اللذان حملها لحظة حدوثها، فتظهر دائماً وكأنها في ساعة مولدها، لا يختلف يومها عن أمسها، ولا يفقد من يشهدها اليوم، أو غداً، شيئاً مما شهدته عليها المشاهدون ساعة مولدها"⁽⁴⁾. وهذا التصوير الحيُّ يُشعر القارئ أو المستمع وكأنه يعيش اللحظة ذاتها التي عاشها شهود الواقعة، دون أن ينقص من وقعها أو بهائها شيءٌ.

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 7.

2/ إعجاز القرآن، ص: 226.

3/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 7، 8.

4/ المصدر نفسه، ص: 8.

يقول الخطيب: "فليس القصص القرآنيّ إلا معدن القرآن الكريم، في صدقه المطلق، وفي إعجازه القائم على العالمين إلى يوم الدين: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁽¹⁾"⁽²⁾. فامتاز القرآن بالصدق المطلق والثبات، وهو محفوظ إذ تكفل الله بحفظه من أيّ تحريفٍ أو تبديلٍ. فكان ذلك مظهرًا من مظاهر الحصانة الإلهية للنصّ وضمانًا لاستمرار صدقه عبر العصور.

كما يتّضح هذا المعنى في إشارة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾⁽³⁾ إلى أنّ رسالة الإسلام إنّما جاءت في مكانها الأنسب، وهو ما عبّر عنه الباقلائيّ بأنّه: "تصوير ما في النفس وتشكيل ما في القلب حتى تعلّمه وكأنك مُشاهدّه، وإن كان قد يقع بالإشارة، ويحصل بالدلالة والأمانة، كما يحصل بالنطق الصريح والقول الفصيح، فلإشارات أيضًا مراتب، ولللسان منازل..."⁽⁴⁾. فالبلاغة القرآنية تتعدى الكلمات الصريحة لتشمل الإشارات والدلالات التي تخلق في النفس تصورات حيّة تجعل القارئ أو السامع يشعر كأنه يشاهد المشهد بنفسه، مما يعكس عمق البلاغة القرآنية وتنوع مستوياتها في التأثير الفكري والعاطفي. لذا كان من المعجز في كتاب الله أنّه نزل بلسان عربيّ مبين، وما القصّة فيه إلا نموذجٌ من الإعجاز الذي استقلّ به القرآن.

ومما يتبيّن عند التأمل في هذا السرد الإلهيّ لتلك الأخبار والقصص وأحوال الأمم السالفة، لهو خير دليل على اتّصال الإعجاز بهذا الكلام البليغ، بل ويشدّ الهمم للتفكير في كلام الله، حيث يقول: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى

لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾، ويقول -ﷺ-: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾⁽⁶⁾. فالقصة هي من الأنباء التي أوحاها الله إلى النبي -ﷺ-، ولم يكن قومه على علم بها، ثم تكشف له الآيات عن الغاية من تلك القصص، وأنّ فيه عزاء للنبي بما يرى من خلاف قومه عليه، وإعراضهم عن الهدى الذي بين يديه، ثم يتبدّى للنبي -ﷺ- في ختام السورة أنّه سيكون

1/ سورة فصلت، الآية: 42.

2/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 7، 8.

3/ سورة الأنعام: من الآية: 124.

4/ إعجاز القرآن، ص: 244.

5/ سورة هود، الآية: 120.

6/ سورة يوسف، الآية: 102.

صاحبَ السلطان عليهم، وأنَّ أمرَ قومِه سينتهي إلى ما انتهى إليه إخوةُ يوسفَ من اعترافهم بضلالهم⁽¹⁾.

والذي يظهرُ أنَّ وجهَ اقترانِ القصصِ بالإعجازِ يكمنُ في موافقتها لمضمونها وفحوى أحداثها، ويتَّضحُ ذلك بالنظرِ إلى ما وقعَ للنبي - ﷺ -، فالأخبارُ التي تلقاها من ربه لم تكن إلا تمهيداً لولادةِ قصَّةٍ جديدةٍ تُعيدُ رسمَ معالمِ سيرته، إذ فيها إشارةٌ إلى ما جرى للنبي - ﷺ - مع قومِه، إذ انتهت قصَّتهُ معهم بفتحِ مكة، على نحوِ يوافقُ خاتمةَ قصةِ يوسفَ مع إخوته حين اجتمعوا إليه بعد طولِ فراقٍ⁽²⁾. فقد كانت هذه الإشاراتُ والومضاتُ وحياً للنبي الكريم - ﷺ -، إذ لم تكن معروفةً لدى قومِه من قبلُ، حتى عند أولئك الذين كانوا يزعمون الإحاطةَ بأخبارِ السابقين وأثارهم. فجاء ظهورُ هذه الإحياءاتِ على لسانِ النبي - ﷺ - لأجلِ إيقاظِ العقولِ المريضة، واستجلاءِ الغمامِ عن الأفهامِ المعكوسةِ بحقيقةِ ما جاء به هذا النبي الصادق المصدوق، إذ هو الصِّدقُ كُلُّه، وأنَّ كلَّ ما جاء به لم يكن من عندِ نفسه، بل هو من عندِ ربه، إضافةً إلى ما يرافق هذه المغيِّباتِ المُخبِرِ عنها من إعجازِ يتَّضحُ في ثنايا كلِّ قصَّةٍ تُسرِّدُ في كتابِ الله، وهو بهذا يؤكِّدُ تمامَ التأكيدِ على قُدسيَّةِ النصِّ القرآني، وذلك متحتِّمٌ في قولِ الله - ﷻ -: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾⁽³⁾.

ومن مُجملِ ما سبقَ يتَّضحُ أنَّ للقصصِ القرآني صلةً وثيقةً بالإعجازِ لا تنفكُ عنه بأيِّ حالٍ من الأحوال، إذ لا يخلو أيُّ نصٍّ قصصيّ من عنصرِ الإعجازِ، بل لا تتمُّ عناصرُ هذه القصَّةِ إلا به، فهو السرُّ الكامنُ وراءَ تحقُّقِ العبرة، وتحصيلِ الحكمة، وقد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى ذلك في قوله - ﷻ -: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾⁽⁴⁾.

1/ القصص القرآني في منظوقه ومفهومه، ص: 492.
2/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 493.
3/ سورة النساء، الآية: 82.
4/ سورة يوسف، الآية: 111.

الفصل الثاني

مرجعيتُهما في دراسة القصص القرآنيِّ

مصادرُهما من التفسير وعلوم القرآن

مصادرُهما من كتب الحديث

مصادرُهما الأخرى

الفصل الثاني

مرجعيتُهُما في دراسة القصص القرآنيّ

تُعدُّ دراساتُ عبد الكريم الخطيب وفضل عباس من أبرز المرجعيّات المعاصرة في تناول القصص القرآنيّ، لما تميّز به من عمق في التحليل، وجِدّة في المنهج، ووضوح في الرؤية. فكلُّ منهما قدّم إسهامًا متميزًا في تفسير أبعاد هذا الفنّ القرآنيّ، وتحديد موقعه من الإعجاز والبيان والتوجيه التربوي. وقد اتّسمت مرجعية الخطيب بطابع تحليليّ وجماليّ، ركّز فيه على الأثر النفسي والوجداني للقصص القرآنيّ، من خلال تسليط الضوء على حركة القصة، وتصويرها الفنيّ، وتفاعلها مع السياق القرآنيّ. معتمدا في ذلك على المنهج الأدبيّ البيانيّ، موظّفًا أدوات تحليلية تعنى بجمالية اللغة وبلاغتها، مع مراعاة الوظيفة الرسالية للقصة وأثرها التربوي. أما فضل عباس فقد اتّسمت دراسته للقصص القرآنيّ بجمعها بين التحليل الموضوعي والمقارنة العلمية المنهجية، حيث أبرز خصوصية القصة القرآنية من حيث صدق الخبر ودقة العرض، وسمو الغاية. كما اهتم ببيان الجانب البلاغي والإعجازي في أسلوب السرد القرآنيّ.

مصادرهما من التفسير وعلوم القرآن

أفاد الخطيب وعباس من عدّة مصادر من كتب التفسير وعلوم القرآن، وهنا رصدُ لأبرز المواضيع من نقولاتهما، وذلك من خلال كتبهما، لا سيّما المتعلقة بدراسة القصص القرآنيّ، ومن حيث تعاملهما مع تلك المصادر اتّفاقًا واختلافًا. فالباحث في المصادر التي تناول من خلالها عبد الكريم الخطيب وفضل عباس دراسة القصص القرآنيّ يجدُ بعض الاختلاف بينهما، وذلك من حيث اعتمادهما على بعض المصادر في نقولاتهما، كما يتجلّى الاتفاق بينهما في بعض مواضع دراستهما لبعض القصص، وإن بدا الخطيب في أكثر المواضع لا يذكر مصادر نقولاته، في حين أنّ عباس ينقل ويسهب أحيانًا في نقله عن بعض مصادره التي اعتمد عليها.

• مصادرُ انفردَ بها الخطيبُ

1- تفسير الطبري (ت: 310هـ)

يُعدُّ تفسيرُ (جامع البيان عن تأويل القرآن) من أقدم التّفاسير، وهو مصدرٌ للتفسير المأثور من سنة النبي -ﷺ-، أو أقوال الصحابة، أو التابعين، حيث اهتم مؤلفه بالأحكام الفقهيّة، كما اشتهر بكثرة إيراده للإسرائيليات، وكان يتعقّبها أحيانًا بالنقد والتّحريض.

انفرد الخطيب⁽¹⁾ بنقله عن تفسير الطبري وذلك كما جاء في سياق خلق الإنسان، حيث أورد الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾⁽²⁾ قول ابن عباس - رضي الله عنه - عن قوله: (مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) قَالَ: "هُوَ التُّرَابُ الْمُبْتَلُّ الْمُنْتِنُ، جُعِلَ صَلْصَالًا كَالْفَخَّارِ"⁽³⁾. ويعقب الخطيب بقوله: "وبلغة العلم الحديث: يكون الطين، فالصلصال، فالحمأ المسنون - وهو الطين المتعفن - ثلاثة أطوار تنقلت في بذرة الحياة، وأن هذا التعفن الذي أصاب الطين هو بشائر الحياة"⁽⁴⁾. وهذه إشارة إلى أن أول تكوين لهذا الإنسان إنما كان من هذه المراحل، حيث أثمرت شجرة تلك المراحل أكمل وأكرم ثمرة على وجه الأرض، ألا وهي الإنسان، خليفة الله في أرضه.

وفي سياق مكان خروج الدابة التي تكلم الناس ينقل عنه الخطيب⁽⁵⁾ ما جاء من حديث: حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: وذكر الدابة، فقال حذيفة: قلت يا رسول الله، من أين تخرج؟ قال: "مِنْ أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ حُرْمَةً عَلَى اللَّهِ، بَيْنَمَا عَيْسَى يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ، إِذْ تَضَطَّرَبُ الْأَرْضُ تَحْتَهُمْ، تُحْرِكُ الْقُنْدِيلَ، وَيَنْشَقُّ الصَّفَا مِمَّا يَلِي الْمَسْعَى، وَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصَّفَا، أَوَّلُ مَا يَبْدُو رَأْسُهَا، مُلَمَّعَةٌ ذَاتُ وَبَرٍ وَرَيْشٍ..."⁽⁶⁾. يعني بذلك أن خروج هذه الدابة يكون من مكة المكرمة، ورؤي بأن لها ثلاث خرجات.

2- تفسير القمي (ت: 329هـ)

من أشهر مصادر التفسير وأقدمها عند الشيعة الإمامية، وعلى منهج التفسير بالمأثور، كما عد أصلاً لعدد من التفاسير، كما يعد القمي ثقةً عندهم، ومن أجل الرواية لديهم، حيث اعتمد على مروياته في بيان أنواع علوم القرآن، ومنها ما رواه عن والده، وقد أكثر في النقل عنه تلميذه الكائني في كتابه الكافي، كما جمع فيه أطرافاً من فضائل أهل البيت - عليهم السلام -، ويذكر أنه اختلف في نسبته إلى مصنفه.

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 375، 376.

2/ سورة الحجر، الآية: 26.

3/ جامع البيان في تأويل القرآن، 17 / 98. وهذه الأقوال مسندة في عدد من التفاسير.

4/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 376.

5/ المصدر نفسه، ص: 375، 376.

6/ أخرجه الطبري في تفسيره، 19 / 498. وذكره البغوي في تفسيره من رواية ابن جرير، 3 / 516. ورواه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (3035)، 3 / 173. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه الطبراني، وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك" برقم: (12576)، 7/8.

فالخطيب⁽¹⁾ بعدما نقل عن تفسير الطبرسي (مجمع البيان)، والذي هو من أبرز تفسيري الشيعة، ينقل ما ذكره الألوسي في تفسيره⁽²⁾ في سياق ما جاء في قصة الدابة، رواية عن تفسير القمي، عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: "قال رجل لعمار بن ياسر يا أبا اليقظان: آية في كتاب الله أفسدت قلبي، قال عمار: وأي آية هي؟ قال قول الله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾⁽³⁾ الآية، فأئي دابة هي؟ قال عمار: والله ما أجلس، ولا أكل، ولا أشرب؛ حتى أريتها، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين -عليه السلام- وهو يأكل تمرًا وزبدًا، فقال له: يا أبا اليقظان هلم، فجلس عمار، وأقبل يأكل معه، فتعجب الرجل منه، فلما قام عمار قال له الرجل: سبحان الله يا أبا اليقظان! حلفت أنك لا تأكل، ولا تشرب، ولا تجلس؛ حتى تريتها، قال عمار: قد أريتها إن كنت تعقل"⁽⁴⁾. ثم يُعقب الخطيب بقوله: "والشيعة يذهبون إلى الاعتقاد بأن الدابة التي يخرجها الله من الأرض، فتكلم الناس، هي: علي بن أبي طالب -عليه السلام-"⁽⁵⁾. وجل ما يرويه الشيعة في هذا كذب صريح؛ وذلك لورود هذه الأحاديث والآثار بأسانيد لا تُعلم صحتها⁽⁶⁾.

قال ابن عاشور: "وقد رويت في وصف هذه الدابة ووقت خروجها ومكانه أخبار مضطربة ضعيفة الأسانيد"⁽⁷⁾.

3- تفسير الطبرسي (ت: 548هـ)

هو من أهم تفسيري الشيعة الإمامية، حيث لقي قبولاً عند أهل السنة أيضاً. اعتمد في تفسيره على اللغة، ثم الاحتجاج بالقراءات، ثم المعنى، ولم يقتصر على مذهب بعينه، بل ذكر آراء جميع المذاهب الإسلامية، مما أكسبه تميزاً عن غيره من سائر التفسير، على الرغم من وجود بعض المحاذير فيه، لا سيما بسبب انتمائه لمذهب الشيعة الإمامية.

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 156.

2/ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، 7/ 365.

3/ سورة النمل، من الآية: 82.

4/ تفسير القمي، 7/36.

5/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 156.

6/ قال القرطبي: "فأول الأقوال أنه فصيل ناقة صالح وهو أصحابها- والله أعلم-". الجامع لأحكام القرآن، 235/13.

7/ التحرير والتنوير، 39/20.

كما ينقل عنه الخطيب⁽¹⁾ ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ

يَتَادُم هَلْ أَدُوكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبَلَىٰ﴾⁽²⁾، قوله: "أي: على شجرة من أكل منها لم يمُت"⁽³⁾.

كما ينقل عنه الخطيب عند حديثه عن هبوط آدم -ﷺ- من الجنة⁽⁴⁾، وذلك في تفسيره

لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾⁽⁵⁾ حيث يقول الطبرسي: "بين تعالى- إهباطهم إلى الأرض، فقال: (اهبطوا) أي: انزلوا، والخطاب لآدم وحواء على ما ذكرناه من الاختلاف فيه فيما تقدم، واختلف في تكرار الهبوط، فقيل الهبوط الأول: من الجنة إلى السماء، وهذا الهبوط: من السماء إلى الأرض"⁽⁶⁾.

4- تفسير القرطبي (ت: 671هـ)

يُعدُّ تفسيرُ الجامع لأحكام القرآن من التفاسير التي عُنت بآيات الأحكام، وبأسباب النزول، والقراءات، واللغات، ووجوه الإعراب، وتخريج الأحاديث، وبيان غريب الألفاظ، وتحديد أقوال الفقهاء، وجمع أقوال السلف ومن تبعهم من الخلف، ونقله عن سبقة في التفسير مع تعقيباته على من ينقل عنهم، واكتفى بذكر جانب يسير من الإسرائيليات، كما ردَّ على الفلاسفة والمعتزلة، وبقية الفرق، وكان أكثر توسعاً في المسائل الفقهية، مما أخرجَه عن المنهج المنضبط في التفسير.

ينقل الخطيب⁽⁷⁾ عن القرطبي في سياق ما جاء عن خلق الإنسان من صلصال، وذلك في

تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾⁽⁸⁾ حيث يقول القرطبي: "فكان أوله تراباً، أي: متفرق الأجزاء، ثم بلُّ فصار طيناً، ثم ترك حتى أنتن، فصار حمأ مسنوناً، أي:

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 387.

2/ سورة طه، الآية: 120.

3/ مجمع البيان، 7/ 54.

4/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 394.

5/ سورة البقرة، من الآية: 38.

6/ مجمع البيان، 1/ 166.

7/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 376.

8/ سورة الحجر، الآية: 26.

متغيّراً، ثم يبيّن فصار صلصالاً، على قول الجمهور⁽¹⁾. وهي أن يمرّ الإنسان بأربعة مراحل أثناء خلقه.

كذلك ينقل الخطيب⁽²⁾ عنه في السياق نفسه قوله: "فخلق الله بيده؛ لكيلا يتكبر إبليس عنه، يقول: أتتكبر عما خلقت بيدي، ولم أتكبر أنا عنه! فخلقه بشراً، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة ففرعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فرعاً إبليس، فكان يمرُّ به فيضربه فيصوتُ الجسدُ كما يصوتُ الفخارُ تكونُ له صلصلةٌ، فذلك حين يقول: ﴿مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾⁽³⁾، ويقول: لأمر ما خلقت!"⁽⁴⁾. ويعقب الخطيب على هذا القول بقوله:

"وهذا القول وأمثاله إن هو إلا من موارد قصص الأولين وأساطيرهم، وليس في آيات القرآن الكريم دلالة عليه من قريب أو بعيد"⁽⁵⁾. فكان يرى بأنّه من الأجدر الاحتفاظ بهذه القضية في إطارها القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وفي سياق إهباط آدم - ﷺ - من الجنة ينقل عنه الخطيب⁽⁶⁾ في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ

فَاهِطْ مِنْهَا﴾⁽⁷⁾ قوله: "أي: من صورتك التي أنت فيها؛ لأنّه افتخر بأنّه من النار، فشوّهت صورته

بالإظلام وزوال إشراقه. وقيل: ﴿فَاهِطْ مِنْهَا﴾ أي: انتقل من الأرض إلى جزائر البحار"⁽⁸⁾. فهو

يقصد بذلك الهبوط الذي لم يكن هبوطاً من السماء، وإنّما كان من جنة أرضية، فهو يوافق بعض الآراء القائلة بأنّ آدم لم يكن قد دخل جنة سماوية، وهذا لا شك بأنّه قول مرجوح، ورأي غير صحيح.

5- تفسير البيضاوي (ت: 685هـ)

جمع البيضاوي في تفسيره بين التفسير والتأويل، وفق قواعد اللغة العربية، وقرّر فيه الأدلة على أصول أهل السنة، وهو اختصار لتفسير الكشاف للزمخشري، بعد أن ترك ما فيه من اعتزاليات، ويعدُّ خلاصة لما ذكره الزمخشري والفخر الرازي، وليس للبيضاوي آراء صادرة

1/ الجامع لأحكام القرآن، 10 / 21.

2/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 385، 386.

3/ سورة الرحمن، من الآية: 14.

4/ الجامع لأحكام القرآن، 1 / 280.

5/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 386.

6/ المصدر نفسه، ص: 394.

7/ سورة الأعراف، من الآية: 13.

8/ الجامع لأحكام القرآن، 7 / 173.

عنه في تفسيره، كما لم ينفرد عنهما إلا بذكر القراءات المتواترة باختصار، ويذكر أحياناً الشاذة منها، كما يعرض لبعض آيات الأحكام دون تفصيل، وذكر بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين.

انفرد الخطيب⁽¹⁾ عن عباس بالنقل عن تفسير البيضاوي لقوله تعالى: ﴿مِنْ حَمَإٍ

مَسْنُونٍ﴾⁽²⁾، حيث يقول: "مِنْ حَمَإٍ: طِينٌ تَغَيَّرَ وَأَسْوَدَ مِنْ طَوْلِ مجاورة الماء"⁽³⁾. ويأتي هذا في

سياق الخلاف الحاصل بين بعض المفسرين في شأن خلق الإنسان.

6- تفسير ابن كثير (ت: 701هـ)

من أشهر التفاسير التي قامت على منهج التفسير بالمأثور، وجاء على طريقة الطبري، من تفسير القرآن للقرآن، وذكر الأحاديث والآثار المسندة، وأقوال الصحابة والتابعين، مع اهتمامه بالأسانيد ونقدها، واعتناؤه بالعربية وعلومها ومباحثها، وذكر القراءات دون تفصيل، وأسباب النزول، مع تنبيهه وتحذيره من منكرات الإسرائيليات، مع مناقشة أقوال العلماء لآيات الأحكام، كما امتاز تفسيره بوضوحه، وسهولة عبارته، وعنايته بالهدف الأساسي للتفسير.

حيث ينقل الخطيب⁽⁴⁾ عن ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُّسْذُونٍ فِي

الْأَرْضِ﴾⁽⁵⁾، قوله أنه روي: "في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدُها، والله أعلم"⁽⁶⁾. إذن

فالملائكة جميعهم مخلوقون من نور، ولو كانوا في صور شتى، وأن الجن منهم المؤمنون ومنهم الكفار، وأن إبليس - عليه لعائن الله - كان من الجن الذين فسقوا عن أمر الله بالسجود لآدم - ﷺ -.

7- تفسير الخازن (ت: 741هـ)

يعدّ تفسير (لباب التأويل في معاني التنزيل) مختصراً من تفسير البغوي، قال عنه مصنفه بأنه لم يجعل لنفسه تصرفاً سوى النقل والانتخاب⁽⁷⁾. حيث ابتعد فيه عن التّطويل، وحذف منه الأسانيد، وأورد فيه التفسير الإفرادي، والإجمالي، واللغوي، إضافة إلى ذكر الشواهد الشعرية العربية، كما حوى فضائل السور، وأسباب النزول، مُعتمداً في الأغلب على الأحاديث النبوية،

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 377.

2/ سورة الحجر، من الآية: 26.

3/ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 3/ 210.

4/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 106.

5/ سورة الكهف، من الآية: 94.

6/ تفسير القرآن العظيم، 5/ 176.

7/ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، المقدمة، 4/1.

والآثار الصحيحة، مع تخريجه للأحاديث والآثار، ولكن تفسيره لا يخلو من ملاحظات، فقد يوجد فيه بعض الروايات عن الضعفاء، وأحياناً يوجد فيه بعض الإسرائيليات.

وفي السياق نفسه ينقل الخطيب⁽¹⁾ عن تفسير الخازن لقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾⁽²⁾

قوله: "أصلهما من أجيح النار"⁽³⁾. فالخطيب يرى بأن ازدواج هذين الاسمين في غرابتهما، كانا مادةً خصبةً لتوليد الصور الغريبة، وتأليف تلك الروايات المختلفة، حتى يقول: "لقد سمح الخيال المجتئح بأن يُقال: إن هذين الاسمين عربيان، وأن يأجوج مشتق من أجيح النار، وهو هذا الصوت الرهيب الذي تشهق به النار ..."⁽⁴⁾. كما عدّه من أغرب ما قيل في هذا المقام من مقولات.

كما ينقل عنه الخطيب⁽⁵⁾ روايته لحديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - عن يأجوج ومأجوج، قال: "يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربع مائة ألف أمة، لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه كل واحد قد حمل السلاح ...". ويرد الخطيب على الخازن، وأنه يختلق فعل هذه العوالم، وأنه يُخرجها على الصورة التي يراها، "وكأنه يستعرض قدرة الله، وبديع صنعه في عرض هذه العجائب على الناس، وهي كلها من مواليد الخيالات والأوهام"⁽⁶⁾.

كما نقل عنه الخطيب⁽⁷⁾ في سياق شأن صورة حملة العرش، حيث يورد رواية عن

عروة بن الزبير - رضي الله عنه - قال: "حملة العرش منهم من صورته على صورة الإنسان، ومنهم من صورته على صورة النسر، ومنهم من صورته على صورة الثور، ومنهم من صورته على صورة الأسد"⁽⁸⁾. وهذا مما لا شك فيه أنه انطلاقاً بهذه المفاهيم إلى أحوال الخيال، حيث يعتبر الخطيب تفسير الخازن بأنه "يمثل الذروة التي بلغت التفاسير في الإغراب والتحطيط من كل غث وThin"⁽⁹⁾. كما اعتبر الخطيب بأن كل ما قيل في يأجوج ومأجوج يُعدُّ بعيداً غاية البعد عن

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 105.

2/ سورة الكهف، من الآية: 94.

3/ لباب التأويل في معاني التنزيل، 3/ 177.

4/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 105.

5/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 341.

6/ المصدر نفسه، ص: 342.

7/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 342.

8/ لباب التأويل في معاني التنزيل، 4/ 334.

9/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 341.

منطوق القرآن، كما أنه بعيدٌ غايةً البعدِ عن الحقيقةِ الممكنُ تصوُّرها⁽¹⁾. وما هي إلا جماعاتٌ يسودها التخلفُ، وقد سكنت الغاباتِ والمغاراتِ والكهوفِ، كما عاثتُ في الأرضِ فسادًا وخرابًا.

8- تفسيرُ الألوسيِّ (ت: 1270هـ)

جمع آراءِ السلفِ روايةً ودرايةً، واشتمل على أقوالِ الخلفِ، فهو جامعٌ لخلاصةِ ما سبقه من التفسيرِ المُعتبرةِ، كما تعقَّبَ على بعضِ المفسِّرينَ، كالفخرِ الرَّازيِّ، وردَّ عليه انتصارًا لمذهب أبي حنيفةً، كما شملَ جلَّ مناحي التفسيرِ، من بيانٍ، ولغةٍ، وعرضٍ لأسبابِ النزولِ، والقراءاتِ، والمسائلِ النَّحويَّةِ، والفقهيةِ، والعلومِ الكونيَّةِ، مع استعراضٍ للأراءِ المختلفةِ، والتعقيبِ عليها بالتفنيدي، أو القبولِ، أو التَّرجيحِ، أو الموازنةِ.

كما وصفَ الخطيبُ الألوسيِّ بأنه: "جاءت في تفسيره مقولاتٌ كثيرةٌ عن الدابةِ التي تُكلمُ الناسَ"⁽²⁾، فيقولُ في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: "هذا بيانٌ لما أُشيرَ إليه بقوله تعالى: ﴿بَعْضُ الَّذِي سَتَعْلَمُونَ﴾"⁽³⁾ من بقيةٍ ما يستعجلونه من الساعةِ ومبائدها، والمرادُ بالقولِ هنا: ما نطقَ من الآياتِ الكريمةِ بمجيءِ الساعةِ، وما فيها من فنونِ الأهوالِ التي كانوا يستعجلونها"⁽⁴⁾.

وينقلُ الخطيبُ⁽⁵⁾ تعقيبَ الألوسيِّ على تلكَ الرواياتِ التي جاءت في شأنِ الدابةِ بقوله: "وأكثرُ الرواياتِ أنَّها دابةٌ واحدةٌ، وهو الصَّحيحُ، فالتَّعبيرُ عنها باسمِ الجنسِ، وتأكيدُ إبهامه بالتَّنوينِ الدالِّ على التَّخيمِ، من الدِّلالةِ على غرابةِ شأنها، وخروجِ أوصافها عن طورِ البيانِ"⁽⁶⁾. ثمَّ يُوردُ الخطيبُ تعقيبَ الألوسيِّ على هذه الرواياتِ بقوله: "وهذا ظاهرٌ في أنَّ خروجَ الدابةِ حين لا يبقى في الأرضِ خيرٌ، ويفتضي ذلكَ أن يكونَ بعدَ موتِ عيسى، والمهديِّ، وأتباعهما - -"⁽⁷⁾. ولكنَّ الخطيبَ يردُّ على كلِّ هذه الرواياتِ وينفضُّها، فيقولُ: "كانَ على الرِّسولِ - - أن يُذكَرَ النَّاسَ بالسَّاعةِ وأحداثها وأشراطها في حدود تلكَ المعاني التي أشارتُ إليها الآياتُ

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 107.

2/ المصدر نفسه، ص: 154، 155.

3/ سورة النمل، من الآية: 72.

4/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 232/10.

5/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 155.

6/ روح المعاني، 232/10.

7/ المصدر نفسه، 232/10.

القرآنية⁽¹⁾. والذي يتضح بأن مثل هذه الأحاديث وغيرها، نسبها الوضّاعون إلى النبي ﷺ؛
مما أثارَت الفرقة بين المسلمين، وأشعلت نار الحروب بينهم.

كما ينقل عنه الخطيبُ تعقيبه على ما جاء في شأن الدابة التي تكلم الناس قوله:
"وقصارى ما أقول في هذه الدابة، أنها دابة عظيمة، ذات قوائم، ليست من نوع الإنسان أصلاً،
يخرجها الله تعالى آخر الزمان من الأرض"⁽²⁾. فالخطيب هنا إنما يقرّر ما رجّحه الألويسي، ويعدُّ
أن الذي قرّره بعضُ مفسري الشيعة بعيد كل البعد عن مقصود الآية الكريمة.

9- القرآن المجيد لدروزة (ت 1404هـ)

انفرد الخطيب⁽³⁾ عن عباس بالنقل عن محمد دروزة، وذلك في سياق حديثه عن فرق
الشيعة، وأنهم كانوا ممن يخرجون بعض التخريجات المخالفة؛ خدمة لعقيدتهم وأهوائهم، حيث
يقول: "ورأى مفسرُوا الشيعة وباحثوهم في كثير من آيات القرآن وعباراته إشارات ورموزاً إلى
علي وفاطمة، والحسن والحسين، مثل جملة ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾⁽⁴⁾ حيث ترمز إلى عليّ
وفاطمة، وجملة ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الطُّورُ وَالْمَرَجَاتُ﴾⁽⁵⁾ ترمز إلى الحسن والحسين..."⁽⁶⁾. ويعلقُ
الخطيب على هذه الأقوال وأمثالها بقوله: "وهي كما ترى قد حرّفت الكلم عن مواضعه، وجاءت
بضلالات وأباطيل، فأقامت منها عقيدةً وديناً"⁽⁷⁾. وما هذه التأويلات والشطحات إلا خدمة لأراء
أصحابها، حتى قادتهم إلى الكفر والإلحاد، والخروج على كثير من نصوص الشريعة، فجعلوها
حسب فهمهم، وعدلوا عن المعاني الصحيحة التي سيقف لأجلها هذه النصوص، بل وحرّفوا
الكلم عن مواضعه.

• مصادر التفسير التي انفرد بها عباس

1- تفسير الرّازي (ت: 606هـ)

اهتمّ الرّازي في تفسيره ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره، مع عنايته بالعلوم
الرياضية والفلسفية، كما اهتمّ بذكر علوم الفقه، مع تعصّبه لمذهبه الشافعي، وكذلك علم الأصول،

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 159.

2/ روح المعاني، 234/10.

3/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 343.

4/ سورة الرحمن، الآية: 19.

5/ سورة الرحمن، الآية: 22.

6/ القرآن المجيد، ص: 264.

7/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 343.

والنحو والبلاغة، وبالجملة: فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة.

انفرد فضل عباس عن الخطيب في دراساته للقصص القرآنيّ باعتماده على عددٍ من مصادر التفسير، ولقد أورد عباس⁽¹⁾ الخلاف حول المقصود من قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾⁽²⁾، حيث يقول الرازي -رحمه الله-: "اختلفوا في أنّه كان ابناً له، وفيه أقوال: القول الأول:

أنه ابنه في الحقيقة، والدليل عليه: أنه تعالى نصّ عليه فقال: ونادى نوح ابنه ونوح أيضاً نصّ عليه فقال: يا بني وصرف هذا اللفظ إلى أنه ربه، فأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرفاً للكلام عن حقيقته إلى مجازه من غير ضرورة وأنه لا يجوز، والذين خالفوا هذا الظاهر إنّما خالفوه لأنهم استبعدوا أن يكون ولد الرسول المعصوم كافراً، وهذا بعيداً..."⁽³⁾. حيث ذكر الرازي بعض الأقوال التي تنتهم أزواج الأنبياء كنوح ولوط بالخيانة، ويعلق عباس على هذه الأقوال فيقول: "وأكرر القول هنا أنّ القضية حسماً القرآن الكريم، ولا يليق بمقام الأنبياء أن تُنتهم نسأؤهم بالفاحشة، وشتان بينها وبين قضية عقديّة"⁽⁴⁾. حيث انتصر عباس للنص القرآني، رافضاً أي تأويلٍ يمسّ عصمة الأنبياء، أو يمسّ مقامهم الأخلاقي، مشيراً إلى أنّ اتهام نساء الأنبياء بالفاحشة أمرٌ لا يليق بمقام النبوة، في حين يمكن الخلاف في قضايا عقديّة.

وفي سياق قصة موسى -رحمه الله- ينقل عنه عباس في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ

لي ﴾⁽⁵⁾ قول الرازي: "فاعلم أنّ الذين حملوا الكلام المتقدم على صدور الرّلة منه تمسكوا بهذه

الآية، فإنّه لولا تقدّم الذنب لما طلب المغفرة، ويمكن أن يُجاب عنه بأنّ الإنسان لا ينفك البتّة عن ترك الأفضل والأولى، وحينئذٍ يحتاج إلى طلب المغفرة؛ لأنّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين،

1/ نقل عباس في هذه المسألة ترجيح عبد الوهاب النجار حيث قال: أنه كان ابنه الحقيقي، ولكنه لا يستبعد أن تكون الخيانة التي في الآية خيانة زوجية، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَخَانَتْهُمَا ﴾ سورة التحريم، من الآية: 10، لكن لجنة علماء الأزهر - التي شكلت في أوائل الثلاثينات من هذا القرن لمناقشة كتاب قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار - أنكرت عليه قوله هذا، وذكرت قول الرازي. قصص الأنبياء، ص: 67. قصص القرآن الكريم، ص: 186.

2/ سورة هود، من الآية: 46.

3/ مفاتيح الغيب، 17/ 350.

4/ قصص القرآن الكريم، ص: 188.

5/ سورة ص، من الآية: 35.

ولأنهم أبدأ في مقام هضم النَّفس، وإظهار الدِّلَّة والخضوع، كما قال - ﷺ -: "إِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً"⁽¹⁾، ولا يبعدُ أن يكون المرادُ من هذه الكلمة هذا المعنى، والله أعلم"⁽²⁾.

2- تفسير المنار لرشيد رضا (ت: 1354هـ)

يعدُّ المنهجُ الذي سارَ عليه رشيد رضا في تفسيره هو عَيْنُ ما نهجَه شيخُه محمَّد عبده، إذ لم يتقيدَ بأقوالِ المفسرين، كما لم يكنْ له اهتمامٌ بالإسرائيليات، ولا الأحاديثِ الموضوعية، وهو لا يحنثُ لمباحثِ الفنون، ولا يرجعُ بالنصِّ إلى اصطلاحاتِ العلوم، بل يشرحُ الآياتِ بأسلوبٍ بليغٍ، ويكشفُ عن المعانيِ بعبارةٍ سهلةٍ مقبولةٍ، ويوضحُ مشكلاتِ القرآنِ ويدافعُ عنه، ويردُّ ما أُثيرَ حوله من شبهاتٍ، غيرَ أنَّه لم يكمله.

اعتمدَ عباس في كثيرٍ منَ المواضعِ على تفسيرِ المنارِ وأفادَ منه، فمن هذه المواضع: أنَّه أشارَ إلى سرِّ الجمعِ بينَ فئاتِ الأنبياءِ الثلاثة⁽³⁾، وهي التي جاءت في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽⁴⁾ يقولُ رشيد رضا: "فالقسم الأول: داود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، والمعنى الجامع بينَ هؤلاء أنَّ الله تعالى آتاهم المُلْكَ والإمارة، والحكمَ والسِّيادة، مع النَّبوَّةِ والرَّسالة"⁽⁵⁾. وجعل القسم الثاني: أنبياء تميزوا بالزهد الشديد وهم: زكرياء، ويحيى، وعيسى، وإلياس. وجعل القسم الثالث: أنبياء لم يكن لهم خصوصية من ملك الدنيا وهم: إسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط⁽⁶⁾. فالقسم الأول يظهر النموذج القيادي الجامع بين النبوة والحكم، مما يشيرُ إلى قيادةٍ راشدةٍ تمزج بين الدين والسياسة. أما القسم الثاني: فيبرزُ النموذجَ الزاهد الذي يُمثِّلُ القيمَ الروحيةَ والأخلاقيةَ، وهو خطابٌ موجَّهٌ إلى إصلاحِ القلوب. والقسم الثالث: يوضح النبوةَ المُجرَّدةَ عن السلطة، لترسيخ أنَّ الرسالةَ ليست مرتبطةً بالملك بل بالبلاغ والدعوة.

1/ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاستئذان، باب: الدعوات، برقم: (6307)، 85 / 21.

2/ مفاتيح الغيب، 394 / 26.

3/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 147. وقصص القرآن الكريم، ص: 292، 293.

4/ سورة الأنعام، الآيات: 83 - 86.

5/ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، 7 / 489، 490.

6/ المصدر نفسه، 7 / 489، 490.

وفي سياق قصّة آدم - ﷺ - ينقل عنه عباس⁽¹⁾ قوله: "وتقريرُ التمثيل في القصّة على هذا المذهب - مذهب الخلف - هكذا: إنّ إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفةً في الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه ونظامه لوجود نوعٍ من المخلوقات يتصرف فيها فيكون به كمال الوجود في هذه الأرض، وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الأرض؛ لأنه يعمل باختياره ويعطي استعداداً في العلم والعمل لا حد لهما، هو تصوير لما في استعداد الإنسان لذلك وتمهيد لبيان أنه لا ينافي خلافته في الأرض..."⁽²⁾. فالإخبار بالخلافة عند رشيد رضا وشيخه محمد عبده يرمز إلى اكتمال تهيئة الأرض، وتسؤال الملائكة يُنمي عن طبيعة الإنسان القابلة للإصلاح والإفساد، في إطار مقاصد حضارية. أما فضل عباس فقد تناول القصة بمنهج عقديّ، حيث التزم بظاهر الآيات، مع إبراز مقاصدها التربوية والعقدية في تكريم الإنسان وتحمله مسؤولية الخلافة. وقد ردّ عباس على رشيد رضا فيما ذهب إليه، وناقشه في ذلك كما في بعض كتبه⁽³⁾.

وفي سياق تفسيره لقوله - ﷺ -: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُؤًا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾⁽⁴⁾ ينقل عنه عباس⁽⁵⁾ ما جاء في ردّ أستاذه محمد عبده على الشبهات التي أثّرت حول قصة آدم - ﷺ - بقوله: "إنّ القرآن يُنافي هذا الاعتقاد، أي اعتقاد أنّ آدم أبو البشر كلّهم، وهو لم يُقل هذا تصريحاً، ولا تلويحاً، وإنّما بيّن أنّ ثبوت ما يقوله الباحثون في العلوم، وأثار البشر..."⁽⁶⁾، فرشيد رضا يوافق شيخه في هذه القضية محاولاً الجمع بين النص القرآني والمُعطيات العلمية، والتوفيق بينهما دون تعارض.

وينقل عباس عنه ردّه على الطاعنين في حقائق القرآن الثابتة، وذلك مثل تسمية أبي إبراهيم آزر⁽⁷⁾ حيث يقول: "وأما أبو إبراهيم فقد سمّاه الله - تعالى - في الآية الأولى من هذه الآيات: (آزر)، وفي سفر التكوين أنّ اسمه: (تارح) بفتح وحاءٍ مهملةٍ، وقالوا: إنّ معناه (متكاسل)..."⁽⁸⁾.

1/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 433، 434.

2/ تفسير المنار، 1/ 233.

3/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 433.

4/ سورة النساء، من الآية: 1.

5/ قصص القرآن الكريم، ص: 145.

6/ تفسير المنار، 4/ 267.

7/ قصص القرآن الكريم، ص: 260، 261.

8/ تفسير المنار، 7/ 446، 447.

وفي سياق قصة البقرة، نقلَ عنه قوله: "إنَّ القرآنَ جاءَ بها من عندِ الله الذي يقولُ في بني إسرائيلَ المتأخِّرين: إنَّهم نسُوا حظًّا ممَّا ذكَّروا به، وإنَّهم لم يُؤتُوا إلَّا نصيبًا من الكتابِ، على أنَّ هذا الحكمَ منصوصٌ في التَّوراةِ..."⁽¹⁾. إذ اعتبرها عبَّاسٌ من أعظم الأدلَّةِ على إعجاز القرآن⁽²⁾. كما يورد عبَّاس - مع بعض التصرُّف - كلام رشيد رضا في قضية التثليث، حيث يذكر أنَّ النَّصارى يعتقدون أنَّ الآلهة ثلاثة⁽³⁾ مستشهدًا بقوله: "ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، أو: الله ثلاثة أقانيم، كلُّ منها عينُ الآخر، فكلُّ منها إلهٌ كاملٌ، ومجموعُها إلهٌ واحدٌ فتسفهوا أنفسكم بترك التوحيد الخالص الذي هو ملة إبراهيم وسائر الأنبياء عليهم السلام، والقول بالتثليث الذي هو عقيدة الوثنيين الطِّغَامِ..."⁽⁴⁾. والموقف القرآني والعقلي يقتضي رفض التثليث، حيث يبين التناقض في الجمع بين ثلاثة أقانيم متميزة واعتبارها إلهًا واحدًا، ويربطها بجذور وثنية مخالفة لملة إبراهيم - ﷺ -.

3- تفسيرُ في ظلالِ القرآنِ لسيدِ قطب (ت: 1386هـ)

امتازَ تفسيرُهُ بافتتاح السور بمقدمات موجزة تهدف إلى الربط بين أجزائها، ولتوضيح أهدافها ومقاصدها، فيوردُ المأثورَ الصَّحيحَ، ويبتعدُ عن الغوصِ في المباحثِ اللغويَّةِ، مُكتفياً بالإشارة فقط، ثمَّ يَنجُه إلى تصحيح بعض المفاهيم، مع ربط دعائم الإسلام بالحياة، حيثُ اعتُبرَ تفسيره تفسيرًا عصريًا، وفي تسميته له بالظلال دلالَّة على التعبير الذي يرسمُ للمعنى صورةً أو ظلًّا يخاطبُ الحسَّ والوجدانَ، فهو على طريقةٍ من طرق التَّصويرِ الفنيِّ للقرآنِ الكريمِ.

حيثُ نقلَ عنه عبَّاس⁽⁵⁾ في سياق ما جاء في قصة الخلق، ونظريَّة دارون، أثناء عرضه

لرأي الخطيب في هذه النظريَّة، وهو ما جاء في سياق قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ

ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾⁽⁶⁾، حيثُ يقول سيد قطب:

"إنَّ الخلقَ قد يكون معناه: الإنشاء. والتَّصويرُ قد يكون معناه: إعطاء الصَّورة والخصائص، وهما مرتبتان في النَّشأة لا مرحلتان، فإنَّ (ثمَّ) قد لا تكون للترتيب الزمني، ولكن للترقي المعنوي. والتَّصوير أرقى مرتبة من مجرَّد الوجود. فالوجود يكون للمادة الخامة ولكنَّ التَّصوير - بمعنى إعطاء الصَّورة الإنسانيَّة والخصائص - يكون درجةً أرقى من درجات الوجود. فكأنَّه

1/ تفسير المنار، 1/ 287.

2/ قصص القرآن الكريم، ص: 591.

3/ قصص القرآن الكريم، ص: 701.

4/ تفسير المنار، 6/ 72.

5/ قصص القرآن الكريم، ص: 153 - 169.

6/ سورة الأعراف، الآية: 11.

قال: إننا لم نمنحكم مجرد الوجود ولكن جعلناه وجوداً ذا خصائص راقية...⁽¹⁾ حيث يفرق سيد قطب بين الخلق كإيجاد للمادة الأولية، والتصوير كإعطاء هيئة وصفات مميزة، موضعاً أن تمّ تفيد الترقي المعنوي لا الرتيب الزمني، مما يُبرز دقة التعبير القرآني وسموّ معناه.

وفي سياق حديثه عن ورود القصص في القرآن في مواضع ومناسبات ينقل عنه عباس قوله: "وهذه المناسبات التي يُساقُ القصصُ من أجلها هي التي تُحدّد مساقَ القصّة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدي بها. تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه. وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية، وتلقي إيقاعها المطلوب. ويحسب أناسٌ أنّ هنالك تكراراً في القصص القرآني؛ لأنّ القصّة الواحدة قد يتكرّر عرضها في سورٍ شتى. ولكنّ النّظرة الفاحصة تؤكّد أنّ ما من قصةٍ أو حلقةٍ من قصّةٍ قد تكرّرت في صورةٍ واحدةٍ، من ناحية القدر الذي يُساقُ، وطريقة الأداء في السّياق..."⁽²⁾. يوضح سيد قطب أن تنوع عرض القصّة في سورٍ متعددة ليس تكراراً بالمعنى التقليدي، بل هو إعادة صياغة تخدم غايات مختلفة تبعاً للسياق الروحي والفكري والفني لكل موضع بما يتناسب مع جو السورة ومقاصدها. فهو هنا ينفى القول بالتكرار في القرآن على النحو الذي يفهم منه عدم ورود جديد في القدر المكرّر، ولا شك أنّ عبّاس موافقٌ لهذا الرّأي، وهو قولٌ أغلب علماء التفسير وعلوم القرآن.

4- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ت: 1394هـ)

يعد تفسيره من أبرز التفاسير في العصر الحديث، حيث جمع فيه بين أصالة الموروث التفسيري وعمق التجديد المنهجي. إذ اعتمد فيه على بيان وجوه الإعجاز، وإظهار النكت البلاغية، وطرق الاستعمال، كما اعتنى ببيان تناسب السور وأغراضها، واتّصال إياي بعضها ببعض، مع اهتمامه بمعاني المفردات في اللغة العربية تحقيقاً وضبطاً من قواميس اللغة، كما غني بإيراد القراءات واشتراطه للاحتجاج بها شروطاً، كما كشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه، تكاد تخلو منها بقية التفاسير.

انفرد عبّاس⁽³⁾ عن الخطيب بالنقل عن التحرير والتنوير وذلك في تفسيره لقوله تعالى:

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١١٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١١٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾⁽⁴⁾

حيث يقول ابن عاشور: "رأى من قومه تمحّضاً للشغل بأمور دنياهم، وإعراضاً عن الفكر في

1/ في ظلال القرآن، 1264/3.

2/ المصدر نفسه، 55/1.

3/ قصص القرآن الكريم، ص: 214، 215.

4/ سورة الشعراء، الآيات: 128 - 130.

الآخرة، والعمل لها، والنظر في العاقبة، وإشراكًا مع الله في إلهيته، وانصرافًا عن عبادة الله وحده الذي خلقهم وأمرهم في الأرض وزادهم قوة على الأمم، فانصرفت هماتهم إلى التعظيم والتفاخر واللهو واللعب. وكانت عادٌ قد بلغوا مبلغًا عظيمًا من البأس، وعظم السلطان، والتغلب على البلاد، مما أثار قولهم: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِتًا قُوَّةً﴾⁽¹⁾ فقد كانت قبائل العرب تصف الشيء العظيم في نوعه بأنه: (عادي)، وكانوا أهل رأيٍ سديد، ورجاحة أحلام...⁽²⁾ يصور ابن عاشور قوم عادٍ وهم في أوج قوتهم وسلطانهم، مقرونين بغفلتهم عن الآخرة، ويكشف من خلال لغتهم وثقافتهم كيف عكس القرآن حالهم، في منهجٍ ممزوج بين التحليل الاجتماعي والدراسة اللغوية.

• ما اشتركا فيه من مصادر في التفسير

اشترك كلٌّ من عبد الكريم الخطيب وفضل عباس في الرجوع إلى تفسير الكشاف للزمخشري ضمن مصادرهما التفسيرية عند تناولهما للقصص القرآني، إلا أن طبيعة الإفادة من هذا المصدر اختلفت بينهما، فبينما لم يعتمد الخطيب على النقل المباشر عن الزمخشري، مكتفيًا بالإشارة إلى بعض المعاني التي تتوافق مع رؤيته وأسلوبه، نجد عباس قد توسع في بعض المواضع بالاقتراب منه مُستفيدًا من تحليلاته اللغوية والبلاغية، ومحاولة توظيفها لخدمة مقاصده التفسيرية. وهذا يُبرز أن الاشتراك في المصدر لم يستتبع تطابقًا في منهج التوظيف، بل ظل لكلٍ منهما طريقته الخاصة في الاستفادة من المادة التفسيرية.

1- تفسير الكشاف للزمخشري (538هـ)

يُعدُّ تفسير الكشاف من أبرز التفاسير بالرأي التي قامت على أسس اللغة العربية وأساليب العرب، مع عناية دقيقة بعلوم البلاغة والنحو. وقد أصبح مرجعًا رئيسًا اعتمد عليه معظم المفسرين الذين جاؤوا بعده، لما فيه من تحقيق لغوي وبياني رفيع. كما امتاز تفسيره بالتركيز على وجوه الإعجاز القرآني وفنون البيان، وتحليل التراكيب والأساليب بما يكشف عن ثراء النص القرآني ودقة معانيه. كما تجنّب الإكثار من القصص والإسرائيليات، مما جعل تفسيره أكثر نقاءً من تلك المرويات. ومما يميزه أنه اعتمد أسلوبًا تعليميًا تفاعليًا قائمًا على صيغة السؤال والجواب في عرض مقاصده، مما أضفى على التفسير حيويةً ووضوحًا في إيصال المعنى.

1/ سورة فصلت، من الآية: 15.

2/ التحرير والتنوير، 19/ 165، 166.

ينقل الخطيب⁽¹⁾ عن الزمخشري بعض أقواله في تفسيره لبعض الآيات، منها: ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾⁽²⁾ حيث يقول: "فإن قلت: كيف قيل: إِلَّا أُمَّمٌ مع إفراد الدابة والطائر؟ فإن قلت: لما كان قوله تعالى وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ دالاً على معنى الاستغراق ومُعنيًا عن أن يُقال: وما من دوابٍ ولا طير، حُمِلَ قوله إِلَّا أُمَّمٌ على المعنى"⁽³⁾. يحلل الزمخشري الجمع في قوله تعالى: (إلا أمم) مع إفراد الدابة والطائر بالاستناد إلى دلالة الاستغراق في السياق، مبيِّنًا انسجام البنية اللفظية مع المعنى، في منهجٍ نحويٍّ بلاغيٍّ يجمع بين الدقة اللغوية والبعد التعليمي الجدلي.

كما ينقل عنه الخطيب⁽⁴⁾ ما جاء في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً

سُقِّيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾⁽⁵⁾، يقول الزمخشري: "أي: يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرت والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخٌ من قدرة الله لا يبغى أحدهما عليه بلون، ولا طعم، ولا رائحة، بل هو خالصٌ من ذلك كله. قيل: إذا أكلت البهيمة العلف فاستقرَّ في كرشها طبخته، فكان أسفلهُ فرثاً، وأوسطهُ لبناً، وأعلاه دمًا. والكبدُ مسلَّطةٌ على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها، فتجري الدَّمُ في العروق، واللبنُ في الضَّرْع، وتبقى الفرتُ في الكرش"⁽⁶⁾. يعرض الزمخشري ظاهرة تكوين اللبن بأسلوب يجمع بين البيان البلاغي والمعرفة العلمية في عصره، مبرزًا قدرة الله تعالى في حفظ اللبن وجعله نقيًا خالصًا بين الفرت والدم، ومبيِّنًا دقة النظام الذي أودعه الله في خلق الأنعام.

ويعلق الخطيبُ على منهج الزمخشريِّ بأنَّه: "قائمٌ على النَّظَرِ في مواقع الرُّوعَةِ والإعجاز، فيما ينكشفُ للنَّاطِرِ في كتاب الله، من دِلالاتِ روعَتِهِ وإعجازه"⁽⁷⁾. حيثُ وصفَ الخطيبُ منهجَ الزمخشريِّ: أنه تفسيرٌ بلاغيٌّ منهجيٌّ يركِّزُ على كشفِ مواقعِ الجمالِ والإعجازِ في القرآن الكريم، مبرزًا دقة الألفاظ، وتناسق التراكيب، وانسجام السياق.

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، ص: 307.

2/ سورة الأنعام، الآية: 38.

3/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 2/ 21.

4/ الإعجاز في دراسات السابقين، ص: 308.

5/ سورة النحل، الآية: 66.

6/ الكشاف، 2/ 615، 616.

7/ الإعجاز في دراسات السابقين، ص: 309.

كما أفاد الخطيب⁽¹⁾ من تفسير الكشاف لقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزُرْجٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ﴾

فَأَزَرَهُ، فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ⁽²⁾، حيث يقول الزمخشري: "أخرج شطاه بأبي بكر، فأزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه بعلي. وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيته في الزيادة إلى أن قوي واستحكم"⁽³⁾. ثم يعلق على قول الزمخشري فيقول: "وهذا في النظر في الآيات الكونية، ونحوها من الأمور التي لم يقع فيها خلاف مذهبي، أما حيث وقع خلاف مذهبي في أمر ما فقد تنازع المتنازعون آيات الكتاب الكريم، وأراد كل فريق أن يأخذها إلى جانبه، فكانت تلك المقولات المتخالفة المتضاربة، التي لا تنظر في الآية القرآنية بقدر ما تنظر إلى ما تتطلبه حاجتها، ويحتاج إليه مذهبها"⁽⁴⁾. فبالرغم من الحسن البلاغي عند الزمخشري إلا أنه وقع في مثل ما وقع فيه بعض فرق الشيعة، فأخذ يذلي بدلوه معهم، وهذا يمثل خروجاً عن المنهج التفسيري الموضوعي نحو تأويل يخدم توجهات مذهبية وعاطفية. كما يلمح الخطيب إلى أن الزمخشري لم يسلم من التأثير بالاتجاهات العقيدة، فوقع فيما وقع فيه غيره من المفسرين الذين أدرجوا تفسيرات ذات نزعة مذهبية في نصوص قرآنية كان الأولى تناولها بالتحليل البياني أو الكوني المجرد.

أمّا عباس فقد أسهب في النقل عن تفسير الكشاف في كثير من المواضع، نذكر بعضاً منها، من ذلك ما جاء في قصة ناقة صالح - ﷺ - حيث أفاد عباس⁽⁵⁾ منه، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾⁽⁶⁾ إذ يقول الزمخشري: "فأطلق عليهم العذاب، وهو من تكرير قولهم:

ناقة مدمومة: إذا ألبسها الشجم، ﴿بِذُنْبِهِمْ﴾ بسبب ذنبهم. وفيه إنذارٌ عظيمٌ بعاقبة الذنب، فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر، ﴿فَسَوَّهَا﴾ الضمير للدمة، أي: فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم"⁽⁷⁾. فهو يوضح هنا أن العذاب قد وقع على القوم بسبب ذنبهم، مستعيناً

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 342.

2/ سورة الفتح، من الآية: 29.

3/ الكشاف، 4/ 348.

4/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 342.

5/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 111، 112. قصص القرآن الكريم، ص: 232.

6/ سورة الشمس، من الآية: 13.

7/ الكشاف، 4/ 761.

بتعبيرات لغوية لتقريب صورة الإحاطة، ومبيئاً أن العقوبة شملت الجميع، في منهج يجمع بين الدقة البيانية والموعظة التحذيرية.

كما ينقل عنه عباس⁽¹⁾ في سياق قوله تعالى على لسان موسى -ﷺ-: ﴿سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ

ءَاتِيكُمْ بِسِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾⁽²⁾ قوله: "فإن قلت: ساتيكم منها بخبر، ولعلي آتيكم منها بخبر:

كالمُتدافعين: لأن أحدهما ترجّ، والآخر تيقن. قلت: قد يقول الراجي إذا قوى رجاؤه: سأفعل كذا، وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة. فإن قلت: كيف جاء بسين التّسويّف؟ قلت: غدّة لأهله أنّه يأتيهم به وإن أبطأ، أو كانت المسافة بعيدة..."⁽³⁾ لا سيّما وأنّ موسى -ﷺ- اجتمع له التّرجي والتّيقن، كيف لا، وهو من كلّه ربّه من غير ترجمان.

وفي سياق قوله تعالى لموسى -ﷺ-: ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى له:

﴿أَسْأَلُكَ فِي جَبِّكَ تَخْرُجَ بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾⁽⁵⁾ ينقل عباس عن

الزمخشري في تفسير الآية قوله: "فإن قلت: ما معنى قوله وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ؟ قلت: فيه معنيان، أحدهما: أنّ موسى -ﷺ- لما قلب الله العصا حيّة: فزع واضطرب، فاتّقاها بيده كما يفعل الخائف من الشّيء، فقبل له: إنّ اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء. فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية، فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها، ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران: اجتناب ما هو غضاضة عليك، وإظهار معجزة أخرى. والمراد بالجنّاح: اليد، لأنّ يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر..."⁽⁶⁾ أي أنّ الأمر لموسى -ﷺ- بإدخال يده تحت عضده عند الخوف من الحية كان لتجنّب إظهار الاضطراب أمام الأعداء، وفي الوقت نفسه لإظهار معجزة اليد البيضاء، والجناح يُقصد به اليد مجازاً.

1/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 302. قصص القرآن الكريم، ص: 506.

2/ سورة النمل، من الآية: 7.

3/ الكشف، 3/ 349.

4/ سورة طه، من الآية: 22.

5/ سورة القصص، من الآية: 32.

6/ الكشف، 3/ 408، 409.

كما أفاد عباس⁽¹⁾ من تفسير الكشاف لقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ

بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَلْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾⁽²⁾ حيث يقول: "فإن قلت: أما كان معه الرجلان المذكوران؟ قلت:

كأنه لم يثق بهما كل الوثوق، ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان، واتصال الصُّحبة من أحوال قومه وتلُّونهم، وقسوة قلوبهم، فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره"⁽³⁾.

يفسر الزمخشري عدم ذكر موسى للرجلين بعدم ثقته بثباتهما، مستندا إلى خبرته بتقلب قومه، مما جعله يطمئن للنبي المعصوم وحده، في تحليل يجمع بين البعد النفسي والاجتماعي للنص القرآني.

وينقل عنه عباس إجابة على تساؤل في سياق حديثه عن قصة يوسف -ﷺ-، حيث يقول

الزمخشري: "فإن قلت: كيف جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد إليها؟ قلت:

المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه⁽⁴⁾ ميلا يشبه الهم به والقصد إليه، وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم، وهو يكسر ما به

ويردّه بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هماً لشدته لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع..."⁽⁵⁾ فهو يرى أن

هم يوسف -ﷺ- كان مجرد ميل فطري دون قصد للمعصية. والصحيح أن الهم كان من جهة امرأة العزيز، وأن ما وقع فيه الزمخشري وغيره من أن الهم قد وقع من يوسف يعدُّ خطأً وخرقاً

للسياق القرآني، وكان الأجدر بهم أن يُنزهوا نبي الله عن مثل هذا استناداً إلى ما تدلُّ عليه الآيات.

مصادرهما من علوم القرآن

انفراد الخطيب عن عباس بالنقل عن الإعجاز للباقلاني (ت: 403هـ)

حيث أفاد من كتاب الإعجاز في معرض حديثه عن قضية التكرار في القصص القرآني،

وبعد تساؤله الذي يقول فيه: ما داعية هذا التكرار؟⁽⁶⁾ ينقل عن الباقلاني قوله: "وفواصل القرآن -

مما هو مختصُّ بها لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب. وأما ما ذكره من تقديم

موسى على هارون -ﷺ- في موضع، وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوي مقاطع

الكلام - فليس بصحيح، لأن الفائدة عندنا غير ما ذكره. وهي أن إعادة ذكر القصة الواحدة

1/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 330. قصص القرآن الكريم، ص: 599، 600.

2/ سورة المائدة، من الآية 25.

3/ الكشاف، 1/ 622.

4/ (القرم) بفتحين: شدة شهوة اللحم. الرازي، مختار الصحاح، ص: 252.

5/ الكشاف، 2/ 456.

6/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 231، 232.

بألفاظٍ مختلفةٍ وتؤدِّي معنًى واحداً، من الأمر الصَّعب الذي تظهرُ به الفصاحةُ، وتنبينُ به البلاغةُ، وأعيدَ كثيرٌ من القصصِ في مواضعٍ كثيرةٍ مختلفةٍ على ترتيباتٍ متفاوتةٍ، ونَبَّهوا -أي العرب- بذلك على عجزهم عن الإتيانِ بمثله مُبتدأً به ومكرراً⁽¹⁾. والمرادُ أنَّ عرض الموضوع الواحدِ بأساليبٍ مختلفةٍ من القولِ دونَ أن تتغيَّرَ معالمُه، ودونَ أن يضعفَ أسلوبُ عرضه هو من العسيرِ الذي لا يقدرُ عليه إلا مَنْ كان ذا ملكةٍ بيانيَّةٍ، واقتدارٍ بلاغيٍّ مُعجِزٍ.

ويذهبُ الخطيبُ إلى أنَّ الذي ذهبَ إليه الباقلانيُّ لا يكشفُ السِّرَّ الذي جاء به القصصُ القرآنيُّ⁽²⁾. ويُعلِّقُ الخطيبُ على هذا بقوله: "ويريدُ الباقلانيُّ بهذا أن يُقرَّرَ من صورِ النَّحْدِي الذي عجزَ عنه العربُ إزاءَ القرآنِ -عرض القصصِ القرآنيِّ- عرضاً متفاوتاً بين الطُّولِ والقصرِ، والبسطِ والقبضِ، وقد وسَّعَ عليهم بهذا مجالَ المُعارضةِ والمُحاكاةِ، فلم يكن إلا العجزُ، والاستخزاءُ"⁽³⁾. حيث يوضِّحُ الخطيبُ أنَّ هذا التنوُّعَ لم يسفرَ إلا عن عجزهم التام، مما يكشفُ عن قوة الإعجازِ القرآنيِّ وتفردِه في البيانِ والأسلوبِ.

وانفردَ عباسٌ بالنَّقْلِ عن الإعجازِ للخطابيِّ (ت: 388هـ)

فقد أفادَ من رسالته (بيان إعجاز القرآن) في سياق الحديث عن قضية التكرار، وذلك في بيان الخطابيِّ وجوه إعجاز القرآن، وبعد رده على شبهة التكرار، حيث يقول: "وأما ما عابوه من التكرار؛ فإنَّ تكرُّرَ الكلامِ على ضربين: أحدهما مذمومٌ، وهو ما كان مُستغنى عنه، غيرَ مُستفادٍ به زيادةً معنًى لم يستفيدوه بالكلامِ الأوَّل؛ لأنَّه حينئذٍ يكونُ فضلاً من القولِ ولغوًا. وليس في القرآنِ شيءٌ من هذا النوعِ. والضَّرْبُ الآخرُ ما كان بخلافِ هذه الصِّفةِ، فإنَّ تركَ التكرارِ في الموضوع الذي يقتضيه. وتدعو الحاجةُ إليه فيه، بإزاءِ تكلفِ الزيادةِ في وقت الحاجةِ إلى الحذفِ والاختصارِ، وإنَّما يُحتاجُ إليه ويحسُنُ استعمالُه في الأمورِ المُهمَّةِ التي تعظُمُ العنايةُ بها، ويُخافُ بتركه وقوعُ الغلطِ والنِّسيانِ فيها، والاستهانةُ بقدرها"⁽⁴⁾. فالخطابيُّ يميز بين التكرارِ المذمومِ الخالي من الفائدة، والتكرارِ المحمودِ الذي يخدمُ توكيدَ المعاني المهمَّةِ، ويرى أنَّ القرآنَ قد خلا من الأوَّلِ وجاء تكررُه وفقَ حكمةٍ بلاغيَّةٍ ومقامٍ بيانيٍّ مقصودٍ.

ويُعلِّقُ عباسٌ على ما قرَّره الخطابيُّ بأنَّه حدَّدَ شرطينَ لكي يكونَ التكرارُ مذمومًا، الأوَّل: أن لا يكونَ هناك حاجةٌ إلى التكرارِ، والثاني: أن لا يكونَ في التكرارِ زيادةٌ، لكنَّ عباسٌ لا يوافقُه في الشرطِ الثاني، من حيثُ إنَّه تضمَّنَ زيادةً على ما سبقَ ذكرُه، ثم ينقلُ عن الزركشيِّ

1/ إعجاز القرآن، ص: 61

2/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 231، 232.

3/ المصدر نفسه، ص: 232.

4/ بيان إعجاز القرآن، ص: 52.

تعريفه للتكرار بقوله: "وَحَقِيقَتُهُ إِعَادَةُ اللَّفْظِ أَوْ مَرَادِفُهُ لِتَقْرِيرِ مَعْنَى؛ خَشِيَّةٌ تَنَاسِي الأَوَّلِ؛ لِطَوْلِ العَهْدِ بِهِ"⁽¹⁾. ثُمَّ يَمْضِي عَبَّاسٌ فِي النَّقْلِ عَنِ الزَّرْكَشِيِّ إِلَى أَنْ يَقُولَ: "وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَحْسُنُ سَوَالُ الحِكْمَةِ عَنِ التَّكْرَارِ إِذَا خَرَجَ عَنِ الأَصْلِ، أَمَا إِذَا وَافَقَ الأَصْلَ فَلَا، وَلِهَذَا لَا يَنْجِبُهُ سَوَالُهُمْ لَمْ كَرَّرَ (إِيَّاكَ) فِي قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ مَبْدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِثُ﴾"⁽²⁾⁽³⁾. وَهُوَ تَوْكِيدٌ بِلَاغِيٌّ مَقْصُودٌ، وَلَيْسَ مَجْرَدَ تَكَرُّارٍ لَفْظِيٍّ بِلَا مَعْنَى.

وقد اشتركا بالنقل عن البرهان في علوم القرآن للزرکشي (ت: 794هـ)

فقد أفاد الخطيبُ من كتاب البرهان في سياق الحديث عن تكرار القصص القرآني، حيث ينقل عنه كشفه لبعض أسرار هذا التكرار قوله: "وإنما كررها - أي القصة - لفائدة خلّت عنه في الموضوع الآخر وهي أمور: أحدها: أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى عليه السلام وذكرها في موضع آخر ثعباناً ففائدته أن ليس كل حية ثعباناً وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة..."⁽⁴⁾. إذ إن تكرار القصة في القرآن يحمل إضافات معنوية، حيث يستشهد الزركشي بوصف العصا في قصة موسى - ﷺ - ك (حية) ثم (ثعبان)؛ لتوضيح الفرق، مما يبرز أسلوب البلاغة في إثراء المعنى عبر التكرار. ويرد الخطيب قائلاً: "والإشارة المقتضية التي أشار بها (الزرکشي) وكأنها جاءت عفواً ودون مبالاة - في قوله: إنه - أي القرآن إذا كرر القصة زاد فيها - هذه الإشارة هي في نظرنا أبرز داعية من دواعي التكرار القصصي"⁽⁵⁾. ولأنها تُظهرُ بجلاء عمق البلاغة وحكمة البيان القرآني.

كما يشير الخطيبُ إلى سرّ هذا التكرار بقوله: "إن كل مرة تعرض فيها القصة تكشف عن جانب من جوانبها، أو تجسم صورة من صورها، أو تكمل حدثاً من أحداثها.. الأمر الذي لا يمكن أن يتم في عرض واحد مستقل، دون أن يقع في الأسلوب اضطراب، وتناقض وثقل، لهذا التكرار المتصل، ولاختلاف المقولات فيما يبدو أنه موقوف واحد"⁽⁶⁾. وهذا التكرار في القصص القرآني يكشف أبعاداً متعددة للحدث، لا يمكن حصرها في عرض واحد دون المساس بجودة الأسلوب، مما يبرز التكرار المتصل رغم اختلاف الصيغ.

1/ البرهان في علوم القرآن، 3/ 10.

2/ سورة الفاتحة، الآية: 5.

3/ البرهان في علوم القرآن، 3/ 10.

4/ المصدر نفسه، 3/ 25، 26.

5/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص 233.

6/ المصدر نفسه، ص 233.

مصادرُهما من كتبِ الحديثِ

اعتمدَ كلُّ من الخطيبِ وعبّاسٍ في دراسةِ القصصِ القرآنيِّ على عددٍ من كتبِ الحديثِ، حيث اختلفا في مدى استخدامهما لهذه المصادر، فقد انفرد كل منهما ببعض المصادر، واشتركا في مصادرٍ أخرى. وممّا يظهرُ بعد مراجعة هذه المصادر فلهُ اعتمادُ الخطيبِ على كتبِ الحديثِ، بينما اعتمدَ عباسٌ بشكل أكبر على العديد من هذه المصادر الحديثية في دراسته للقصص القرآنيِّ.

• ما انفرد به الخطيبُ

كانَ الخطيبُ مُقلِّداً في نقله عن كتبِ الحديثِ النَّبويِّ، حيث لم يعتمد في نقولاته من كتبِ الحديثِ إلا في بعضِ المواضع من كتبه المتعلِّقة بالقصص القرآنيِّ، ومن تلك المواضع:

1- المعجمُ الأوسط للطبرانيِّ (ت: 360هـ)

في سياق الحديثِ عن الدَّابَّةِ أفادَ الخطيبُ⁽¹⁾ من معجم الطبرانيِّ، فنقل ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "بُئْسَ الشَّعْبُ جِيادًا" قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، قَالُوا: فِيْمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "تَخْرُجُ الدَّابَّةُ، فَتَنْصَرُحُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ، فَيَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ"⁽²⁾. يستدل الخطيب بهذه الرواية ضمن عرضه للروايات المتعلقة بالدابة، مع مراعاة منهجه النقدي في التحقق من صحة الأسانيد ودلالة المتون.

ثم بيَّن الخطيبُ المقصودَ بهذا القولِ وتلك الدَّابَّةِ الواردان في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ

عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾⁽³⁾، حيث يقول: "والمرادُ بالقولِ هنا، هو حُكْمُ اللَّهِ، وأمره

فيهم، كما يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁴⁾، وكقوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا

قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَنَاقِلُونَ﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى: (تكلِّمهم) أي: توجي إليهم بما يفهمون منه هذه الحقيقة التي

ضلُّوا عنها وهم أحياء...⁽⁶⁾. حيث فسّر الخطيب (القول) بحكم الله النَّافذ، و (تكلِّمهم) بإيصال الحقيقة للكافرين بأسلوب يفهمونه، بعيداً عن التَّأويلات الخُرافية.

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 153، 154.

2/ المعجم الأوسط، 4/ 319.

3/ سورة النمل، من الآية: 82.

4/ سورة يس، الآية: 7.

5/ سورة الصافات، الآية: 31.

6/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 161، 162.

ثم يضيف الخطيب قائلا: "وليس المراد بالدَّابَّة، دابَّة واحدة، وإنما المراد جنسها، وهو كلُّ ما يدبُّ على الأرض من حيوانٍ.. من حشراتٍ وأنعامٍ وطيورٍ.. وغيرها"⁽¹⁾. حيث يرى الخطيب أنّ (القول) هو الحكم النافذ، وأنّ (الدابة) اسم جنسٍ يشمل كلَّ ما يدبُّ على الأرض، مُفسِّراً الآية بعيداً عن التصورات الخُرافية.

ثم يُقرِّر الخطيبُ أنّه إنّما ساق تلك الأقوال؛ "ليُصحَّح تلك المفاهيم الخاطئة التي استندتْ معظمها إلى أحاديثٍ منسوبةٍ إلى رسول الله -ﷺ-، وهي أحاديثٌ ينقضُ بعضها بعضاً، ممَّا يشهدُ بوضعها، أو تحريفها"⁽²⁾. أورد الخطيب حديث خروج الدابة لبيبين موقفه النقدي تجاه الروايات التي بُنيت عليها تصوراتٌ خاطئة، حيث يقرِّر أنّ إيراد هذه الأقوال إنّما كان بغرض تصحيح تلك المفاهيم المُلتبسة، لا سيّما أنّ معظمها مستندٌ إلى أحاديثٍ لا تصحّ نسبتها إلى النبي -ﷺ-، وأن بعضها ينقضُ بعضاً، الأمر الذي يدلُّ على وضعها وتحريفها.

حيث يردُّ الخطيبُ على ما نُسبَ للنبيِّ -ﷺ- من قِبَلِ الوضّاعين بقوله "ذلك ممَّا لا يستقيم مع دعوة الرّسول، وحمايته لشريعة الله، وإبعاد أتباعها عن الأوهام والخيالات، كما جاء من أحاديث عن الدَّابَّة التي تُكلِّم النَّاسَ، وعن المهديِّ الذي كان دعوى أدعاها كثيرٌ من الأدعياء في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وكان ذلك فتنَةً للنَّاسِ وبلاءً عظيماً، أثارَ الفرقةَ بينَ جماعة المسلمين، وأشعلَ نارَ الحروب بينهم"⁽³⁾. فالخطيب يرفض كل الروايات الموضوعية حول الدابة، ساعياً لتنقية التفسير والعقيدة من الخرافات، وحرصاً على حماية وحدة المسلمين في فهم القصص القرآني.

2- المستدرِكُ على الصَّحيحين للحاكم (ت: 405هـ)

كما انفردَ الخطيبُ⁽⁴⁾ بالإفادة من مستدرِك الحاكم، وذلك ما جاء في حديث أبي سريحة الأنصاري -رضي الله عنه-، عن النبيِّ -ﷺ-، قال: "يَكُونُ لِلدَّابَّةِ ثَلَاثُ خَرْجَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ، تَخْرُجُ أَوَّلَ خَرْجَةٍ بِأَقْصَى الْيَمَنِ فَيَفْشُو ذِكْرُهَا بِالْبَادِيَةِ وَلَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ - يَعْنِي مَكَّةَ - ثُمَّ يَمَكْتُ زَمَانًا طَوِيلًا بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَى قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ فَيُنْشَرُ ذِكْرُهَا فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَيُنْشَرُ ذِكْرُهَا بِمَكَّةَ، ثُمَّ تَكْمُنُ زَمَانًا طَوِيلًا، ثُمَّ بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ حُرْمَةً..."⁽⁵⁾. يعكس هذا الحديث تعددية الظواهر أو العلامات التي تسبق أحداثاً كبرى، حيث يستعرض الخطيب هذا

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 162.

2/ المصدر نفسه، ص: 157، 158.

3/ المصدر نفسه، ص: 159.

4/ نقله الخطيب عن البغوي في تفسيره لآية النمل، وهو ما رواه بسنده عن الثعلبي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 6/ 178. القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 153.

5/ أخرجه الحاكم في المستدرِك، رقم (8490)، 4/ 530. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أبين حديث في ذكر دابة الأرض، ولم يخرجها".

الحديث في إطارٍ نقديٍّ وتحليليٍّ؛ ليبين اتساقه مع النصوص القرآنية ومقاصدها، بعيداً عن التفسيرات المبالغ فيها، أو التصورات الخرافية.

1- شرح النووي على مسلم (ت: 676هـ)

انفرد الخطيب⁽¹⁾ بالنقل عنه في سياق الحديث عن قصة يأجوج ومأجوج عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾⁽²⁾ وذلك بقوله: "قَالَ وَذَلِكَ أَنَّ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَلَمَ فَاُمْتَرَجَتْ نُطْفَتُهُ بِالتُّرَابِ فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"⁽³⁾. قال ابن كثير: "وَهَذَا قَوْلٌ غَرِيبٌ جِدًّا، ثُمَّ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ لَا مِنْ عَقْلِ وَلَا مِنْ نَقْلِ، وَلَا يَجُوزُ الْإِعْتِمَادُ هَاهُنَا عَلَى مَا يَحْكِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ، لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُفْتَعَلَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"⁽⁴⁾. وهذا تنبيهٌ إلى خطورة الاعتماد على روايات أهل الكتاب، نظرًا لما لديهم من أخبارٍ موضوعيةٍ ومختلفةٍ.

• ما انفرد به عباس

انفرد عباس في نقولاته عن بعض مصادر الحديث، منها: صحيح البخاري، حيث اعتمد عليه في كثيرٍ من المواضع، وفي عددٍ من القصص.

1- صحيح البخاري (ت: 256هـ)

أفاد عباس من صحيح البخاري⁽⁵⁾ عند حديثه عن قصة إبراهيم - عليه السلام -، وذلك مثل ما رواه من حديث أم شريك - عليه السلام - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - عليه السلام - أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزْغِ⁽⁶⁾. وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ - عليه السلام -⁽⁷⁾. في إشارة إلى عداوة الوزغ للخير وللأنبياء، وهذا يدل على أن طبعه مؤذٍ، وكان فيه طبيعة شريرة تدفعه للمشاركة - ولو بصورة صغيرة - في الأذى.

وفي معرض حديثه عن موسى والخضر - عليه السلام - ينقل عباس⁽⁸⁾ عن البخاري روايته بسنده: قَالَ سَفِيَانُ: قَالَ النَّبِيُّ - عليه السلام -: "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوْ كَانَ صَبْرَ يَقْصُ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا"⁽⁹⁾. يشير الحديث إلى أن العلم يحتاج إلى الصبر، وأن عدم الصبر يحجب بعض المعارف والحكم، وفيه

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 105، 106.

2/ سورة الكهف، من الآية: 94.

3/ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، باب: بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، 98/3.

4/ تفسير القرآن العظيم، 195/5.

5/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 161.

6/ الوزغ: سوام أبرص. ابن منظور، لسان العرب، 8/ 459.

7/ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، رقم: (3359)، 12/ 26.

8/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 318.

9/ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى - عليه السلام -، رقم: (3401)، 12/ 88.

دعاء النبي -ﷺ- بالرحمة لموسى اعترافاً ببشريته، وتأكيداً على أنّ الأنبياء بشرٌ يجرون وفق سنة الله تعالى في كونه.

وفي سياق قصة سليمان -ﷺ- وحرصه على رعيته وتفقد له ينقل عنه عباس⁽¹⁾ روايته من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"⁽²⁾. يقرر الحديث أنّ صلاح المجتمع قائمٌ على قيام كلِّ فردٍ بواجب رعايته.

كما أفاد منه عباس⁽³⁾ في شرحه لحديث النفس بما ورد من حديث ابن عباس -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- فيما يروى عن ربه -ﷻ- قال: قال الله -ﷻ-: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً..."⁽⁴⁾. إشارة إلى رحمة الله الواسعة بخلقه، وتشجيعه الدائم على الخيرات، مما يؤكد مكانة النية في قبول الأعمال.

وفي معرض ذكر عباس لقصة يوسف في شأن الهم الذي كان منه ومن امرأة العزيز، حيث ردَّ عباس على التساؤل الذي يُثار حول عصمة يوسف -رضي الله عنه-، يقول عباس: "إن هناك فرقا كبيرا بين من يترك الشهوة خشية لله، وبين من تتركه هذه الشهوة؛ لأنه لا يقدر عليها، إنّ ما أراده الله تبارك وتعالى هو أن يكون في خبر يوسف درسٌ لأولئك الذين لا تتوافر لهم ظروف الشهوة، ولكنهم مع ذلك يأبون ويمتنعون، ولذلك كان من السبعة الذين يظلمهم الله بظلمة يوم لا ظل إلا ظله⁽⁵⁾، ثم ينقل عباس ما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: "وَرَجُلٌ طَلَبْتُهُ امْرَأَةً ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ"⁽⁶⁾. في إشارة إلى الصبر على الشهوات وضبط النفس، حيث جاء الحديث مؤكداً على أنّ ترك المعصية مع القدرة عليها من أعظم صور الجهاد النفسي.

وقد أفاد منه عباس عند حديثه عن يوسف -رضي الله عنه- إذ يقول عباس: "كما نلحظ معجزة

تاريخيةً للكتاب الكريم، وهي قول الله تعالى: ﴿الْمَلِكُ﴾⁽¹⁾ ولم يقل فرعون، وهذا يدلُّ على أنّ

1/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 359. قصص القرآن الكريم، ص: 659.

2/ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاستقراض، باب: العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، رقم: (2409)، 35/9.

3/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 400.

4/ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقائق، باب: باب من هم بحسنة أو بسيئة، رقم: (6491)، 374/21.

5/ المصدر نفسه، ص: 401.

6/ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، رقم: (660)، 116/3.

1/ سورة يوسف -ﷻ-، من الآية: 43.

الأسرة التي كانت تحكم مصر في عهد يوسف لم يكن يُطلق عليها لقب الفراعنة، ولقد افتخر النبي - ﷺ - بهذه المكرمة ليوسف، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظمة النبي - ﷺ -⁽¹⁾، حيث نقل عباس عن البخاري روايته لحديث أبي هريرة - ﷺ - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لِأَجْبُثُهُ"⁽²⁾. في إشارة إلى شدة البلاء الذي تحمله يوسف بثبات وإيمان، واعتراف من النبي - ﷺ - بفضل صبر يوسف - ﷺ -.

كما وظّف عبّاس ما نقله عنه عند ذكره لقصة موسى - ﷺ - وذلك في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ

مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾⁽³⁾، حيث جاء من رواية أبي بن كعب - ﷺ - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: "إِنَّ مُوسَى قَامَ حَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ..."⁽⁴⁾. ويعقب عباس بقوله: "ونجد القصة تتحدث عن شخصيات وأحداث، والشخصية الرئيسية في القصة: موسى وفتاه، والعبد الصالح"⁽⁵⁾. وكان ذلك تمهيداً لرحلة موسى مع الخضر؛ ليتعلم أن العلم ليس محصوراً في أحد، ولو كان نبياً. كما أن الحديث فيه دلالة على أن العلم الإلهي موزع بقدر، وأن لكل شخصية دوراً في كشف معاني التواضع للعلم، والصبر على طلبه، والاعتراف بحدود المعرفة البشرية.

وينقل عنه عباس في سياق حديثه عن قصة سليمان - ﷺ - وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾⁽⁶⁾، حيث ذهب كثير من المفسرين إلى تفسير هذه الآية بما جاء في الصحيح⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة - ﷺ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: "قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لِأَطْوَفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَىٰ سَبْعِينَ امْرَأَةً، تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنَّ

1/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 403، 404. قصص القرآن الكريم، ص: 457.
2/ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، رقم: (3387)، 66/12.
3/ سورة الكهف، الآية: 60.
4/ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً)، رقم: (4725)، 15/403.
5/ قصص القرآن الكريم، ص: 607.
6/ سورة ص، الآية: 34.
1/ قصص القرآن الكريم، ص: 653.

شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَفْلُ، وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا وَاحِدًا سَاقِطًا إِحْدَى شِقَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: - لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (1). ثُمَّ بَيَّنَّ عَبَّاسٌ أَنَّ هَذَا التَّفْسِيرَ لِلآيَةِ قَدْ اخْتَارَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ (2).

ثُمَّ يَعْقِبُ عَبَّاسٌ قَائِلًا: "وَإِنِّي أَعْجَبُ كُلَّ الْعَجَبِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا هَذَا الْحَدِيثَ تَفْسِيرًا لِلآيَةِ الْكَرِيمَةِ، مَعَ أَنَّ الْبَخَارِيَّ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ (ص)" (3). وَهَذَا يَرْجِّحُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَكُونُ بِأَيِّ حَالٍ تَفْسِيرًا لِلآيَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ قِصَّةٌ مُسْتَقَلَّةٌ، مِمَّا يُوَكِّدُ عَلَى ضَرُورَةِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالْإِسْتِشْهَادِ.

كَمَا أَفَادَ مِنْهُ عَبَّاسٌ فِي مَعْرِضِ حَدِيثِهِ عَنِ قِصَّةِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، حَيْثُ يَقُولُ: "وَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ هُمُ الْمَغُولُ وَالتَّنَّارُ، وَيَسْتَدُلُّونَ بِهَذَا لَمَّا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ ﷺ - (4). حَيْثُ يَنْقُلُ عَنْهُ رِوَايَتَهُ لِحَدِيثِ رَبِيبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﷺ - أَنَّهَا قَالَتْ: اسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ - مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًا وَجْهُهُ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ أَقْتَرَبَ، فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ"، وَعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أَوْ مِائَةً، قِيلَ: أَنَّهُ لَكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ" (5). يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (6)، حَيْثُ تُفَرِّرُ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ الْقُرْآنِيَّةَ أَنَّ الْفَسَادَ الْعَامَّ يَجْلِبُ الْعَذَابَ الشَّامِلَ، وَهَذَا يُبْرِزُ الْوَعْيَ بِأَهْمِيَّةِ الرِّبْطِ بَيْنَ النُّصُوصِ وَالْوَاقِعِ فِي عَمَلِيَّةِ التَّفْسِيرِ. وَقَدْ وَاقَفَ تَرْجِيحِ عَبَّاسٍ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كِبَارُ الْمَفْسِّرِينَ وَهُوَ الصَّحِيحُ.

2- مُسْنَدُ أَحْمَدَ (ت: 241هـ)

فِي سِيَاقِ قِصَّةِ آدَمَ وَالتَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ انْفَرَدَ عَبَّاسٌ فِي الْإِفَادَةِ مِنْ مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي نَضْرَةَ ﷺ - حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّنْزِيقِ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ... (1)". حَيْثُ إِنَّ الْبَشَرَ إِخْوَةٌ، يَنْتَسِبُونَ إِلَى أَبٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ آدَمُ ﷺ - وَهُوَ مِمَّا اسْتَقَرَّ فِي أَذْهَانِ النَّاسِ، وَهَذَا مَا أُرْشَدَتْ إِلَيْهِ

1/ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب)، رقم: (3424)، 12/ 125.
2/ ومنهم الرزائي في تفسيره للآية، وأبو السعود، والألويسي. فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 653.
3/ قصص القرآن الكريم، ص: 655.
4/ المصدر نفسه، ص: 752، 753.
5/ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ -: "ويل للعرب من شر قد اقترب"، رقم: (7059)، 23/ 244.
6/ سورة الأنفال، الآية: 25.
1/ أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (23489) 38/ 474. وقال المحقق: "إسناده صحيح".

الآيات والسنة النبوية⁽¹⁾. مما يرسخ دعوة الإسلام إلى المساواة والتآلف بين الناس، ونبذ التفرقة والتمييز.

وفي معرض حديثه عن قصة إبراهيم -ﷺ-، يرى عباس أنه ليس بدعاً أن يكون لأبي الأنبياء وشيخ الحنفاء أبينا إبراهيم -ﷺ- أن يكون له في هذا القرآن الحظ الأوفى، والنصيب الأوفر، ونبي هذه الأمة -ﷺ- دعوة من دعواته، بل إن هذه الأمة مدينة له بهذه التسمية الطيبة الكريمة⁽²⁾، كما في قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾⁽³⁾، حيث أفاد منه ما جاء في حديث العرباض بن سارية السلمية -ﷺ- قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "إني عبد الله في أم الكتاب لحاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طيئته، وسأنبئكم بتأويل ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم"⁽⁴⁾. يكشف هذا الحديث عن المكانة الرفيعة للنبي -ﷺ- وعن دوره المركزي في سلسلة النبوة والرسالات الإلهية.

3- صحيح ابن حبان (ت: 354هـ)

انفرد عباس بالنقل عن صحيح ابن حبان، وذلك في سياق حديثه عن قصة شعيب -ﷺ- حيث قيل بأنه كان أحد الأنبياء من العرب، كهودٍ وصالح -ﷺ-، وذلك ما جاء من حديث أبي ذر -ﷺ- قال: أن رسول الله -ﷺ- قال: "وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيك محمد -ﷺ-"⁽⁵⁾. قال عباس: "ويقال إنه كان خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته"⁽⁶⁾. ثم يشير عباس إلى أن قصة شعيب -ﷺ- قد ذكرت في أكثر من موضع، وإن كانت أقل ذكراً من قصص الأنبياء، وكل شيء بقدر، كما أشار إلى ما ذهب إليه الخطيب من أن أهل مدين كانوا إسرائيليين، ومعلوم أن الإسرائيليين كانوا من نسل يعقوب -ﷺ-، ومع أن مدين كما يقال الذي نسبت إليه القبيلة، وأطلق على البلدة كذلك، كان أحد أبناء إبراهيم -ﷺ-، وعلى كل حال فالذي أكدته الكتب الدينية

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 144.

2/ المصدر نفسه، ص: 253.

3/ سورة الحج، من الآية: 78.

4/ أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، رقم: (17163)، 395/28. وقال المحقق: "صحيح لغيره".

5/ أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: البر والإحسان، باب: الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم: (361)، 2/ 76. وقال المحقق: "إسناده ضعيف جداً".

6/ قصص القرآن الكريم، ص: 461.

والتَّارِيخِيَّةُ أَنَّ أَهْلَ مَدِينِ لَيْسُوا إِسْرَائِيلِيَّيْنَ⁽¹⁾. حيث صحح عباس الفهم الخاطئ حول هوية أهل مدين، وأنهم قوم مستقلون عن بني إسرائيل.

• مصادرٌ مشتركة بين الخطيب وعباس

1- صحيح مسلم (ت: 261هـ)

ينقل الخطيب⁽²⁾ عن صحيح مسلم، وذلك عند حديثه عن آية الدَّابَّةِ التي تُكَلِّمُ النَّاسَ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوْ الدُّخَانَ أَوْ الدَّجَالَ أَوْ الدَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةً أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ"⁽³⁾. وينقل عنه في السياق نفسه روايته عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجَ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا"⁽⁴⁾. يربط النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الحديثين بين ظهور كلِّ علامةٍ وأخرى بنتابعٍ يشي بقرب النهاية، ممَّا يُثيرُ في النفس الشعور باليقظة والاستعداد الدائم ليوم الجزاء، ويحثُّ على عدم التراخي أو التسويف في العمل.

فيما ينقل عباس⁽⁵⁾ في معرض ذكره لقصة يوسف - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما رواه مسلمٌ في صحيحه من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ..."⁽⁶⁾. مما يحثُّ على التحلي بالعدل والتقوى طلبًا لنيل هذا الشرف والظلِّ الإلهي في الآخرة.

كما نقل عنه عباس في سياق حديثه عن يوسف - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فعن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "لَوْ لَبِئْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِئْتُ يُوسُفُ ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لِأَجْبَتُهُ"⁽¹⁾. وفي هذا إشارة إلى ما كان من نبي الله يوسف - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من صبرٍ وتجلِّدٍ.

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 461.

2/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 152.

3/ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفتن وأشرط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال، رقم: (2947) /4 2267.

4/ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفتن وأشرط الساعة، باب: في خروج الدجال، رقم: (2941)، /4 2260.

5/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 401.

6/ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، رقم: (1031)، /2 715.

1/ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، رقم: (151)، /1 133.

وقد استدلل عباس⁽¹⁾ أثناء حديثه عن النفس ما رواه مسلم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يزوي عن ربه قال: قال -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً..."⁽²⁾. يؤكد الحديث رحمة الله وعدله في الحساب، ويبرز مكانة النية وأثرها في تقرب العبد إلى ربه.

2- سنن أبي داود (ت: 275هـ)

نقل عنه الخطيب أثناء عرضه لقصة آدم والتفاخر بالأنساب، وذلك من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أنتم بنو آدم، وآدم من تراب..."⁽³⁾. يقرر الحديث أن أصل البشر واحد، من نسل آدم الذي خلق من تراب، في إشارة منه -صلى الله عليه وسلم- إلى مبدأ المساواة، والحض على التواضع ونبذ الكبر والتفاخر.

ونقل عنه عباس في سياق حديثه عن الرابطة الوثيقة بين الأنبياء -صلى الله عليهم وسلم-، وذلك من حديث المقدم بن معدي كرب -رضي الله عنه-، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ"⁽⁴⁾. وفي هذا دلالة على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلم مما علمه الله كثيرًا من أخبار الأول بعامة، والأنبياء -صلى الله عليهم وسلم- بخاصة⁽⁵⁾. مما يدل على العلم الكامل والمضاعف للنبي -صلى الله عليه وسلم-، ويؤكد على مكانته الخاصة كرسول متمكن من تبليغ رسالة ربه بكل حكمة وعلم.

3- سنن الترمذي (ت: 279هـ)

أفاد منه الخطيب⁽¹⁾ في سياق الحديث عن خروج الدابة، وذلك ما رواه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا خَاتَمٌ سَلِيمَانٌ وَعَصَا مُوسَى، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ، وَتَخْتِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْخَوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ، فَيَقُولُ: هَاهَا يَا مُؤْمِنُ، وَيُقَالُ

1/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 400.

2/ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، رقم: (131)، 118/1.

3/ أخرجه أبو داود في سننه، أبواب النوم، باب: التفاخر بالأحساب، رقم: (5116) 438/7. وقال المحقق: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

4/ أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب السنة، باب: في لزوم السنة، رقم: (4604) 13، 14، وقال المحقق: "إسناده صحيح".

5/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 349، 350. وقصص القرآن الكريم، ص: 639، 640.

1/ الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 153.

هَاهَا يَا كَافِرٌ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرٌ، وَهَذَا يَا مُؤْمِنٌ"⁽¹⁾. وهذا إظهارٌ للفرق الجلي بين الطرفين، وحثٌ للإنسان على التزود من الإيمان والعمل الصالح؛ استعداداً لهذا الحدث المهيب.

كما أفادَ منه عباس في معرض حديثه عن سورة هود - ﷺ - وذلك من حديث ابن عباس - ﷺ - قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ - ﷺ -: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شَبِّتَ. قَالَ: "شَبَّيْتَنِي هُوْدٌ..."⁽²⁾. يبرز هذا الحديث شدة التبعات النفسية والروحية للرسالة، وبيّن عظمة العبء والمسؤولية التي تحملها النبي - ﷺ -.

وفي سياق حديثه عن قصة آدم - ﷺ - ينقلُ عباس ما جاء من حديث أبي موسى الأشعري - ﷺ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضَتِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ، وَبَيَّنَّ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالْحَبِيبُ وَالطَّيِّبُ"⁽³⁾. إذ أن تنوع الإنسان في الألوان والطبائع جاء بسبب اختلاط تراب الأرض الذي خلق منه آدم، في دلالة على وحدة الأصل الإنساني، وحكمة التنوع الإلهي المُقدّر.

ونقلَ عنه عباس في معرض حديثه عن قصة يحيى - ﷺ -، وأنه كان يأخذُ الكتاب بقوة، ويُعلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ⁽⁴⁾، وذلك من حديث الحارث الأشعري - ﷺ - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بِنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا..."⁽⁵⁾، وذكر منها: "أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا". ثم يُعَقِّبُ عَبَّاسُ عَلَى الْحَدِيثِ أَنَّ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى حُرْصِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى تَبْلِيغِ مَا أَمَرُوا بِهِ، وَأَوَّلُ هَذِهِ الْأَوَامِرِ: التَّوْحِيدُ وَالْعِبَادَةُ⁽⁶⁾. إذ إنَّه الأساس الذي تقوم عليه رسالة الأنبياء وجوهر الدين.

1/ أخرجه الترمذي في سننه، رقم: (3490)، 484/11. وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ".
2/ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: تفسير القرآن، باب: من سورة الواقعة، رقم: (3297)، 402/5، وَقَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.
3/ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: تفسير القرآن، باب: من سورة البقرة، رقم: (2955)، 204/5. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
4/ قصص القرآن الكريم، ص 681، 682.
5/ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: الأمثال، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، رقم: (2863)، 148/5. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.
6/ قصص القرآن الكريم، ص: 682.

كما نقل عنه عباس ما جاء في قصة أيوب - ﷺ - وذلك من حديث سعد - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له"⁽¹⁾. وهو نموذج للدعاء الخالص المستجاب، حيث جاء مؤكداً على أهمية التوحيد، والاعتراف بالذنب في طلب الرحمة من الله، وهو دعاء لكل مسلم يلتجئ به في كربته إلى خالقه ومولاه؛ لكشف ضرر أو تفرج بليّة.

كما عرض عباس لقصة خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون⁽²⁾ حيث ينقل عنه ما جاء من حديث أنس بن مالك - ﷺ - عن النبي - ﷺ -: "الما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال، فقال بها عليها فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال. قالوا: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار. فقالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء. قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح. قالوا: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم، تصدق بصدق بيمينه يخفيها من شماله"⁽³⁾. حيث يرى عباس أن خلق الإنسان من صلصال يُعبر عن طبيعته القابلة للتأثر والتغيير، في دلالة على ضعفه البشري، غير أن عظمة الخلق الإلهي ترفعه وتميزه على سائر المخلوقات، وذلك من خلال ما أودع الله فيه من قدرات وفضائل وأعمالٍ صالحةٍ.

1/ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: الدعوات، باب: دعوة ذي النون في بطن الحوت، رقم: (3505)، 529/5. قال: "وقد روى غير واحد هذا الحديث عن يونس بن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن سعد، ولم يذكر فيه عن أبيه".

2/ قصص القرآن الكريم، ص: 113.

3/ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: تفسير القرآن، باب: أشد مخلوقات الله، رقم: (3369)، 454/5، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه.

مصادرُهما الأخرى

اعتمد كلُّ من عبد الكريم الخطيب وفضل عباس على مصادر متنوعة في مجالاتٍ مختلفةٍ مثل: اللغة والأدب، والتاريخ والسيرة وغيرها، حيثُ تفرَّد كلُّ منهما بالنقل عن بعض المصادر، بينما اتَّفقا في الاعتماد على مصادر أخرى مشتركة، وهي كما يأتي:

• أولاً: مصادر لغوية وأدبية:

1- البيان والتبيين للجاحظ (ت 255هـ)

أفاد منه الخطيبُ في سياق حديثه عن الرَّمزية⁽¹⁾، حيثُ يقول: "في كتاب (البيان والتبيين) عقد الجاحظ⁽²⁾ فصلاً من فصوله المُمتمعة، صوَّر فيه هذه المفارقات البعيدة التي تقع بين الناس في نظراتهم إلى الأشياء من خلال رغباتهم الخاصة، ونزعاتهم الذاتية"⁽³⁾. حيث وظَّف الخطيب هذا النقل ليعرِّز رؤيته في تفسير الظواهر اللغوية والبلاغية، موضحاً أن المعاني لا تظل ثابتة بل تتغير بتغير القارئ أو المتلقي، مما يثري فهم النصوص، ويعكس عمق التأويلات وتعدد القراءات المحتملة في اللغة والبيان.

2- الأمالي لأبي عليّ القالي (ت: 356هـ)

لم يعتمد الخطيبُ على كتب اللغة في دراسته للقصاص القرآني، وإنما أشار إلى بعضها في غير شأن القصاص، حيثُ أشار إلى كتاب الأمالي، وذلك في معرض حديثه عن الرَّمز في اللغة، يقول الخطيب⁽⁴⁾: "وقد تخير (القالي) من بين مرادفات (الرَّمز) كلمة (اللحن)، وكانت نظرته إليها واقعة تحت المعنى الذي يُشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾"⁽⁵⁾. قال أبو علي: "وأصل اللحن: أن تُريد الشيء فتوري عنه بقولٍ آخر"⁽⁶⁾. ويُعلِّق الخطيب على هذا وغيره ممَّا قيل في شأن الرَّمز بقوله: "إنَّ للفنَّ حرماً لا يغشاه إلا أهله، في جلالٍ ورفقٍ وحسابٍ، فإنَّه وإن أباح للناس جميعاً أن ينظروا فيه، ويأخذوا منه إلا أنه - مع ذلك - يحتفظ لنفسه بقدرٍ ما

1/ الرمزية: مذهب في الأدب والفن ظهر في الشعر أولاً يقول بالتعبير عن المعاني بالرموز والإيحاء ليدع للمتذوق نصيباً في تكميل الصورة أو تقوية العاطفة بما يضيف إليه من توليد خياله. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، باب: الراء، 372/1.

2/ قال قتبية بن مسلم، لحسين بن المنذر: ما السرور؟ قال: امرأة حسناء، ودار قوراء، وفرس مرتبط بالفناء. وأنشد رجلٌ عمر بن الخطَّاب - - قول طرفة:

فلولا ثلاثُ هُنَّ من عيشة الفتى وَجَدَّكَ لَمْ أَحُولْ مَنَى قَامَ عُودِي

فقال عمر: لولا أن أسير في سبيل الله، وأضع جبهتي لله، وأجالس أقواماً ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب الثمر، لم أبال أن أكون قد متُّ. الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 120، 121.

3/ القصاص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 332 - 334.

4/ المصدر نفسه، ص: 325، 326.

5/ سورة سيدنا محمد - -، من الآية: 30.

6/ وقد نقلها القالي عن أبي بكر بن الأنباري. أبو علي القالي، الأمالي في لغة العرب، 6/1.

من روائع أسراره⁽¹⁾. حيث تتلخّص في مجموعة رموز وإشارات لا تنهياً إلا لأهل الفن، يُترجمون منطوقها، ويعرفون كُنّه مدلولها. وهو يمنح كل متلقٍ بقدر استعداده، بينما يحتفظ بروائع أسرار له لمن بلغ عمق التدقيق.

3- اللزوميات للمعري (ت: 449هـ)

في معرض حديثه عن صفات قوم لوط - ﷺ - يقول عباس: "فلقد كان قوم لوط - ﷺ - مثل سؤء جرث به الركبأن، وسار على مر الزمان"⁽²⁾. ينقل عباس ما جاء في كتاب اللزوميات حيث يقول المعري⁽³⁾:

وَأَيُّ أَمْرٍ فِي النَّاسِ أَلْفِي قَاضِيَا فَلَمْ يُمِضْ أَحْكَامًا لِحُكْمِ سَدُومِ
أَبَتْ قَاقِدَاتِ الْجِسِّ حَمَلِ رَزِيَّةٍ وَهَلْ رَابَ صَخْرًا نَحْتُهُ بِقَدُومِ
(وسدوم) هي إحدى مدن قوم لوط، ثم يُعلّق عباس على ما جاء به المعري بقوله: "وكان المعري يشير بهذا البيت إلى ما حكي عن القوم من استغراق في الباطل، كما وصفهم القرآن الكريم..."⁽⁴⁾. وظّف المعري في أبياته رمز (سدوم)؛ ليحمل دلالة عميقة على مدينة قوم لوط - ﷺ - التي خلدها القرآن الكريم مثالا للانحراف والفساد، فيستحضر هذا الرمز ليعكس واقعاً يراه غارقاً في الظلم والباطل. ومن خلال هذه الإشارة القرآنية يصوغ المعري نقداً لاذعاً للواقع ممزوجاً بروح الرمزية التي تمنح شعره عمقاً ودلالةً أوسع من ظاهر الألفاظ.

4- وحي القلم للرافعي (ت: 1356هـ)

نقل عنه عباس⁽⁵⁾ تعليقه على قصة يوسف - ﷺ - مع امرأة العزيز وعبر عن إعجابه بكلامه، حيث يقول الرافعي: "عجباً للحب! هذه ملكة تعشق فتاها الذي ابتاعه زوجها بثمنٍ بخس؛ ولكن أين ملكها وسطوة ملكها في تصوير الآية الكريمة؟ لم تزد الآية على أن قالت: ﴿وَرَوَدَتْهُ الْتِي﴾⁽⁶⁾ و{التي} هذه كلمة تدل على كل امرأة كائنة من كانت؛ فلم يبق على الحب ملك ولا منزلة؛ وزالت الملكة من الأنثى! وأعجب من هذا كلمة {وَرَوَدَتْهُ} وهي بصيغتها المفردة حكاية طويلة تُشير إلى أن هذه المرأة جعلت تعترض يوسف بألوان من أنوثتها، لون بعد لون؛ ذاهبة إلى فن، راجعة

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 328.

2/ قصص القرآن الكريم، ص: 372.

3/ اللزوميات، 2/ 442.

4/ قصص القرآن الكريم، ص: 372.

5/ المصدر نفسه، ص: 393.

6/ سورة يوسف، من الآية: 23.

من فن؛ لأنَّ الكلمة مأخوذةٌ من رَوْدَانِ الإِبْلِ في مشيتها...⁽¹⁾. حيث لَخَّصَت الآية بكلمة (وراودته) مشهدَ المساومة بأساليب متعدّدة، دون إشارةٍ من قريبٍ أو بعيدٍ إلى مُلْكٍ أو منزلةٍ، في تصويرٍ بليغٍ يبيِّن عمقَ البيان القرآني وقدرته على الإيجاز مع الإيحاء الكامل للمعنى.

• ثانياً: مصادرُ في السيرة والتاريخ

1- السيرة النبوية لابن هشام (ت: 218هـ)

اشترك الخطيبُ وعبّاسُ في النّقلِ عن سيرةِ ابنِ هشامٍ، حيثُ أفادَ منه الخطيبُ في سياقِ قصّةِ مجيءِ عُنْبَةَ بنِ ربيعةَ إلى النَّبِيِّ - ﷺ - موفّداً إليه من قريشٍ: "قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنّي قد سمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثله قطُّ، والله ما هو بالشّعر، ولا بالسّحر، ولا بالكهانة...⁽²⁾". تكشف أحداث هذه القصة عن أثر البيان القرآني في نفوس ألد أعداء النبي والإسلام. فلما استمع عتبة إلى كلام النبي - ﷺ - أدرك بصفاء فطرته أن ما سمعه يختلف عن كل ما عرفه من شعرٍ أو سحرٍ أو كهانةٍ، مما يُبرز قوّة الحجّة القرآنية وجاذبيتها، وتأثيرها على النفوس.

وفي معرض رده على ما نطقت به قريش من المقولات، ومنها قولهم تلك: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا

أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾⁽³⁾ يعلق الخطيبُ بقوله: "والحق أن هذه المقولات وأمثالها لم تكن تعني عند المشركين أكثر من التّشويش على النَّبِيِّ، والشّغب والصّخب بين يديّ دعوته حتى يلفتوا الناس عن الرسول وعن دعوته، أما الواقع الحق عندهم في القرآن، وعن القرآن فهو غير هذا. فلقد كانوا يعلمون من القرآن ما لا يعلم غيرهم من فصاحته، وبلاغته، وعلوه على سائر ما عرفوا من فصحايتهم وبلغائهم وشعرائهم.. وكانوا أينما نظروا إليه وجدوا أمارات الحسن والجلال مشرقة من كلماته وآياته. ولهذا حاروا فيه، وعجزوا أن يقفوا على عيب يظهرون الناس عليه منه"⁽⁴⁾. يرى الخطيب أن عجزهم عن مجازاة القرآن هو السبب الذي دفعهم إلى الافتراء عليه بدل الإقرار بصدقه والإيمان به.

1/ وحي القلم، 95/1.

2/ السيرة النبوية لابن هشام، 294/1.

3/ سورة الأنعام، من الآية: 25.

4/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 318.

ونقل عباس عن ابن هشام في حديثه عن قصة يوسف -ﷺ- حيث يقول: "ويعتذر القوم ويقول يوسف: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾⁽¹⁾ ما أجملها من كلمة! صار عبقها في أعماق التاريخ، وذهب أريجاً يُعطرُ الأيامَ والسنينَ، كيف لا؟ وها هو خاتم الأنبياء سيدنا -رسول الله- -ﷺ- يتمثل بها ويرددها في يومٍ مرحمةٍ فتح مگةً، وما أشبه هذا الموقف بذاك"⁽²⁾. فقال لهم رسول الله -ﷺ-: "يا معشرَ فُرَيْشٍ، ما تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخْ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخِ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ"⁽³⁾. ثم يعلق قائلاً: "إنها النفوسُ الكبيرة التي يصغر فيها كل ما يعظمه الناس"⁽⁴⁾. مما يكشف عن قامةٍ أخلاقيةٍ سامقةٍ تتجاوز دوافع الانتقام، وتحتوي الخصوم برحابة صدرٍ وتسامحٍ، في مشهدٍ خالدٍ يُرسخ قيمة الرحمة كأحد أعمدة الرسالة النبوية اليوسفية والمحمدية.

2- التاريخ الكبير للبخاري (ت 256هـ)

أفاد الخطيب⁽⁵⁾ في حديثه عن الدابة من التاريخ الكبير، وذلك من حديث بُريدة قال: "ذهب النبي -ﷺ- إلى موضعٍ بالبادية، قريباً من مگة، فإذا أرضٌ يابسةٌ حولها رملٌ، فقال: "تخرجُ الدابةُ من هذا، فإذا فترٌ"⁽⁶⁾ في شبرٍ"⁽⁷⁾. حيث ردَّ الخطيبُ على الأقوال المنسوبة للنبي -ﷺ-، وشدد على أهمية التحقق من هذه الروايات، مُحذراً من قبول الأقاويل المنتشرة دون تدقيقٍ؛ لتجنب الوقوع في المبالغة أو سوء الفهم.

3- البداية والنهاية لابن كثير (ت: 774هـ)

أفاد عباس من كتاب البداية والنهاية، وذلك في معرض حديثه عن قصة يونس بن متى -ﷺ-، أن رسول الله -ﷺ- قال: "ومن أهلِ أيِّ بلادٍ أنت يا عدَّاسُ؟ وما دينُكَ؟". قال: نصرانيٌّ، وأنا رجلٌ من أهلِ نينوى. فقال رسولُ الله -ﷺ-: "من قريةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بنِ مَتَّى؟". فقال له عدَّاسٌ: وما يدريك ما يونسُ بنُ مَتَّى؟! فقال رسولُ الله -ﷺ-: "ذلك أخي، كان نبياً وأنا نبيٌّ"⁽⁸⁾. في الحديث دلالة على وحدة الأنبياء وأخوتهم، كما أظهر الحديث جانباً من دلائل نبوته -ﷺ-.

1/ سورة يوسف، من الآية: 92.

2/ قصص القرآن الكريم، ص: 443.

3/ السيرة النبوية لابن هشام، 412/2.

4/ قصص القرآن الكريم، ص: 443.

5/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 157.

6/ الفتر: ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة. وقيل: ما بين الإبهام والسبابة. وفتر الشيء: قدره وكأله بفتره، كثيره: كأله بشبره. ابن منظور، لسان العرب، 44/5.

7/ البخاري، التاريخ الكبير، باب: العين، رقم: (3433)، 3/ 579. وقال: "فيه نظر".

8/ البداية والنهاية، 4/ 339، 340. حيث نقله ابن كثير عن ابن عساکر في تاريخ دمشق، 49/ 152.

﴿﴾ - بعلمه بما ليس شائعا في بيئة العرب، وكان ذلك سببا في انفتاح قلب عداس، مما يؤكد هذا الموقف على عالمية الدعوة وفاعلية الحوار القصير الصادق في التأثير وهداية القلوب.

4- مُقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُون (ت: 808هـ)

قال الخطيب في تفسير قصّة آدم - ﴿﴾ - وفي أصل المادة التي خلق منها: "وكتب التفسير الإسلامية تنقل كثيرا من هذه الصور، مما وصل إليه محيط العقل الإسلامي من أساطير الأولين، ومن ديانات أهل الكتاب، وغير أهل الكتاب، ومن مولدات هذه الأخبار الوافدة من كل جهة، فكانت هذه النقول معرضًا يجمع كل غريب وعجيب، ويضم كل شارد ووارد"⁽¹⁾، ثم ينقل الخطيب تعليق ابن خلدون لهذه الظاهرة التي فشت في علماء التفسير، بحيث لم يكذب يسلم منها أحد، وذلك بقوله: "والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوفوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكنونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية..."⁽²⁾. قال الخطيب معلقًا: "يعلى - ابن خلدون - لذلك بأن أمية العرب جعلتهم يتشوفون إلى ما عند غيرهم من الأمم من معارف، فلما أمكنتهم الفرصة بعد الفتح الإسلامي، أقبلوا على ما ألقى إليهم من أخبار وأساطير في شوق ولهفة"⁽³⁾. فاستقبلوا الأخبار والأساطير بشغف لتعويض نقصهم الثقافي والمعرفي. ويردف الخطيب قائلاً: "وإذا كانت قصة خلق آدم وما اتصل بها مما لا تتعلق به الأحكام الشرعية؛ فقد تسامح المفسرون في قبول كل ما وصل لهم من أنباء هذه القصة أيًا كانت مصادره، وأيًا كان نصيبه من الصدق أو الكذب أو التلفيق"⁽⁴⁾. أي أن قبولها كان من باب السرد التفسيري لا من قبيل التشريع.

وفي سياق الرد على نظرية دارون ينقل عباس رأي ابن خلدون حولها بقوله: "واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والرؤية، ترتفع إليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الجس والإدراك، ولم ينته إلى الرؤية والفكر بالفعل، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده. وهذا غاية شهودنا"⁽⁵⁾، يرى ابن خلدون أن التكوين يتدرج

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 374.

2/ مقدمة ابن خلدون، ص: 439.

3/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 374.

4/ المصدر نفسه، ص: 375.

5/ مقدمة ابن خلدون، 1/ 96.

من عالم الحيوان حتى يبلغ قمته في الإنسان الذي يتميز بالعقل والفكر، إذ يُعدُّ أعلى ما يشهده الوجود في مراتب المخلوقات.

ثم يُعلِّق عباس على ما جاء به ابن خلدون بقوله: "فهذه النصوص تفيّدُ ظواهرها أنّ الله تعالى خلق الإنسان نوعاً مُستقلاً لا بطريق النُشوء، ولم يشتقّه من نوعٍ آخر كما تقولون لا سيّما النّصّ الذي يقولُ بدأ خلق الإنسان من طين"⁽¹⁾. في إشارةٍ إلى أهمية فهم النصوص في سياقها العقدي، مع ضرورة مراعاة الحوار المستمر بين الدين والعلم في هذه القضية، وفي غيرها من القضايا.

ويُوردُ الخطيب قولاً يثيرُ الاستغراب، حيث يظهر فيه إعجابه بما طرحه صاحب نظرية النشوء إذ يقول: "من أجل هذا كانت مقولات (دارون) في هذا المجال مطبوعةً بطابع القوة والجُراة، إذ كان يبني مقولاته على مُعطيات التجارب الحسيّة التي يراها رأي العين، ومن أجل هذا أيضاً كان لمذهبه هذا الدوي الذي ملأ أسماع العالمين، وشغل عقول العلماء والفلاسفة ورجال الدين، في كلّ أمة، ومن كلّ دين"⁽²⁾. مما يدلُّ على تأثر الخطيب وتبنيّه لهذه النظرية، ومما يؤخذ على الخطيب أنّه لم يتبيّن له ضعف الأساس العقدي والخلل المنهجي الذي بُنيت عليه هذه النظرية، مما يُوحى للقارئ غير المتخصّص بمشروعية الفكرة أو سلامة منطقاتها. من أجل هذا حدّر عباس أثناء ردّه على هذه النّظرية من اتّباع قول الخطيب، وذلك بقوله: "لقد أطلت في هذه القضية، خشية أن يُحسن الظنّ بعضُ الثّراء بما كتبه الأستاذ عبد الكريم الخطيب، فيأخذونه على أنّه حقائق مسلّمة"⁽³⁾. وذلك بعد تبني الخطيب لهذه النّظرية في تفسيره، وفي كتابه القصص القرآني مفهومه ومنطوقه. في إشارةٍ صريحةٍ من عباس إلى رفض القول بهذه النظرية جملةً وتفصيلاً، وإلى بطلانها؛ لأنه لم يقدّم عليها دليلٌ صحيحٌ.

وحتى لا نظلم الخطيب، فإننا نجده قد خلص إلى نتيجةٍ غاييةٍ في الأهميّة، وقرّر ما جاءت به النّصوص القرآنيّة، وردّ كلّ ما نُقلَ عنّ تبنيّها هذه النّظرية حيث يقول: "وننتهي من هذا كلّهُ إلى قولٍ واحدٍ في هذه القضية، وهو الاحتفاظُ بها في الإطار القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فآدمٌ مخلوقٌ من طين، أو من حمأ مسنون، أو من طينٍ لازب، أو من سلالةٍ من طين، ولْيُقَلِّ العلم ما يقول من مقولات، فإنّ مصير العلم وما يقع له من حقائق ثابتة في هذا الشّأن، لا بدّ أن ينتهي إلى تلك الصّورة التي رسمتها الآياتُ القرآنيّةُ له"⁽⁴⁾. ويتضح من عبارته أنّه قد رجّع عن تأييده للنظرية الداروينية. حيث طالب الخطيب بالتمسك بآيات القرآن في قصّة

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 30.

2/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 380.

3/ قصص القرآن الكريم، ص: 31.

4/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 386.

خلق آدم - ﷺ -، معتبراً أنّ أيّ تفسيرٍ علميٍّ يجب أن يظلّ ضمنَ إطار ما جاء في النصّ القرآني؛ لأنّ الحقيقةَ النهائيّةَ في هذا الشأن لا تتجاوز ما حدّده القرآن الكريم. وما تلك النّظريّات إلا مجرد مقولاتٍ ليس لها أيُّ أساسٍ من الصّحّة أو الحقيقة البتّة. وينبغي الإشارة إلى أنّ الخطيب جاء بهذا القول في كتابه القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، وهو أسبق من تفسيره في التّأليف.

5- حضارة الإسلام - جرونيباوم (ت: 1956م)

نقلَ عنه الخطيبُ في سياق حديثه عن نظريّة دارون، حيث يرى هذا المُستشرق أنّ علماء المسلمين قد سبقوا إلى القول بهذه النّظريّة، وذلك بقوله: "وعندما يُعيّر الجاحظُ، والمسعوديُّ، وإخوان الصّفا، عن اعتقادهم في النّشوء والارتقاء مُتصوِّرين تصاعداً تدريجيّاً، من المعادن إلى النباتات، ومن النباتات إلى الحيوان، ومن الحيوان إلى الإنسان، وكانوا في ذلك يركنون حدساً"⁽¹⁾. ثم يعلق الخطيب قائلاً: "ولم يكن هذا الرّأي وليدَ تجربةٍ، وإنّما كان عن لمحة ذكاءٍ، وصفاء وجدانٍ"⁽²⁾. فهم طرحوا فكرةً تُشبه فكرة التطور، حيث أشار إلى أنّ هذه الآراء لم تكن معتمدةً على تجاربٍ علميّةٍ، بل نتجت عن ذكاءٍ وفكرٍ فلسفيٍّ مُتأملٍ قادهم إلى هذا السّيق.

لكننا نجد عباس يردُّ ما قرّره الخطيبُ من أنّ الجاحظُ والمسعوديُّ كانا يقولان بنظريّة دارون، حيث يقول: "إنّ أئمّتنا - ﷺ - إنّما يصدرون فيما قالوه عن فهمٍ لحكمة الله في خلقه، فهم إذ يتحدثون عن مراتب المخلوقات، يتحدثون والإيمان يملأ قلوبهم، ولا يتصوّر أحدٌ أنّهم يصدرون ممّا صدرَ عنه دارون، فهم يُدركون تمامَ الإدراك أنّ المخلوقات إنّما أنشأها الله وأبدعها مُستقلّاً بعضها عن بعضٍ من حيث طبيعته واستعداداته، بل لونه كذلك"⁽³⁾. بعيداً عن أيّ تأثيرٍ لنظريّة دارون، أو غيرها من النّظريّات التطوريّة.

فالخطيب يرى أنّ الجاحظُ والمسعوديُّ وإخوان الصّفا قدّموا فكرةً شبيهةً بنظريّة التطور، انطلاقاً من ذكاءٍ وفكرٍ فلسفيٍّ، بينما يرفض عباس تشبيه آرائهم بنظريّة دارون، مؤكّداً أنّهم كانوا يتحدثون من منظورٍ إيمانيٍّ يُقرُّ بخلق الله تعالى لكلِّ نوعٍ مُستقلّاً عن الآخر. وخلاصة الجدل أنّ الموقف ينحصر بين قراءتين، الأولى: ترى هذه الآراء مجرد اجتهاداتٍ فكريّةٍ قد تتقاطع شكليّاً مع فكرة التطور، والثانية: تعتبرها تعبيراً إيمانيّاً خالصاً لا يمتُّ بصلّةٍ إلى التّصوّر الدارويني.

1/ جوستاف جرونيباوم، حضارة الإسلام، ترجمة وتحقيق: عبدالعزيز توفيق جاويد - عبد الحميد العبادي، ص: 321.

2/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 381.

3/ قصص القرآن الكريم، ص: 21.

6- قِصَّةُ الْحَضَارَةِ لِـ دِيورَانْت (ت: 1981م)

انفرد الخطيب عن عباس بالنقل عن هذا الكتاب، وذلك في تعقيباته على قصة خلق آدم - وحواء، وتساؤله عن الإنسان، وهل هو مخلوق سماوي أم أرضي؟ حيث نقل عنه الخطيب جزءاً من القصة أو الأسطورة الهندية، وكان ممّا جاء فيها: "وفي أحد أسفار "يوبانشاد" يعزي خلق العالم إلى خالق أول قهار: "حقاً إنه لم يشعر بالسرور، فواحد وحده لا يشعر بالسرور، فتطلب ثانياً؛ كان في الحق كبير الحجم حتى ليعدل جسمه رجلاً وامراً تعانقا، ثم شاء لهذه الذات الواحدة أن تنشق نصفين، فنشأ من ثمّ زوج تملؤه الزوجة، وعلى ذلك تكون النفس الواحدة كقطعة مبتورة". يقول الخطيب معلقاً: "فالإنسان - كما تُقرّر هذه القصة - هو ابن الله، وأنّ الله كان يشتمل في كيانه على كائنين آخر هو المرأة، ومنه ومن هذه المرأة كان البشر!. إنّها قصة غريبة، ولكنها قريبة من تلك القصص التي تحويها كتب التفاسير من أنّ حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم، ويكون آدم هنا بمثابة الله في القصة الهندية"⁽¹⁾. فالخطيب في إشارته لتشابه بعض روايات خلق حواء مع قصص هندية لم يوضح - بما يكفي - الفارق الجوهرى بين النصّ القرآني وهذه المرويات، ممّا قد يُوحى بوجود صلة في المصدر. وهذا الأسلوب يُعرض النصّ القرآني لسوء الفهم، إذ يُفترض أن يُبين بوضوح أنّ أيّ تشابه في الشكل لا يعني أبداً تساويًا في الجوهر، وأنّ النصّ القرآني يظلّ مُستقلاً بمصدره الإلهي عن أيّ أساطير بشرية.

ثم تمضي القصة أو الأسطورة الهندية فتحدث عن خلق سائر المخلوقات: "فإذا انتهى إلى هذا - أي خلق الإنسان وسائر المخلوقات -، ونظر الإله إلى تلك الكائنات أدرك حقيقة الأمر! وقال: حتّى تبلغ في التدرّج أسفله إلى حيث الكمال، وقد أدرك هو حقيقة الأمر قائلاً: "حقاً إنّ أنا هذا الخلق نفسه؛ لأني أخرجته من نفسي، من هنا نشأ الخلق"⁽²⁾. ثم يعقب الخطيب على القصة الهندية بقوله: "وليس يعنينا من هذا التصوير مدى مبلغه من الحق، ولكننا نستدلّ منه على هذا الإحساس الذي أشرنا إليه من قبل، وهو إحساس الإنسان بوثاقة الصلة، التي تصله بهذا الوجود، وتخلط مشاعره به، فهو أخٌ لكلّ المخلوقات التي يرجع توأدها إلى أبٍ وأمّ، بل إلى أبٍ هو (الله)"⁽³⁾. وممّا يؤخذ على الخطيب تعليقه أنّ الإحساس الروحي بوثاقة الصلة بالوجود أهم من صحة القصة يتعارض مع تعاليم الإسلام التي تقوم على نصوص واضحة وثابتة، مما يضعف الجانب العقيدي، ويحوّل العقيدة إلى مجرد شعور فلسفي.

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 373.

2/ قصة الحضارة، تقديم: محيي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين، 34/3.

3/ المصدر نفسه، ص: 373.

يتبين ممّا سبق أنّ ما انفردَ به كلُّ من الخطيب وعبّاس في الإفادَةِ من المصادر يفوق ما اشتركَا فيه، ويُلاحَظُ على الخطيبِ قِلَّةُ تنوعِ مصادره، إذ اعتمدَ غالبًا إلى فهمه الشخصي دون توثيقٍ مباشرٍ في كثيرٍ من اختياراته. أما فضل عبّاس فقد التزم بتوثيق المصادر التي اعتمدَ عليها وأفادَ منها، غير أن إسهابه في النَّقْلِ أحيانًا يعد من الملاحظات النقدية عليه.

وينبغي التنويه في هذا البحث إلى أنّ التركيزَ كان على عرض أبرز وأهمّ المصادر التي استند إليها كلُّ من عبد الكريم الخطيب وفضل عباس في دراستهما للقصص القرآني، دون السعي لاستيفاء جميع المصادر التي ناقشوها أو استعملوها في مؤلفاتهما. وقد اقتصر العرض على نماذجٍ تمثيليةٍ مختارةٍ؛ وذلك تفاديًا للإطالة والتكرار، وحرصًا على تركيز البحث ووضوح عرضه ما أمكن. وهذا المنهج - بحسب ظنّي - يساعد القارئ على فهم الأساس المرجعي لكلّ منهما دون تشتيتٍ بذكر التفاصيل، وذلك بإبراز بعض الفروق النوعية في منهجيتهما في التعامل مع المصادر.

الفصل الثالث

إيحاءاتٌ في قصص بعض الأنبياءِ والأمم

إيحاءاتٌ في قصتي: آدمَ وسليمانَ - ﷺ -

إيحاءاتٌ في قصة: يوسفَ - ﷺ -

إيحاءاتٌ في قصص: أصحابِ الكهفِ وذوي القريتينِ

وموسى والخضرِ - ﷺ -

الفصل الثالث

إحياءات في قصص بعض الأنبياء والأمم

تحمل النصوص القرآنية إحياءات ودلالات عميقة، تصحبها لطائف ومعانٍ خفية، يرسلها الوحي ويدعو إلى التأمل فيها. وهذه الإحياءات لا يدركها على وجهها إلا من أوتي بصيرة نافذة في تدبر كتاب الله، وامتلك أدوات علمية تمكنه من كشف ما يفيض به هذا النور من أسرار ومعانٍ دقيقة، وتتيح له فتح كنوزها المذخورة. كما يلزم القارئ الحصيف أن ينطلق في تدبره من منطلق الإيمان حتى يتعاش مع كتاب الله تعالى بكل جوارحه؛ ليلتقط إشاراته، ويتفطن إلى ما يبثه من عبر المعاني، ويقتبس من أنواره الوارفة، ويتفاعل مع نفاثه الإيمانية الجليلة.

كما يظل الطريق مفتوحاً بين آيات الكتاب الكريم وبين أنظار الناظرين فيها والمتلقين عنها، وذلك كلما جد للناس فهم في الحياة، وكلما انكشف لهم سر من أسرارها، وذلك بعرض كل جديد على القرآن في حدود منطوق كلماته ومفهومها⁽¹⁾، فيقبل منه ما يقبل، ويرفض ما يرفض، دون أن يكون عليه من ذلك شيء، بل يظل - كتاب الله تعالى - في عليائه مشرفاً مشرقاً، تأخذ العين من ضوئه على قدر استعدادها وقوتها⁽²⁾. وما الإحياءات القرآنية إلا دلائل ربانية تثير العقول وتهدى القلوب.

فالإحياء في اللغة: مصدر أوحى الرباعي. يقال: "أوحى إليه، وأومى بمعنى، ووحى إليه، وأوحى: إذا كلمته بما تخفيه عن غيره"⁽³⁾.

وهو: "إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة"⁽⁴⁾، وهذان الشرطان يحققان سرية المتلقي لاستقبال الأثر، مع سرعة الإنفعال به، والتفاعل معه.

وأصل الوحي: "الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة، قيل: أمرٌ وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن سيدنا زكرياء - ﷺ -: ﴿فَجَرَاحَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ

1/ "دلالة منطوق، وهو: ما دل عليه اللفظ في محل النطق، والمفهوم، بخلافه، أي لا في محل النطق. والأول صريح، وهو: ما وضع اللفظ له". وغير الصريح، بخلافه، وهو: ما يلزم عنه. شمس الدين الأصفهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، 431/2. "والحاصل: أن الألفاظ قوالب للمعاني المستفاد منها، فتارة تستفاد منها من جهة النطق تصريحاً، وتارة من جهته تلويحاً، فالأول: المنطوق، والثاني: المفهوم". الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، 36/2.

2/ الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 378، 379.

3/ الزمخشري، أساس البلاغة، 324/2.

4/ الجرجاني، التعريفات، ص: 40.

الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١﴾ (1) فقد قيل: رمز، وقيل: أشار، وقيل: كتب⁽²⁾.
 فالإيحاء يأتي على ثلاثة أضرب، فإما أن يأتي بمعنى الإرسال، وهو الذي يختص بالنبين - ﷺ -،
 كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ
 فِيهِ ﴾ (3)، ومنه ما يأتي بمعنى الإلهام، كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ إِذَا خَفَتْ
 عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ ﴾ (4)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ (5)، ووحى
 ثالث، وهو الذي يجيء بمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ الْأَعْيُنَ أَعْيُنُوا عَنِّي وَلَا طَائِفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ ﴾ (6).

فالقُرآن في اختيار ألفاظه يُراعي التفاوت بين العقول، لذا يظهر هذا التنوع في الإيحاءات التي اشتملت عليها آيات الكتاب الحكيم، فهو مؤثرٌ في تلك النفوس إلى درجة إيصال المعنى المراد من خلالها، وذلك دون حشو ولا تطويل ولا ملل، مما يجعل ذلك النص أكثر قابلية، كما يُسهّم في توسيع المدارك، وتعميق التخيل، وتحسين الفهم.

وبحسب ما تقدّم فالإيحاء هو ما اقترن بمفهوم الألفاظ وليس بمنطوقها، وهو ما يحمل متنه معاني الإشارات، ويأتي بمعانٍ عدّة، منها: أوماً، وأشار، وبعث، وأرسل، وألهم، وذلك مع الاقتران الدائم بالسرعة في المعنى الأصلي، وهو ما يسمّيه علماء الأصول بفحوى الخطاب. ومن ثمّ فإنّ مظاهر الإعجاز البلاغيّ في ألفاظ القرآن الكريم ظاهرة في منطوقها، وفي دلالات إيحاءاتها وإشاراتها، علمها من علمها، وجهلها من جهلها.

1/ سورة مريم، الآية: 11.

2/ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: 858.

3/ سورة الشورى، من الآية: 7.

4/ سورة القصص، من الآية: 7.

5/ سورة النحل، من الآية: 68.

6/ سورة الزلزلة، الآية: 5.

إيحاءات في قصتي آدم وسليمان - ❁ -

ممّا لا شكّ فيه أنّ سببَ إيرادِ القرآنِ لأحسنِ القصصِ دلّالتهُ على نبوّةِ سيّدنا محمدٍ - ❁ -، إذ قال له ربه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾⁽¹⁾، لا سيّما قصةَ آدمَ - ❁ -، إذ هو أصلُ الخليقةِ، ومنه نسلُ كلِّ البشرِ.

• في (قصةِ آدمَ - ❁ -)

تعدُّ قصةَ آدمَ - ❁ - منَ أولى القصصِ القرآنيِّ، وذلكَ بحسبِ ورودها، سواءً أكانَ على المستوى الزمانيِّ، أو مستوى ترتيبِ المُصحفِ الشَّريفِ، حيثُ وردَ ذكرُها في أوّلِ سورةِ البقرةِ، وجاءتْ هذه القصةُ في عدّةِ مواضعٍ من السُّورِ، لكنّها لا تعدُّ من قبيلِ التَّكرارِ، بل هي من بابِ تكميلِ كلّ جزئيةٍ بأخرى، أو ما كانَ توضيحًا لها، وذلكَ بحسبِ كلّ سياقٍ ذُكرتْ فيه، وهي في مجملها تدورُ في فلكِ سرِّ بدايةِ التَّكوينِ، وتهيئةِ الإنسانِ لمهمّتهِ في الخلافةِ على الأرضِ. يقول الخطيب: "والقرآنُ الكريمُ يعرضُ قصةَ خلقِ آدمَ عرضًا مُحكمًا.. يقفُ أمامه العلمُ خاشعًا مُستسلمًا، ويستقبلُهُ العقلُ العلميُّ راضيًا مُسلمًا.. لا يستطيعُ أن يجدَ فيه ثغرةً للطَّعنِ، أو النَّقضِ"⁽²⁾. يشيرُ الخطيبُ في أولى وقفاتِهِ معَ قصصِ القرآنِ الكريمِ أنّه سيلتقي معَ عددٍ منَ القصصِ القرآنيِّ، وذلكَ تحتَ عنوان: (لقاءٌ معَ القصصِ القرآنيِّ)، منها قصةُ آدمَ - ❁ -، يقول عن سببِ اختياره لها: "وتخيّرنا لقصةِ آدمَ لم يكن إلا عن قصدٍ وتدبيرٍ.. إذ كانت تلكَ القصةُ مجالًا فسيحًا من تلكَ المجالاتِ التي كثرت فيها شطحات بعضِ المفسرينِ، وتخبّطات كثيرٍ من القصصِ، فألقوا إليها بكلِّ ما وقع لأيديهم.. من أخبارٍ وأساطيرٍ، وساقوا لها كلّ ما خطرَ في وسوسهم وخيالاتهم، من خرافاتٍ وأوهامٍ!"⁽³⁾. سعيًا منه لتنقيتها والتزامًا بالنصِّ القرآنيِّ.

أمّا عبّاسُ فإنّه يُشيرُ إلى أنّ سببَ دراستِهِ لقصةِ آدمَ - ❁ - إنّما مجيئها بحسبِ ترتيبها في النُّزولِ⁽⁴⁾، وهو بهذا يُخالفُ الخطيبَ، حيثُ يُوردُ عباسُ بعضَ المواضعِ معَ تعليقه عليها، وأحيانًا يوازنُ بينَ ما ذُكرَ وبينَ ما أُضيفَ، وما لم يُذكرَ في كلّ موضعٍ، لكنّه أشارَ إشارةً مُهمّةً، سبقه إليها الخطيبُ، وهي عدمُ إغفالِ القرآنِ لذكرِ خلقِ الإنسانِ من صلصالٍ من حمأ مسنونٍ، وذلكَ في سورةِ الحجرِ، حيثُ نَبّهَ عبّاسٌ إلى إيحاءٍ بديعٍ بقوله: "فالصلصالُ لا يتماسكُ كثيرًا، بلْ

1/ سورة يوسف، الآية: 3.

2/ القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ص: 375.

3/ المصدر نفسه، ص: 352.

4/ القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص: 44.

سُرْعَانَ مَا يَتَحَطَّمُ وَيَتَفَتَّتُ؛ لِأَنَّهُ هَشٌّ، فَلَيْسَ فِي شِدَّتِهِ كَالْفَخَّارِ، وَالْحَمَأُ الْمَسْنُونُ لَا يَمْلِكُ خَاصِيَّةَ الْمَحَافِظَةِ عَلَى ذَاتِهِ، فَسُرْعَانَ مَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ الْفَسَادُ"⁽¹⁾. فِي إِشَارَةٍ إِلَى افْتِقَارِهِ الدَّائِمِ إِلَى رِعَايَةِ اللَّهِ وَعِنَايَتِهِ.

وَيُرَى عَبَّاسٌ أَنَّ هَذَا الضَّعْفَ التَّرْكِيْبِيَّ هَيَأُ اللَّهُ لَهُ مَا يَحْمِيهِ مِنَ الْمُؤَثَّرَاتِ الْبَيْنِيَّةِ بِقَوْلِهِ: "ذَلِكَ ضَمِنَ اللَّهُ لَهُ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقَاوِمَ بِهِ هَذِهِ الْمُؤَثَّرَاتِ، مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودِ، وَشِدَّةِ الْحَرَارَةِ"⁽²⁾. وَهَذَا فِيهِ دِلَالَةٌ صَرِيحَةٌ عَلَى هَشَاشَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ وَضَعْفِهِ، لَكِنَّ اللَّهَ - ﷻ - شَرَّفَهُ وَأَكْرَمَهُ بِأَنْ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، بَلْ وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ الْمَسْبُوحَةَ بِقُدْسِهِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴾⁽³⁾، حَيْثُ جَمَعَ بَيْنَ ضَعْفِ الْمَادَّةِ وَرَفْعَةِ الرُّوحِ، فَاسْتَحَقَّ آدَمَ - ﷺ - بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.

بَيْنَمَا يُشِيرُ الْخَطِيبُ إِلَى أَنَّ قِصَّةَ آدَمَ كَانَتْ مُسْتَوْدَعًا كَبِيرًا مِنَ الْمُسْتَوْدَاتِ الرَّمَزِيَّةِ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "أَبَاحَ الْمَفْسُورُونَ لِأَنْفُسِهِمُ الْخُرُوجَ عَنِ الْمَفْهُومِ الَّذِي تُعْطِيهِ كَلِمَاتُ الْقُرْآنِ"⁽⁴⁾. فَهُوَ يَصِفُ الْمُتَهَجِّمِينَ عَلَى نصوصِ الْوَحْيِ الشَّرِيفِ بِأَنَّهُمْ أَقْحَمُوا فِيهَا أَقْوَالَهُمْ وَأَرَءَاهُمْ، حَتَّى خَرَجَتْ عَنِ السِّيَاقِ الْمَرَادِ مِنْهَا، فَحَادَثَتْ بِهِمْ فَهُومَهُمْ عَنْ غَيْرِ مَا أُرِيدَ لَهَا، وَلِغَيْرِ مَا سَيَقَتْ إِلَيْهِ الْآيَاتُ. حَيْثُ إِنَّ الرَّمَزِيَّةَ فِي الْقُرْآنِ شَبَهَةٌ رُوحٌ لَهَا بَعْضُ الْمُفَكِّرِينَ مِثْلَ: الصَّادِقِ النَّبِيِّهِمْ. وَهَذَا يُشِيرُ عَبَّاسٌ إِلَى مَلْحِ مَهْمٍ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ السُّورِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا قِصَّةُ آدَمَ، ذُكِرَ فِيهَا بَعْضُ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَبَعْضُ مُعْجَزَاتِهِمْ - ﷺ -، وَذَلِكَ مُتَّسِقٌ تَمَامًا مَعَ خَلْقِ آدَمَ - ﷺ -، وَإِعْدَادِهِ لِلْخَلِيفَةِ، وَالرَّسَالَةِ الَّتِي أُنِيظَ بِحَمَلِهَا، كَمَا أَشَارَ عَبَّاسٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ لَمْ تُذَكَّرْ فِي سِيَاقِ وَسْرِدِ وَاحِدٍ مَعَ غَيْرِهَا؛ بَلْ فُصِّلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا، حَيْثُ يُرَجَّحُ أَنَّ الْغُرُضَ مِنْ ذِكْرِ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ مَغَايِرٌ لِلَّذِي تُذَكَّرُ قِصَّةُ آدَمَ مِنْ أَجْلِهِ⁽⁵⁾.

وَتَتَجَلَّى هَذِهِ الْمَغَايِرَةُ فِي التَّفَاوُتِ بَيْنَ طُولِ الْقِصَصِ وَقِصْرِهَا، حَيْثُ يُرَجَّحُ عَبَّاسٌ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ "نَتِيجَةً لِقَرَبِ هَذَا الْغُرُضِ أَوْ بُعْدِهِ، فِي سُوْرَةِ الْأَعْرَافِ مِثْلًا يَطُولُ الْفَصْلُ بَيْنَ قِصَّةِ آدَمَ، وَبَيْنَ الْقِصَصِ الَّذِي ذُكِرَ بَعْدَهَا، وَأَوَّلُهُ قِصَّةُ نُوحٍ، وَهَذَا - بِالطَّبَعِ -؛ لِأَنَّ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بِنُوحٍ وَانْتَهَى بِمُوسَى فِي سُوْرَةِ الْأَعْرَافِ كَانَ حَدِيثًا عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَقْوَامِهِمْ، وَلَكِنَّا نَرَى هَذَا الْفَصْلَ يَقْصُرُ فِي سُوْرَةِ الْحَجْرِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْقِصَّةَ الَّتِي ذُكِرَتْ بَعْدَهَا قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ تُذَكَّرْ قِصَّةُ

1/ القِصَصِ الْقُرْآنِيِّ إِحَاوُهُ وَنَفْحَاتِهِ، ص: 50.

2/ الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص: 61.

3/ سُوْرَةُ الْحَجْرِ، الْآيَةُ: 29.

4/ الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ فِي مَفْهُومِهِ وَمَنْطُوقِهِ، ص: 352، 353.

5/ الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ إِحَاوُهُ وَنَفْحَاتِهِ، ص: 58، 59.

إبراهيم في هذه السورة من حيث ما كان بينه وبين قومه، وإنما كان الحديث عما أكرمه الله به من إرسال الملائكة وبشارتهم له، وهذا ليس غريباً عما كان لأدم - ﷺ -⁽¹⁾. مما يدل على تنوع الأسلوب القرآني ومرونته في عرض القصص؛ لتحقيق الغاية التربوية والعقدية في نظم عجيب، وأسلوب فريدٍ مُعجزٍ خالدٍ.

كما نبّه الخطيب إلى أنّ الدلالات التي جاءت بها آيات تلك القصص في سياقاتها لا يمكن أن تُفهم إلا من خلال أحداثها، بعيداً عن الخيالات والخرافات، وذلك في قوله: "والقرآن الكريم لم يقل في هذه الأحداث إلا كلمات ذات دلالاتٍ مُحدّدة، ومفاهيم واضحة، لا تُلدّ شيئاً من هذه الصورة الغريبة التي ولّدها منها أصحاب الشّطحات الخيالية من القصص والمفسرين"⁽²⁾.

إذن فتلك الإشارات والإيحاءات المُكتنزة داخل كلّ قصة في القرآن العظيم، لا تكون إلا مُستمدّة منها، ومنبعثة من خلالها، ولا علاقة لتلك الأساطير والخرافات في دالاتها، وبحسب قول الخطيب لم يكن اختياره لهذه القصة إلا "تحدّ للرمزية، من حيث إنّنا سنعرض هذه القصة عرضاً يُمسك بالمدلول الحرفي والغوي لأحداث هذه القصة، كما حملتها آيات القرآن، ثم هو من جهة أخرى تحدّ للتكرار الذي يُقال به في القصص القرآني". وبذلك جمع العرض بين حفظ الدلالة الأصلية للنص وإبراز تنوع السياقات التي وردت فيها القصة.

فالخطيب في وقفته الأولى مع قصة آدم - ﷺ - يشير إلى أنّها عرضت في كتاب الله - تعالى - في سبعة مواضع منه، وذلك في سبع سور، وهي: (البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وطه، و ص)، فبعد أن عرض الخطيب كلّ الصور في معارضها القرآنية، نظرَ فيها نظرةً واحدةً باعتبار أنّها صورةٌ واحدةٌ، وفي معرض واحدٍ⁽³⁾.

وبعد أن عرض الخطيب لتلك المواضع من السور، نجدّه قد حصر مجموعة من الأحداث التي وقعت في هذه الصور، فتكوّنت عدّة إرهابات⁽⁴⁾، فأولى هذه الإرهابات: ما جاء بشأن ظهور الخليفة في الأرض، وكان ذلك بعد اعتراض الملائكة على خلق آدم - ﷺ -. يقول الخطيب: "ولم يكن اعتراض الملائكة إلا ليطلبوا من الله علماً يكشف لهم عن بعض حكمته - سبحانه - في إقامة هذا المخلوق بهذا المقام، وإنزاله هذه المنزلة. ولهذا كان جواب الله سبحانه وتعالى لهم:

1/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 59.

2/ القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ص: 353.

3/ المصدر نفسه، ص: 355.

4/ الإرهاب: الإنابت. قال ابن سيده: وعندي أنه يريد أنه مُقدّمة له وإيدان به. وأصله من الرهص، وهو تأسيس الثّبيان. ابن منظور، لسان العرب، 44/7.

﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾! ثم كشف لهم الحق سبحانه عن وجه من وجوه علمه بهذه التجربة، أو هذا الامتحان الذي عقده بين هذا (المخلوق) وبين الملائكة.. ليرى الملائكة رأي العين أن هذا الكائن الذي صغرُوا من شأنه هو أكثرَ منهم علمًا، وأوسعَ معرفةً، بما أودعَ اللهُ -ﷻ- فيه من مَلَكَاتِ التَّفْكِيرِ الخَلْقِ المُبْدِعِ"⁽²⁾. ليحمل أمانة الاستخلاف، وهذا الاصطفاء يشير إلى عمق الحكمة الإلهية في تكريم آدم وذريته، بخاصة الأنبياء؛ وذلك تمييزًا لهم عن سائر مخلوقاته. ثم أعقب المولى -ﷻ- ذلك بتعجيز الملائكة عن معرفة تلك المعروضات، كما في قوله

تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽³⁾، حيث يقول الخطيب: "وهنا لأول مرة يستدعي اللهُ -ﷻ- خليفته هذا؛ ليكون مُعَلِّمًا للملائكة، وهنا يسكن الملائكة ويطمئنون، وهنا يكون سجودهم لآدم سجودًا قائمًا على معرفة عيانية بمنزلته ومكانته"⁽⁴⁾. وهذا ملمحٌ صريحٌ في تعليم الملائكة، وحتى يكون سجودهم إثر معرفة ومُشاهدةٍ وبرهانٍ.

ولكننا نجدُ فضلَ عباسٍ يُخالفُ رأيَ الخطيبِ حولَ قضية تفضيلِ الملائكةِ نفسها على آدم -ﷻ-، حيث يقول الخطيبُ عنهم: "فلقد كانوا يرون في أنفسهم أنهم أقرب إلى الله من هذا المخلوق الذي طرأ على الوجود، وإنهم لهذا أولى بأن يكون منهم الخليفة على الأرض"⁽⁵⁾. ثم يُعلِّقُ عباسٌ على ما ذهب إليه الخطيبُ فيقول: "وهذا قولٌ حريٌّ بالرَدِّ، إذ مؤداه أن الملائكة حسدوا آدم، فما الفرقُ بينهم وبين إبليس؟ ثم إن الملائكة يُدركون أنهم خُلِقُوا لما أَرَادَهُ اللهُ منهم، لا من أجلِ عِمَارَةِ الأَرْضِ وخِلَاقَتِهَا، فلم يخطرُ ببالهم هذا الخاطر"⁽⁶⁾. بينما يشيرُ الخطيبُ إلى أنه: "لم يكن اعتراض الملائكة إلا ليطلبوا من الله علمًا يكشف لهم عن بعض حكمته -سبحانه- في إقامة هذا المخلوق بهذا المقام، وإنزاله هذه المنزلة"⁽⁷⁾.

والذي يتبين أن الخطيب لم يقصد ما فهمه عباس من قوله، إذ الملائكة لم تر في نفسها الأفضلية على هذا المخلوق الجديد، وإنما كان هذا بسبب ما وصل إلى علمها من أنه سيفسد في الأرض، بخلاف ما كان من إبليس، يقول الخطيب: "والفهم الذي يستقيم لنا هنا في هذه الآية هو

1/ سورة البقرة، من الآية: 30.

2/ القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ص: 359، 360.

3/ سورة البقرة، الآية: 31.

4/ القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ص: 360.

5/ المصدر نفسه، ص: 359.

6/ قصص القرآن الكريم، ص: 116.

7/ القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ص: 359، 360.

أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ إبليسَ فيما بينه وبين نفسه، حينَ دُعِيَ مَعَ الملائكةِ إلى السُّجودِ، فغلبت عليه شِقوئُهُ، وقَدَّرَ في نفسه أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ، وَأَنَّ ذَلِكَ يجعلُهُ جديرًا بأنَّ لا يَسْجُدَ له⁽¹⁾، كما أَنَّ الملائكةَ لم تحسِدْ آدَمَ - ﷺ -، لا سِيَّما وَأَنَّها لم تُشابهِ الشَّيْطَانَ الذي رفضَ السُّجودَ لهذا الخليفةِ في شيءٍ.

ثمَّ يُشيرُ الخطيبُ إلى ثاني إرهاباتِ هذه القصةِ، وهي: الإعلانُ عن المادَّةِ التي سيُخلَقُ منها آدَمُ - ﷺ -، وهو ما ذَكَرَ في موضعينِ شريفيينِ مِنْ كتابِ الله - ﷻ -، الأوَّلُ في قوله - ﷻ -: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾⁽²⁾، والآخِرُ في قوله - ﷻ -: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾⁽³⁾، فالصلصالُ مُتَوَلَّدٌ مِنَ الحَمِ المَسْنُونِ، والحَمِ مُتَوَلَّدٌ مِنَ الطَّيْنِ، والطَّيْنُ أحدُ أطوارِ خلقِ آدَمَ، وما الحَمِ إِلَّا مرحلةٌ أُخرى مِنْ مراحلِهِ، ثمَّ الصلصالُ طَوْرٌ آخِرٌ بَعْدَ الحَمِ المَسْنُونِ، وعنه يقولُ الخطيبُ: "وعلى هذا تكونُ الآيتانِ - في سورتي طه، و ص، مُتكاملتينِ، أو حَلقتينِ في سلسلةِ التَّطَوُّرِ في خلقِ آدَمَ"⁽⁴⁾. وهو بهذا يوافقُ ما رجَّحه عباس في هذه القضيةِ، وذلك أَنَّ الإنسانَ قد مرَّ بهذه المراحلِ وهذه الأطوارِ.

قال الخطيبُ: "ومع ما نعرف من أن القرآن الكريم ليس كتاب علم، وأن هذه الرسالة الإسلامية لم تجيء لتقرير حقائق علمية - فإنَّ في عرضه لمشاهد الكون وفي كشفه عن مظاهر الوجود لمحاتٌ - مضيئةٌ، وإشاراتٌ مشرفةٌ، يجدُ فيها العلمُ مُستندًا لمقولاته، ومجازًا لحقائقه!"⁽⁵⁾. فالخطيب يرفضُ الإعجازَ العلميَّ في أوَّل الأمرِ، ثمَّ هو يقرُّ بالإشاراتِ العلميَّةِ في آخرها، وهذا فيه شيءٌ مِنَ التَّنَاقُضِ، وما الإشاراتُ إلا دِلالةٌ على تلك الحقائق.

وعن الجنةِ التي سكنها آدَمُ - ﷺ - وزوجُهُ يقولُ عباس: "والجنة التي أسكنها آدَمُ يذهب الكثيرون إلى أنَّها الجنة التي وُعداها المتقون، ولكنَّ الذي نرجَّحه أنَّها جنةٌ خاصةٌ كانت له، وأنَّها كانت في الأرضِ، وأنَّ الهبوطَ الذي أمرَ آدَمُ به منها إنَّما هو هبوطٌ معنويٌّ لا مادي"⁽⁶⁾. فهو بهذا يوافقُ الخطيبَ في هذا الرَّأيِ، حيثُ يقولُ: "والقرائنُ التي قدَّمناها في هذا البحثِ تميلُ بجنةِ آدَمَ

1/ القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ص: 364.

2/ سورة الحجر، الآية: 28.

3/ سورة ص، الآية: 71.

4/ القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ص: 360، 361.

5/ المصدر نفسه، ص: 381.

6/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 61. وقال عباس: "وقد ذكر الحافظ ابن كثير - ﷺ - في كتابه (البداية والنهاية) هذه القضية مفصلاً فيها أقوال العلماء، فليرجع إليها من شاء". قصص القرآن الكريم، ص: 142.

إلى الجانب الأرضي، وتقيمها على أي مكان منها⁽¹⁾. وهو ما ذهب إليه عدد من المفسرين كما نقل الخطيب عن أبي مسلم الأصفهاني - صاحب التفسير، الذي يقول عنه الخطيب بأنه: "كان عمدة كثير من علماء المسلمين وفقهائهم"⁽²⁾.

حيث ينقل الخطيب عن تفسير الطبرسي قوله: "قال أبو مسلم: هي جنة من جنات الدنيا في الأرض، وقال أن قوله: ﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا﴾⁽³⁾ لا يقتضي كونها في السماء؛ لأنه مثل قوله:

﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾⁽⁴⁾، واستدل بعضهم على أنها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن إبليس:

﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾⁽⁵⁾، فلو كانت جنة الخلد لكان آدم عالمًا بذلك، ولم يحتج إلى

دلالة⁽⁶⁾. إذ لو كانت هي جنة الخلد لكان آدم على علم بحقيقتها وبما فيها، ولما احتاج إلى دلالة إبليس - عليه لعنة الله.

وبهذا قال أكثر المفسرين: "إنها كانت جنة الخلد؛ لأن الألف واللام للتعريف وصارا كالعلم عليها، قالوا: ويجوز أن تكون وسوسة إبليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه، قالوا: وقال من يزعم أن جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح؛ لأن ذلك إنما يكون إذا استقر أهل الجنة فيها للثواب، فأما قبل ذلك فإنها تفنى لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

وَجْهَهُ﴾⁽⁷⁾⁽⁸⁾. من هذا يتبين الخلاف بين المفسرين في هذه المسألة، والملاحظ توافق عباس مع

الخطيب في رأيه القائل: بأن هذه الجنة لم تكن جنة الخلد، بل هي جنة أرضية من غير شك، ولا يمكن أن تكون الجنة التي جعلها الله مقامًا خالدًا للمتقين.

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 391.

2/ كما ينقل الخطيب عن محمد إقبال في كتابه: (تجديد التفكير الديني في الإسلام) ما ينصر ما ذهب إليه. القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ص: 393، 394.

3/ سورة البقرة، من الآية: 38.

4/ سورة البقرة، من الآية: 61.

5/ سورة طه، من الآية: 120.

6/ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، 1/ 157.

7/ سورة القصص، الآية: 88.

8/ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، 1/ 157.

ومن ثم فإن تخصيص الجنة بالتعريف في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ

الْجَنَّةَ﴾⁽¹⁾ فالألف واللام هنا للعهد، أي: في الجنة المعهودة، ثم أعقبه بالتعبير بالهبوط بقوله

تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾⁽²⁾ وهذا يقوي أنها جنّة الخلد التي يتبادرُ الذهنُ إليها من

أول إطلاق لفظ الجنة؛ إذ لو كانت جنّة أرضية أخرى لقال له: اسكن أنت وزوجك جنّة فيها نخيل وشجر.

كما يلفتنا عباس إلى إحياء غاية في الأهمية، ألا وهي قضية الشفاء الذي ذكر في سورة طه أكثر من مرة، حيث جاءت مُتسقة مع موضوع السورة من إيقاع جرس، وإحياء نفس، يقول عباس: "ومن إحياءات الآيات الكريمة نذكر أن الشفاء قد يكون مادياً جِسْمَانِيًّا، وهذا الذي أُشير إليه بقوله -سبحانه-: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾⁽³⁾، وحجّة هذا قوله في الآيات التي تليها:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾⁽⁴⁾ وَأَنْتَ لَا تَطْمَأُنُّ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾⁽⁴⁾، وقد يكون شفاءً عامًّا لا

يعاني منه الجسم وحده، بل الكيان الإنساني كُله، وهذا ما أشار إليه القرآن بقوله: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ

الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾⁽⁶⁾ (7). مما يجسد تكامل

الخطاب القرآني بين حاجات الجسد والروح.

ولقد نقل الخطيب ملاحظة دقيقة مفادها أن سياق الآية لم يُختم بعبارة: (فتشقى)، حيث

بيّن الزمخشري ذلك في تفسيره قائلاً: "وإنما أُسندَ إلى آدم وحده فعلُ الشقاء دونَ حواءَ بعدَ

إشراكهما في الخروج؛ لأنه في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شفاءهم، كما أن في

ضمن سعادته سعادتهم، فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها. مع المحافظة على الفاصلة"⁽⁸⁾. حيث

تكشف هذه الملاحظة عن عمق البنية البلاغية للنص القرآني ودقة الألفاظ، بما يحقّق المعنى

ويصون الإيقاع.

1/ سورة البقرة، من الآية: 35.

2/ سورة البقرة، من الآية: 36.

3/ سورة طه، الآية: 117.

4/ سورة طه، الأيتان: 118، 119.

5/ سورة طه، الآية: 2.

6/ سورة طه، من الآية: 123.

7/ قصص القرآن الكريم، ص: 138.

8/ الكشاف، 92/3.

ويقول الخطيب عن هذه الآية: "ثُمَّ يُلْفِتُ خَطَابَهُ (سبحانه) إلى آدم (فتشقى)! إذ هو الذي سيحمل ثقل هذه الحياة على الأرض، وإن حملت زوجه بعض هذا فهي تبع له، وهو الذي سيشقى وحده، أو سيحمل العبء الأكبر من الشقاء إذا هو خرج من النعيم، وهبط إلى الأرض..."⁽¹⁾. ثم يردُّ الخطيبُ ما ذهب إليه بعض أرباب الصناعة اللفظية، من أنه جاء بهذا اللفظ لأجل إقامة الفاصلة، وما هو إلا مجرد وهمٍ منهم لأجل حساب النظم، ويرى أنه جيء به لحساب المعنى أولاً، وإن أقامَ الفاصلة، وسوى النظم⁽²⁾. وهذا القول يرجح أنها لم تكن مراعاةً للفاصلة كما يتوهم، بل جاءت تبعاً للمعنى.

ويضيف الخطيبُ ملمحاً حول طلب إبليس إنظاره إلى يوم البعث، حيث جاءت مقولته على أربع صورٍ، فكانت على صورةٍ واحدةٍ لفظاً ومعنى، وذلك في قوله -ﷻ-: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾⁽³⁾، واختلقت في الموضع الرابع، فجاءت مُشابهةً لبقية المواضع في المعنى، وذلك في

قوله: ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴾⁽⁴⁾، "وهذا التكرار يكشف عن لهفة إبليس، وعن حرصه في أن يتحقق له هذا الطلب"⁽⁵⁾. لذا كانت عاقبته الطرد من رحمة الله؛ لإستكباره على ربه، وعدم انصياعه لما أمر به، ولحرصه الشديد على غواية آدم -ﷻ- وذريته.

ولقد انفرد الخطيبُ في عرضه لقصة آدم -ﷻ- بذكره لبعض الإحياءات، منها: أن قصة آدم -ﷻ- ما هي إلا مستودعٌ لتلك المستودعات الرمزية؛ وذلك بسبب تهجم المفسرين على نصوص الوحي، حتى أخرجوا تلك الإحياءات عن سياقاتها التي سبقت من أجلها.

وأشار الخطيبُ إلى أن الإحياءات في القصص القرآني لا يمكنُ بأيِّ حالٍ أن تُفهم إلا من خلال سياقاتها وأحداثها، بعيداً عن تلكم الشطحات الخيالية وقصص بعض المفسرين، وأن اختياره لهذه القصة لم يكن تحدياً لتلك الرمزية ولذلك التكرار الذي يقول به البعض في القصص القرآني. حيث ذكر الخطيبُ أن أول إرهاب في قصة آدم هو ظهور الخليفة على الأرض؛ وذلك ليكون معلماً للملائكة، ولأجل أن يشهدوا له بمكانته، وذلك بالسجود له.

فيما انفرد عباس بذكر بعض الإحياءات، وهي: أن قصة آدم -ﷻ- ذُكر فيها بعض قصص الأنبياء مع بعض معجزاتهم، حيث يرى أن فيه اتساقاً مع خلق آدم وإعداده للخلافة، كما أشار إلى

1/ الإعجاز في دراسات السابقين، 220/2.

2/ المصدر نفسه، 220/2.

3/ سورة الأعراف، الآية: 14. وسورة الحجر، الآية: 36. وسورة ص، الآية: 79.

4/ سورة الإسراء، من الآية: 62.

5/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 367.

أنَّ هذه القصة لم تُذكر في سياقٍ سردٍ واحدٍ مع غيرها، بل فصلَ بينها وبينَ غيرها بفاصلٍ؛ وذلك بحسبِ كلِّ سياقٍ، وكانَ هذا الفاصلُ بحسبِ الطُّولِ والقصرِ، وقربِ هذا الغرضِ أو بُعده. مما يكشف عن دقة الترتيب القرآني.

• في قصة (سليمان - ﷺ) -

وهبَ اللهُ نبيَّه داودَ وسليمانَ - ﷺ - إلى جانبِ النبوةِ والمُلْكِ، ذلكمُ العلمُ، الذي هو خيرُ ما يؤتاهُ الإنسانُ، حيثُ يكونُ لصاحبه السُّلطانُ كُلُّه، فلم يُرَ منهما إلَّا لَينَ الجانبِ، والتواضعَ لخلقِ اللهِ، فاستحقَّ منهما المولى الشُّكرَ والحمدَ على هذه المِنةِ العُظمى.

ففي شأنِ سليمانَ - ﷺ - يقول اللهُ تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ

مِنْ بَدِيٍّ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾⁽¹⁾، فاستجابَ اللهُ له ووهبهَ مُلْكًا عظيمًا ليس في حجمه وفخامته فقط، بل

في آليته، كتسخيرِ الجنِّ والريِّحِ، فعُرفَ سليمانُ - ﷺ - بفخامةِ السُّلطانِ، وأعلى مراتبِ القُوَّةِ

والقُدرةِ، فما إنْ وقفتَ بينَ يدي تلكَ النَّملةِ التي هي منْ أضالِ مخلوقاتِ اللهِ - ﷻ -، سرعانَ ما

تحرَّكتْ فيه لهفةُ الأخذِ بالعِظَةِ والعبرةِ. فمنْ هنا يبرزُ إبحاءُ في أنَّه قد نظرَ إليها "منْ خلالِ مُلكِها

إلى مُلكِ العريضِ، فيرى أنَّ لها سُلطانًا كسُلطانِه، ومُلْكًا كملكِه، وسياسةً رفيقةً رحيمةً، أروعَ

وأعظمَ منْ سياسته، فلا يملكُ إلَّا أنْ يخشعَ لسُلطانِ اللهِ بينَ يديها، ويسبِّحَ بحمدهِ وجلاله، فيقولَ

في محرابِ مُلكِها الذي يُسبِّحُ فيه بحمدِ اللهِ: ﴿ فَنَبَسَمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ ﴾⁽²⁾ (3). وهذا فيه إشارةٌ أيضًا إلى ما كانَ يتمنَّعُ به أنبياءُ اللهِ تعالى - ﷻ -، منْ لَينِ

الجانبِ والتواضعِ، ولو كانَ ذلكَ لأقلِّ مخلوقاتِ اللهِ؛ إذ إنَّها تُسبِّحُ بحمدِ اللهِ وحدهِ، ولا أدلَّ على

ذلكَ منْ أنَّه تبسَّمَ ضاحكًا ومُتَعَجِّبًا منْ قولِها.

وهنا يردُ تساؤلٌ حولَ تعبيرِ القرآنِ بقوله: فَنَبَسَمَ ضَاحِكًا! لِمَ جمعَ هنا بينَ التَّبَسُّمِ والضَّحِكِ؟

ويمكنُ الإجابةُ عن هذا التَّساؤلِ بالقولِ بأنَّ "هذا راجعٌ إلى كونِ الأنبياءِ لا يضحكونَ، غيرَ أنَّه

من شدةِ إعجابِ سليمانَ بشأنِ النَّملةِ، وفرحتِه بنعمةِ اللهِ عليه بفهمه إشاراتِها -لغتِها-؛ تبسَّمَ غايةً

1/ سورة ص، الآية: 35.

2/ سورة النمل، الآية: 19.

3/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 17.

التَّبَسُّمُ حَتَّى اقْتَرَبَ مِنَ الضَّحْكِ، وَهِيَ بَدَايَةُ الضَّحْكِ وَسَعَةُ التَّبَسُّمِ⁽¹⁾. أَي أَنَّ سُلَيْمَانَ دَخَلَ فِي بَدَايَةِ الضَّحْكِ وَلَمْ يَسْتَمِرَّ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ نَبِيٌّ فَلَا يُحَدِّثُ صَوْتًا عِنْدَ تَبَسُّمِهِ.

كما تَبَرَّرَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁽²⁾، إِشَارَةً إِلَى ذَلِكَ الْهَلَاكِ الَّذِي سَيَحِيقُ بِتِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الضَّعِيفَةِ، مِنْ جَمَاعَةٍ لَا

تَنْظُرُ إِلَى مَا تَحْتَهَا، فِيهِ مِنَ الْعِبَرَةِ وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالدَّرْسِ الْعَظِيمِ، بِأَنْ جَعَلَتْ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ -

ﷺ - يَحِيدُ جَانِبًا "بِرُكْبِهِ عَنْ وَادِي النَّمْلِ، وَهُوَ يَضَعُ ابْتِسَامَةً عَلَى فَمِهِ، وَيُرْسِلُ ضَحْكَةً رَقِيقَةً

وَاعِيَةً مِنْ صَدْرِهِ، وَيُحَرِّكُ لِسَانَهُ بِكَلِمَاتٍ شَاكِرَةٍ ذَاكِرَةٍ فَضَلَ اللَّهِ وَنِعْمَتَهُ، فَيَقُولُ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَاوَدَيْكَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ﴾⁽³⁾، وَمِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ، حَرَّاسَتُهَا مِنْ أَنْ تَكُونَ سِلَاحَ بَغْيٍ وَقَهْرٍ⁽⁴⁾. حَيْثُ جَاءَتْ هَذِهِ

الإِشَارَةُ مِنْ أَضَالٍ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ إِلَى الْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعًا، وَنَطَقَتْ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَمْ يَفْهَمْهَا إِلَّا نَبِيُّ

اللَّهِ سُلَيْمَانُ، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ كَفِيلَةً بِأَنْ يُغَيَّرَ كَامِلُ الْجَيْشِ مَسَارَ طَرِيقِهِ مِنْ أَجْلِهَا.

وَيَشِيرُ الْخَطِيبُ إِلَى إِحْيَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ

الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾ وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "إِشَارَةٌ أُخْرَى إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُمَا - وَإِنْ عَلُوا بِهِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ

عِبَادِ اللَّهِ - فَإِنَّ فِي عِبَادِ اللَّهِ مِنْ أَوْتِي عِلْمًا أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِهِمَا، فَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عِلْمًا،

وَأَقْلُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ عِلْمًا"⁽⁶⁾. فَقَدْ كَانَا - ﷺ - يُظْهِرَانِ التَّحْدِيثَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَبِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمَا؛

لِأَنَّ سُلَيْمَانَ سَيَكُونُ لَهُ الْحُكْمُ بَعْدَ أَبِيهِ، وَأَنَّ رَبَّهُ سَيَمَكِّنُهُ مِنْ سِيَاسَةِ دَوْلَتِهِ.

وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ⁽⁷⁾ يَرَى الْخَطِيبُ فِيهِ "إِشَارَةً إِلَى أَنَّ مِيرَاثَ سُلَيْمَانَ لِدَاوُدَ، هُوَ وَرَاثَةُ

1/ لقاء حوارِيٍّ مع د. سعيد سالم فاندي، 2025/1/7م.

2/ سورة النمل، من الآية: 18.

3/ سورة النمل، من الآية: 19.

4/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 22.

5/ سورة النمل، الآية: 15.

6/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 18.

7/ سورة النمل، الآية: 16.

المُلكِ من بعده، دونَ إخوته، ثمَّ اختيَّره للنَّبوةِ في قومِه، كما كانَ أبوهم نبيًّا فيهم، فالملكُ وراثتهُ، والنَّبوةُ اصطفاةً، لا ميراثًا، وقد جمعَهُما اللهُ لسليمانَ - ﷺ -، كما جمعَهُما لداودَ .. فتلقى سليمانُ من الله ما كانَ لداودَ من ملكٍ ونبوةٍ، وكانَ بهذا قد ورثَ أباه في كلِّ ما كانَ له من ملكٍ ونبوةٍ، وتلكَ نعمةٌ مضافةٌ إلى نعمةٍ، إذ ينظرُ سليمانُ إلى نفسه، فيرى أنَّه ملكٌ وابنُ ملكٍ، ونبيٌّ وابنُ نبيٍّ!! ولم يرثْ سليمانُ شيئًا من مالِ أبيه داودَ ومناعه، وإنَّما ورثَ العلمَ، والحكمةَ والنَّبوةَ⁽¹⁾. تبرزُ في مجملها التَّمكينَ السياسيَّ والاصطفاءَ الرُّوحيَّ، حيثُ اجتمعَ لسليمانَ من الملكِ والنَّبوةِ، ما لم يجتمعنْ لنبيٍّ قبله، وأنَّه أخذَ بحظٍّ كبيرٍ من الحكمةِ والعلمِ.

كما يشيرُ الخطيبُ إلى قولِ سليمانَ عن نفسه، وذلكَ "بالضمير (نا) الدالَّةُ على الجمعِ، في قوله: ﴿عَلِمْنَا﴾ ﴿وَأُوتِينَا﴾، في هذا دعوةٌ إلى عقلاءِ النَّاسِ المؤمنينَ باللهِ، أنْ يُشارِكُوا معه في هذا التَّحدُّثِ بنعمةِ اللهِ، والاستعراضِ لأفضاليه، فما هوَ إلَّا واحدٌ من هؤلَاءِ النَّاسِ ..."⁽²⁾. غيرَ أنَّه بهذا التَّفصيلِ أُوتِيَ من كلِّ شيءٍ يكونُ به انصلاخُ أمره وسلطانيه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾⁽³⁾ إيحاءٌ يشيرُ

إليه الخطيبُ بقوله: "وطبيعيُّ أنَّه ليسَ كلُّ الجنِّ قد سُخِّرَا لسليمانَ، وإنَّما الذي سُخِّرَ له هو بعضُهُم، شأنهم في هذا شأنُ النَّاسِ، فليسَ كلُّ النَّاسِ كانوا في سلطانِ سليمانَ، وإنَّما همُ الذينَ كانوا يعيشُونَ في دائرةِ مملكتهِ"⁽⁴⁾. حيثُ يرى الخطيبُ أنَّ تسخيرَ الجنِّ والإنسِ لسليمانَ يخصُّ من كانَ داخلَ نطاقِ حُكمِهِ.

بينما نجدُ عباسًا يشيرُ إلى أنَّ التَّعقيبَ القرآنيَّ الذي جيءَ به "ليُصحَّحَ خطأً لا يزالُ عندَ كثيرٍ من النَّاسِ حتَّى اليومِ، وهو ما يتوهَّمه كثيرونَ من أنَّ الجنَّ تعلمُ الغيبَ، فيقولُ اللهُ: إنَّهم لا يعلمونَ الغيبَ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾⁽⁵⁾ "⁽⁶⁾. مبيِّنًا أنَّ الآيةَ جاءتْ لتصحیح وهمٍ شائعٍ، وهو اعتقادُ باطلٍ، يُبطلُ القرآنُ صحَّتهُ.

وفي سياقِ الحديثِ عن سليمانَ والهدهدِ وما حصلَ بينهما من حوارٍ، فما إنَّ خرجَ سليمانُ من موقفه مع النَّملةِ حتَّى أخذَ يسألُ عن الهدهدِ: ﴿وَنَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص:18.

2/ المصدر نفسه، ص:19.

3/ سورة النمل، الآية: 17.

4/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص:20.

5/ سورة النمل، من الآية: 44.

6/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص:365. وقصص القرآن الكريم، ص:665.

كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعْدِبْتَهُ، عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لِأَذْبَحْتَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي سُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾، يقولُ

الخطيبُ: "لقد حاكمَ هذا المخلوق الضَّعيفَ الأعزلَ، مَلِكُ الملوكِ في عصرِه.. حاكمَه ووضعَه موضعَ الاتِّهامِ، وهو في أبهةٍ مُلكِه.. وعلى أعينِ المَلأِ من جُنْدِه.. من الجنِّ والإنسِ والطيرِ!!.. ويُلقِي الهدهُدُ على سليمان هذا الخبرَ العجيبِ: ﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءِ

وَحِثُّكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِفْرِيحٍ ﴾ - إلى قوله تعالى:- ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (2). فلم

يكن هذا الطائر الضعيف الصغير، مجرد مُكتشفٍ، وعالمٍ، بما لم يعلم به سليمان وحسب، بل إنَّه كان داعيةً إلى الله، وإلى الإيمان به... "(3). حيث تُومئُ القصةُ القرآنيَّةُ في هذا المشهد إلى رسالةٍ مُتكاملةٍ، تمزجُ بخيوطها بين حكمة التَّدبيرِ وعدلِ القرارِ، ودعوة القلوب إلى الله تعالى. فهي صورةٌ قصصيةٌ نابضةٌ تبرزُ روعةَ البيانِ الإلهيِّ في ترسيخِ القيمِ.

ثمَّ يُردف الخطيب واصفًا حال سليمان بقوله: "إنَّ سلطانَ سليمانَ - كملكٍ - قَصَرَ عَنْ أَنْ يمتدَّ إلى ما وصلَ إليه سلطانُ الهدهدِ، وأحاطَ به علمُه"(4). فيه إشارةٌ إلى أنَّ هذا الطائرَ قد كانت له همةٌ بالدَّعوةِ إلى الله، وذلك في إنكاره على هؤلاءِ الناسِ عبادتهم للشَّمسِ من دونِ الله، وأخذَ بأيديهم على طريقِ النِّجاةِ والفلاحِ. وليكون درسًا بليغًا في أنَّ القوةَ الحقيقيَّةَ تكمنُ في نورِ العلمِ لا في سطوةِ المُلكِ.

ثمَّ يدخلُ سليمانُ مع الهدهدِ في لقاءٍ لطيفٍ يبدو منه أنَّ سليمانَ قد وقعَ في إحراجٍ أمامَ قومِه، وهنا يذكرُ الخطيبُ هذه اللطيفةَ، وهي أنَّ سليمانَ قدَّمَ الصدقَ على الكذبِ في قوله للهدهدِ: ﴿ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (5) حيثُ يرجحُ أنَّ سليمانَ "يعلمُ أنَّ الهدهدَ صادقٌ فيما جاء به من

أخبارٍ! ومن أينَ تعرفُ الطيورُ الكذبَ، وليس بينها وبينَ الإنسانِ قرابةٌ ولا نسبٌ؟. (سليمانُ) يعلمُ أنَّ الهدهدَ شهيدٌ بما علمَ، وتحدَّثَ بما رأى، ولكنَّ سلطانَ المُلكِ تُجرحُ كبرياؤه إنَّ هو تعرَّى أمامَ الرَّعيَّةِ.. فكان من السِّياسة أن يلقاه بهذا القول الذي يُنبئُ عن أنَّ سليمانَ ما زالَ هو صاحبُ الدَّولةِ والسُّلطانِ.. (سننظرُ!!): إنَّها كلمةٌ صاحبِ الأمرِ، وقاموسُ أربابِ السُّلطانِ"(6). كان استفهامُ سليمانَ في ظاهره عن الصدقِ والكذبِ، وفي جوهره إشارةٌ إلى تثبيتِ هيبةِ السُّلطانِ.

1/ سورة النمل، الآيتان: 20، 21.

2/ سورة النمل، الآيات: 22 - 26.

3/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 29، 30.

4/ المصدر نفسه، ص: 29، 30.

5/ سورة النمل، من الآية: 27.

6/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 32.

ويعلق الخطيبُ على قول سليمان للهدهد: (أصدقت أم كنت من الكاذبين) بقوله: "إنها كلمة جارحة، تكلم فواد هذا (المخلوق).. وتجرح كرامته.. إنه في معرض الاتهام بالكذب!! وإنه لا يزال واقعا تحت سيف العقاب الراصد له!!.. وأكثر من هذا، فإن سليمان لم يقل له: أصدقت أم كذبت، فيكون اتهامه واقعا على تلك الحادثة، وإنما رماه بهذه الكلمة (أم كنت من الكاذبين) أي ممن شأنهم الكذب في كل حال.. إنه إحقار للهدهد، وإلقاء به إلى التراب، بعد أن ارتفع في عين هذه الحشود الحاشدة، بسبب ما جاء به من أنباء"⁽¹⁾. وفي هذا إيحاء من سليمان إلى عدم تبرئة الهدد من الكذب، لا سيما وأن هذا الحوار قد جرى أمام قومه، مما وضع سليمان في إحراج، ولكن سليمان قد صدق الهدد على كذبه؛ لعلمه بأن الطيور لا تعرف الكذب. وفي قوله له: (أم كنت من الكاذبين) إيحاء بأنه قد يكون في شأنه الكذب، ولكنه أحر صفة الكذب عنه تورية لما وقع فيه من حرج أمام قومه.

وبعد ذلك تتوالى الأحداث، حيث يبدأ سليمان حوارَه مع ملكة سبأ، ويأمر سليمان الهدد ويخاطبه بقوله: ﴿ أَذْهَبَ يَكْتَبِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾⁽²⁾، وبعد أن يلقي

الهدد ذلك الكتاب من سليمان إلى الملكة، تُفصح لقومها بمضمونه بقولها: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَهِي إِنَّ

كِنْتُ كَرِيمٌ ﴾⁽³⁾، حيث يشير الخطيب إلى أن الملكة "لم تُفصح لقومها عن الأسلوب الذي بلغت به

هذه الرسالة، ولم تكشف عن وجه الرسول الذي حملها.. بل ألفت إليهم الخبر مُجهلاً هكذا: (إني ألقى إلي كتاب كريم) وفي هذا التجهيل للمصدر الذي جاء بالكتاب، ما فيه من إيحاءات كثيرة بأنها الملكة الساهرة على رعيّتها، الحافظة لأمن دولتها، وأنها تملك من القوى الخفية التي لا يراها قومها - ما يعينها على ضبط أمورها وحياطة شعبها.. وهكذا يُضفي على الملكة بهذه الحركة البليغة البارعة، جلالاً فوق جلالها، وروعةً فوق روعة سلطانها"⁽⁴⁾. وهي إشارة من الملكة تُعبّر عن ذكائها السياسي في حفظ أمن الدولة، وإظهار سيطرتها، مُضفيةً على سلطانها بُعداً من الروعة والهيبة يزيد من احترامهم لها وثقتهم بقيادتها.

ثم يردف الخطيب قائلاً: "وفي وصف الرسالة بأنها كتاب كريم، أدب من أدب الملوك، تقابل به الملكة ما في الرسالة من أدب النبوة والملك معاً.. فقد كانت الرسالة موجزة العبارة، واضحة المعنى، بيّنة القصد، لا تحمل وعيداً ولا تهديداً، وإنما تحمل دعوةً إلى السلام

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 32.

2/ سورة النمل، الآية: 28.

3/ سورة النمل، من الآية: 29.

4/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 38.

والإسلام" (1). يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي

مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ إِذْ يُكْسِبُهَا افْتِتَاحُهَا بِالْبِسْمَلَةِ بُعْدًا رُوحِيًّا سَامِيًّا، وَمُؤَكِّدًا عَلَى أَنَّ الدَّعْوَةَ قَائِمَةٌ عَلَى

الهداية والرحمة لا القهر والبطش.

ونجد فضل عباس يشير إلى إحياء في ما جاء به الهدى من الخبر العظيم، وذلك بقوله:

﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ (3)، حيث يقول الهدى قولته هذه "بكل جرأة وصراحة ﴿ وَحِثُّكَ مِنْ

سَيِّئَاتِنَا يَقِينٍ ﴾ (4)، فقد ألم الهدى وأغاظه ما وجدته من خبر أولئك القوم الذين تملكهم امرأة، ولها

عرش عظيم" (5). وفي هذا إشارة بليغة إلى نبي الله سليمان نوحى أن من وهبه الله العلم والملك

قادر على أن يودع شيئاً من هذا العلم في أضعف مخلوقاته؛ ليظل سليمان متذكراً أن الفضل كله

لله، وأنه سبحانه هو القادر على كل شيء، القاهر فوق عباده مهما علت مراتبهم، ولو كانوا ملوكاً

أو أنبياء أو علماء.

وفي قول ملكة سبأ: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِنًا وَكَذَلِكَ

يَفْعَلُونَ ﴾ (6) إحياء بأن "الملكة كانت على علم بأحوال سليمان ودولته، وما بين يديه من سلطان،

على حين لم يكن لسليمان علم بها، وبما عليه سلطانها" (7). ومن حكمتها أن عرضت على قومها

الرأي والمشورة، وأنبأت قومها بما تراه من حال الملوك مثل: طالوت، وداود، وسليمان،

فأرسلت إلى سليمان هدية: ﴿ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (8)؛ لاختبار موقف

سليمان بما أرسلت إليه، ولذكائها السياسي، وحسن تدبيرها. ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتِمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَّا

ءَاتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَنَكُم بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ فَفَرِحُونَ ﴾ (9) ما كان من أمر سليمان إلا أن أكد ما توقعته،

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 38.

2/ سورة النمل، الأيتان: 31، 30.

3/ سورة النمل، من الآية: 22.

4/ سورة النمل، من الآية: 22.

5/ قصص القرآن الكريم، ص: 660.

6/ سورة النمل، من الآية: 34.

7/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 39.

8/ سورة النمل، الآية: 35.

9/ سورة النمل، الآية: 36.

بل وحذرت منه الملكة، فكان ردُّه: ﴿ أَرْجِعِ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾⁽¹⁾. مما أبرز حزم موقفه وقوة سلطانه.

وفي قول سليمان - ﷺ -: ﴿ وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾⁽²⁾ "إشارة إلى العلم الصحيح الذي يُثمرُ إيماناً"⁽³⁾. وذلك ردُّ على جواب الملكة الذكيِّ حين سألتها سليمان عن عرشها، فلم تجد إلا أن قالت: ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾⁽⁴⁾، فكان في قولها ما كشف عن فطنتها وذكائها، مما أثار إعجاب سليمان بها، غير أنها كانت غارقةً مع قومها في الضلال البعيد، ثم اهتدت وأمنت هي وقومها قائلةً: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾⁽⁵⁾. حيث انتقلت الملكة من الإعجاب بملك سليمان إلى الإيمان بربه، مُعلنةً خضوعها وخضوع قومها لله، في مشهدٍ يُجسدُ الانتقال من غياهب الضلال إلى إشراق النور.

وفي رسالة ملكة سبأ إلى نبيِّ الله سليمان، تلوح إشارة إلى أنها أرادت اختبارَه، حيث "قدَّرت ملكة سبأ أنها إن استطاعت أن تُغري سليمان - ﷺ - بالهدية فإنها تستطيع أن تُحاربه، وتُقاومه، وتتغلب عليه، وإلا فليس بها فُدرةٌ عليه؛ لأنه ليس بملكٍ كبقية الملوك، وكانت هديةً عظيمةً، يدلُّنا على ذلك قول سليمان - ﷺ - كما سجَّله القرآن الكريم، أتمدونني بمال فالذي أكرمني الله به وآتاني خير مما آتاكم، ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتِمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيَّ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾⁽⁶⁾ ﴿ أَرْجِعِ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾⁽⁷⁾. وذلك دلالةً على تحقيره واستخفافه بشأن هديتها، إذ لم يكن من الملوك الذين تستميلهم زخارف الدنيا، بل كان نبياً مؤيداً من الله تعالى.

1/ سورة النمل، الآية: 37.

2/ سورة النمل، من الآية: 42.

3/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 44.

4/ سورة النمل، من الآية: 42.

5/ سورة النمل، من الآية: 44.

6/ سورة النمل، الآيتان: 36، 37.

7/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 661.

وفي قول الهدهد: ﴿ وَجَدْتُهُمْ وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾⁽¹⁾ إichاءً بالاستنكار والتعجب من انحرافهم عن عبادة الخالق إلى المخلوق، وفيه دلالة على سلامة الفطرة حتى عند عالم الحيوان الذي لا عقل له، وذلك بإنكاره للشرك بالله تعالى، فما كان من سليمان -ﷺ- إلا أن قال للهدهد: ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴾⁽²⁾. في قول سليمان (سننظر) إichاءً بالحكمة والقيادة الراشدة، مما يرسخ مبدأ المسؤولية في الحكم.

وما هي إلا لحظات حتى سبق العرش الملكة، وفي هذا إدراك لهذه "المرأة الملكة أن ما أُعطيَهُ سليمان -ﷺ- ليس مما يُعطاه ملوك الدنيا، وإنما الرجلُ يجمع إلى الملك النبوة، فتدرك خطأها الذي كانت فيه من عبادة غير الله، فتعلن إسلامها ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ ﴾⁽³⁾ (4). فمثل هذا لا يتحقق إلا فيمن آتاه الله الملك والنبوة معاً، كيف لا وقد أسبغ الله على سليمان وداود -ﷺ- صفة العبودية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾⁽⁵⁾. وأسبغ عليهما صفة الشكر، كما في قوله سبحانه: ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ داوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾⁽⁶⁾، وفي وصفه تعالى لهم بالقلّة إشارة على علو مكانتهم، ورفع منزلتهم عند مليكهم.

ويلاحظ مما سبق، أن الخطيب ارتكز في سرد الإichاءات الواردة في قصة سليمان -ﷺ- على ما جاء في سورة النمل فقط، دون الإشارة إلى بقية السور كسورتي: (سبأ) و (ص) التي جاء ذكر قصته فيهما، مما يثري المعنى ويكمل الصورة القرآنية الشاملة.

بينما يُشير فضل عباس إلى ملحظ مهم ورد في قصة داود وسليمان -ﷺ-، وهو "أن هذا القصة لم ينزل مُبكرًا - كما وجدنا في القصص السابق -؛ وذلك لأنه ليس من ذلك النوع الذي يتعلّق تعلّقًا مباشرًا بالدعوة فيحمل التهديد ويظهر من خلال آياته تهديد المشركين المعارضين،

1/ سورة النمل، من الآية: 24.

2/ سورة النمل، من الآية: 27.

3/ سورة النمل، من الآية: 44.

4/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 662.

5/ سورة ص، الآية: 30.

6/ سورة سبأ، من الآية: 13.

والطمأنينة للمؤمنين، وتثبيت قلب النبي ﷺ - هذا أولاً. وأما ثانياً: فإن السور التي ذكرت فيها مثل هذا القصص لم تكن من الكثرة - كما رأينا في النوع الأول - وينتج عن هذين أمرين ثالثاً، وهو أننا لم نر الحديث في هذه القصص يبدأ بالإشارات الموجزة المعبرة - كما رأينا من قبل - لأنه لا داعي لتلك الإشارات، فالحديث عن داود وسليمان - ﷺ - ذكر في هذه السور الأربع: (ص) والنمل وسبأ والأنبياء⁽¹⁾. فالسور التي جاء فيها ذكر قصة سليمان - ﷺ - لم تفتتح بعبارات الإيحاء والإشارة، بخلاف بعض السور الأخرى، كقصة نبي الله يوسف - ﷺ -.

حيث يُلاحظ على فضل عباس أنه يفتح الحديث عن قصة من القصص القرآني بعرضها ثم يُعقب عليها بذكر الإيحاءات الواردة فيها، غير أنه مع قصة سليمان وداود - ﷺ - لم يُشير إلى أي إيحاءات خاصة بها. كما يُلاحظ عليه إسهابه في الرد على بعض أقوال المفسرين وآرائهم، مع ابتعاده نسبياً عن محتوى كتابه الموسوم بالإيحاءات والنفحات، مما يجعل من الأجدر أن يكون للكتاب نصيب أوفر من اسمه ومضمونه.

كما أشار عباس إلى ملحظٍ مهمٍّ، وهو أن "القرآن الكريم جزيًا على منهجه وسنته، لا يُفصل كثيراً من الأحداث والجزئيات، بل يذكر بعض الإشارات في موطن العبرة"⁽²⁾. لا سيما أن هذه الإيحاءات تثير في النفوس شوقاً لمعرفة مزيد من تفاصيل الأجزاء المتناثرة في القصص القرآني، كما أن تتابعها دون فواصل طويلة يُبقي النفس المتطلعة في حالة ترقب لما يُلقى إليها من إيحاءات وإشارات، علها ترسم في خيالها صورةً متكاملة المعاني، أو مشاهد حية كأنها تُرى على أرض الواقع.

1/ القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص: 353. وقصص القرآن الكريم، ص: 647.
2/ قصص القرآن الكريم، ص: 645.

إيحاءات في قصة (يوسف - ١٢٤)

بدأت سورة يوسف - ١٢٤ - بحروفٍ مقطعةٍ (ألف لام راء)، وكذا في سورتين قبلها: (يونس) و(هود)، وسورتين بعدها: (إبراهيم) و(الحجر)، فالملاحظُ من هذا البدء أنه قد جاء ذكرُ الكتابِ أو آياتِ الكتابِ بعدَ هذه الأحرفِ، حيثُ يرى الخطيبُ أن هذا من الإشاراتِ، وذلك أن آياتِ القرآنِ الكريمِ منها المُحكَّمُ والمُتشابهُ، فهي أشبهُ بنسبةِ الحروفِ المُقطَّعةِ في أوّلِ السُورةِ إلى السُورةِ كُلِّها⁽¹⁾. وهذه إشارةٌ إلى أن كتابَ اللهِ نسيجٌ واحدٌ في مُجمله ومُفصله، وفي مُحكمه ومُتشابهه، فهو مُعجزةٌ خالدةٌ مُتحديةٌ، وفي ذكره للكتابِ، إشارةٌ إلى التَّحريضِ على العلمِ⁽²⁾. سواءً كان ذلك الحُسْنُ في ترتيبه أو بيانه أو نظمه، كما أنه أحسنُ القصصِ في تعليمه وتوجيهه.

ويُرجعُ الخطيبُ اختياره لقصةِ يوسف - ١٢٤ - إلى سببين، الأوّل: "ما فيها من تشريحٍ بمبضع⁽³⁾ الكلمةِ للنفسِ الإنسانيّةِ، وعرضها بكلِّ ما يضطربُ فيها من خيرٍ أو شرٍّ.. وفي هذا ما فيه من مواجهةٍ للإنسانِ بعالمه الداخلي، وما اندرس في أطوائه من عجائب وأسرار، تطلع عليه من حيث لا يعلم ولا يتوقع.. وهذا من شأنه أن يطلع الإنسان على هذا العالم الرحيب الذي يعيش ملء كيانه، ولا يراه إلا في غيره، على مسرح الحياة في هذا الصراع الدائر بين الناس والناس. وثانيهما: أن القصة كانت ولا تزالُ مثارَ جدلٍ حولِ عصمةِ الأنبياءِ، وهل لهم نصيبٌ - ولو قليلٌ من هذا الضَّعفِ الذي يعرضُ للنَّاسِ في مواجهةِ الأحداثِ"⁽⁴⁾. حيثُ يُشير إلى أن قصة يوسف تكشف بدقّةٍ عن خفايا النفس البشرية، وتوضح ما قد يتصوَّره المُتوهِّمون من تعرُّض بعض الأنبياء لشيءٍ من الضَّعفِ البشري عند مواجهةِ المواقف الصَّعبةِ، مما يجعل هذه القصة أنموذجًا ترميًّا للتحليل والدراسة.

في سياق قولِ الله - ١٢٤ - على لسانِ يوسف - ١٢٤ -: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ

عَشْرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٥﴾، يقولُ الخطيبُ: "والذي ينظرُ إلى الرَّمزِ الذي رُمزَ⁽⁶⁾ به في رؤيا يوسف، لإخوته، ولأبيه وأمه، بالأحدِ عشرَ كوكبًا والشمسَ والقمرَ، يرى

1/ أي أن تلك الحروف في أول السورة جزء صغير من السورة، لكنه يشير إلى معنى عظيم مرتبط بها، فكذا وجود التشابه في القرآن جزء صغير بالنسبة للمحكم، لكنه ذو دلالة وحكمة.
2/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 401، 402.
3/ بضع: بَضَعُ اللحمَ يَبْضَعُهُ بَضْعًا وَبَضْعَةً تَبْضِيعًا: قَطَعَهُ، وَالبَضْعَةُ: القِطْعَةُ مِنْهُ. ابن منظور، لسان العرب، 12/8.
4/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 354.
5/ سورة يوسف، من الآية: 3.
6/ ولا بأس بذكر الرمز في هذا المقام؛ لأنه متعلقٌ بالرؤيا التي هي في أصلها ترميزٌ لما في حياة الرائي، وليس من الرمزية البيانية.

الصلة واضحة بين هؤلاء الصفوة من الناس، وبين الكواكب، والشمس والقمر في هذا العلو، وكما أن الكواكب والشمس والقمر منارات هدى للناس، فكذلك الشأن فيمن ترمز إليهم هذه الأجرام العلوية، وأنهم هداية ونور يسعى بين الناس بالحق، والعدل، والخير. إن الرمز هو عنوان الحقيقة، وهو الصدق الذي يضم جوهرها⁽¹⁾. وهذا تصريح بأن هذا الإيحاء جاء في سياق هذه الرؤيا؛ لتأكيد الصلة بين هذه العائلة الأرضية، وبين تلك العائلة العلوية، حيث اشتركا في هداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

أما فضل عباس فيرى أن أولى الإيحاءات الواردة في قصة يوسف - ﷺ - هي ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾⁽²⁾ إذ يقول: "وتعبير القرآن بالجملة الفعلية ﴿ يَبْكُونَ ﴾ له دلالة وإيحاءاته، والجملة الفعلية تدل على الحدث، فهو بكاء ليس فيه حزن؛ لأنه ليس من القلب، بل غايته أن يخدعوا أباهم"⁽³⁾. حيث لم يكن حقيقة، بل تمثيلاً خالياً من الحزن الصادق، وكان هدفه خداع أبيهم.

كما يرى عباس أن الإشارة والإيحاء في حب يعقوب لابنه يوسف - ﷺ - "ليس عاطفة أبوة فحسب، ولكن وراء هذه العاطفة شيء آخر: النبوة المتسلسلة في هذا البيت الكريم"⁽⁴⁾. إذ هو حب ممزوج ببصيرة نبوية، واستشعار من يعقوب باستمرار النبوة في ابنه يوسف.

وفي قول إخوة يوسف: ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ اللَّهِ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾⁽⁵⁾، يقول الخطيب: "وتبدأ القصة بهذا الحديث المتخافت الهامس بين الإخوة"⁽⁶⁾.

فأظهروا حسدهم لأخويهم بسبب تفضيل يعقوب لهما، كما أنه يمهّد إلى أحداث ستلي ذلك المشهد.

أما الإيحاء في قولهم لأبيهم: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴾⁽⁷⁾،

ظاهر في هذا الاستفهام الإنكاري، ففيه من الدلالة على "أنه كان بينهم وبين أبيهم مواقف من قبل هذا الموقف، طلبوا إليه فيها أن يصحبوا معهم يوسف إلى حيث يسرحون بأغنامهم، وإلى حيث

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 409.

2/ سورة يوسف، من الآية: 16.

3/ قصص القرآن الكريم، ص: 383.

4/ المصدر نفسه، ص: 386.

5/ سورة يوسف، الآية: 8.

6/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 412.

7/ سورة يوسف، الآية: 11.

يقضون في يوسف ما دبّروه له"⁽¹⁾، كما يفيدُ توقيتُ الطلبِ بظرفِ الغدِ في قولهم: ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا

غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽²⁾ "أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَبِيهِمْ لَيْلًا، وَبَعْدَ أَنْ

عادوا من المرعى، وَأَنَّ غَدًا هُوَ الْغَدُ الَّذِي يُطْلَعُ بِهِ صَبْحُ هَذِهِ اللَّيْلَةِ.. وَنَسْتَشْعُرُ أَيْضًا مِنَ التَّوْقِيتِ

بِالْغَدِ أَنَّهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ الْأَمْرَ الَّذِي دَبَّرُوهُ، وَيَخَافُونَ إِذَا تَطَاوَلَ الزَّمَنُ بِهِ أَنْ تَنْحَلَّ عَزِيمَتُهُمْ، أَوْ يَقَعَ

الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ فِيمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ"⁽³⁾. فَبَعْدَ تَكَرُّرِ طَلْبِهِمْ مِنْ أَبِيهِمْ، وَتَعَلُّلِهِ بِخَوْفِهِ عَلَى يَوْسُفَ مَنْ

أَنْ يُصِيبَهُ سُوءٌ، وَبَعْدَ إِحَاجِهِمْ عَلَيْهِ رَأْوًا مِنْ أَبِيهِمْ اسْتِعْدَادَهُ لِجَابِتِهِمْ فِيمَا طَلَبُوا، بَلَّ وَأَعْرَوَا

أَبَاهُمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾⁽⁴⁾، وَهَذَا فِيهِ إِحْيَاءٌ بِإِعْرَاءِ أَبِيهِمْ بِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي

أَرَادُوهُ عَلَيْهِ، حَيْثُ "إِنَّ يَعْقُوبَ يُسَعِّدُهُ أَنْ يَرَى يَوْسُفَ أَخَذًا بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ مِمَّا يُحِبُّهُ الصَّغَارُ،

وَيَحْرُصُونَ عَلَيْهِ"⁽⁵⁾، حَتَّى خَرَجَتْ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ مِنْ يَعْقُوبَ حَزِينَةً مُرْتَعِشَةً فِي قَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿قَالَ

إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾⁽⁶⁾. فَهَذَا بِلَا شَكٍّ اتِّهَامٌ

صَرِيحٌ لَهُمْ مِنْ أَبِيهِمْ بِالْغَفْلَةِ وَسُوءِ الْحَفِظِ، وَعَدَمِ الْحِرْصِ عَلَى سَلَامَةِ أُخْيِهِمْ.

ثُمَّ يَبْدَأُ كَذِبُهُمُ الْمَفْضُوحَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾⁽⁷⁾، يَقُولُ الْخَطِيبُ: "لَقَدْ

جَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً.. وَتِلْكَ أَوَّلُ أَمَارَاتِ الْكُذْبِ الَّذِي جَاءُوا بِهِ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ جَاءُوا مُتَلَفِّفِينَ فِي ظِلَامِ

اللَّيْلِ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَفْضَحَهُمْ ضَوْءُ النَّهَارِ، وَيَمِزَّقُ هَذَا الْقِنَاعَ الرَّائِفَ الْمُمَوَّهَ بِتِلْكَ الدَّمُوعِ الْكَاذِبَةِ

الَّتِي بَلَّلُوا بِهَا خُدُودَهُمْ"⁽⁸⁾. لِيُخَدِّعُوا آبَاهُمْ، وَيُخْفُوا نَوَايَاهُمْ السَّيِّئَةَ تَجَاهَ أُخْيِهِمْ.

ثُمَّ وَصَفَ الْخَطِيبُ هَذَا التَّبَاكِي بِقَوْلِهِ: "إِنَّهُ مَجْرَدٌ أَصْوَاتٍ حَاكِيَةٌ لَصَوْتِ الْبِكَاةِ، لَيْسَ فِيهَا

حُرْقَةُ الْكَبِدِ، وَلَا زَفْرَةُ الصِّدْرِ الْكَلِيمِ.. وَإِنَّ الْأَدْنَ لِقَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَمَيِّزَ التَّبَاكِيَّ مِنَ الْبِكَاةِ، وَتَفَرِّقَ

بَيْنَهُمَا.. وَقَدْ عَرَفَ يَعْقُوبُ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ الْمُلقَّةَ الَّتِي اصْطَنَعَهَا أَبْنَاؤُهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْطَقُوا

بِالْمَكْرُوهِ الَّذِي وَقَعَ لِيَوْسُفَ، أَوْ يَكْتَشِفُوا عَنْ وَجْهِ الذِّئْبِ الَّذِي ادَّعَوْا عَلَيْهِ أَنَّهُ أَكَلَهُ"⁽⁹⁾. حَيْثُ تَبَيَّنَ

1/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص:414.

2/ سورة يوسف، الآية: 12.

3/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص:414.

4/ سورة يوسف، من الآية: 12.

5/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص:414.

6/ سورة يوسف، الآية: 13.

7/ سورة يوسف، الآية: 16.

8/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص:417.

9/ المصدر نفسه، ص:417.

لأبيهم تليفهم لهذه القصة، بمجرد تلك الدموع الكاذبة، وما زاد افتضاحهم قولهم: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾⁽¹⁾، ففيه إشارة إلى أن "هذا اتِّهَامٌ منهم لأنفسهم، قبل أن يتَّهَمَهُمْ أَحَدٌ"⁽²⁾. مما كشف أذوبتهم وفضحهم باعترافهم، فإنَّ هذا ممَّا صرَّحت به ألسنتهم، وباحت به كلماتهم.

وهكذا تتسارع الأحداث على عجلٍ، ويوضَعُ يوسفُ في ذلك الجُبِّ، حيثُ يعاني الخوف والجوع، فإذا بسيارة مازة في طريقها التجاريَّة من الشَّامِ إلى مصرَ تقتربُ من الجُبِّ؛ لأجل السُّقيا، يقولُ اللهُ تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾⁽³⁾، وهنا يشيرُ الخطيبُ إلى الإعجاز في النُّظمِ القرآنيِّ، ويرى أنَّ مجيء هذه السيَّارة ما هو إلا صورةٌ مرئيَّةٌ لهذه القافلة التي "أعيها السَّفَرُ الطَّويلُ، وأثقلَ حُطَّوَّها ما تحملُ من أمتعةٍ وأزوادٍ، ففي واو العطفِ ما فيه من لينٍ ورخاوةٍ، وفي التقائه بحرفِ الجيمِ الممدودة، وما فيها من تعطيشٍ ومطِّ وتماوجٍ، في هذا كلُّه ما يوجي بكلالِ القافلة، وبتقلِ حُطَّوَّها، وبغفلتها عن هذا الغلامِ الذي يعاني سكراتِ الموتِ، وهو على خطواتٍ منها"⁽⁴⁾. حيثُ تتجلى في هذا المشهد لحظة انحباس الأنفاس والدَّهول أمام مصير الغلامِ المحتوم، في تصويرٍ فنيٍّ مُحكمٍ يجمع بين الحركة والصَّمْتِ بتمكَّنٍ.

ثمَّ تتوالى الأحداثُ حتى وصلَ يوسفُ إلى بيت العزيز حيثُ استقرَّ أمرُه عنده. وهنا يتساءلُ عباس عن سببِ احتفاءِ العزيزِ بيوسف؟ ثمَّ يجيبُ عن سؤاله بقوله: "لابدَّ أنَّه تفرَّسَ في يوسف - ﷺ - فرأى فيه من الصفاتِ، ما حملَه على أن يحبَّه ويجلَّه، فيكونَ حبُّ يوسف - ﷺ - قد دخلَ إلى قلبه قبلَ أن يدخلَ إلى قلبِ زوجِه، وها هو يطلب من امرأته أن تيسر له سبل الراحة الجسمية والنفسية، فلا تكلفه ما لا يطيق، ولا تسمعه ما لا يرضى، وتترفق في معاملته. ويُفصحُ الرَّوْجُ ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْفَعَهُ وَكَذَٰلِكَ ﴾⁽⁵⁾، ويظهرُ أنَّهما كانا لا يُرزقان الأولادَ لعقمِ في أحدهما"⁽⁶⁾. حيثُ تُشيرُ معاملةُ العزيزِ ليوسف وحسن رعايته، وتوفير سبل الراحة له إلى رغبته في اتِّخاذه ابنًا لهما، أو ينتفعان به، بخاصةٍ مع عدم إنجابهما كما قال فضل عباس.

1/ سورة يوسف، من الآية: 17.

2/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 417.

3/ سورة يوسف، من الآية: 19.

4/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 420.

5/ سورة يوسف، من الآية: 21.

6/ قصص القرآن الكريم، ص: 387.

وأما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَقْتَ الْأَبْوَابَ﴾⁽¹⁾ فتبرز إشارة وملحٌ بديعٌ في مجيء اللفظ

بهذا التعبير، يقول عباس: "وهذه الصيغة صيغة التضعيف تنبئنا عما يُهيمُن على نفسها، وليس الإعجازُ النفسي إلا هذا، أي: تصوير ما في النفس، فلم يقل مثلاً: (أغلفت)، أو (سدت)"⁽²⁾. فهي بكلّ هذه الصراحة لم تكن تنتظر من يوسف إلا أن يوافق على طلبها، "وهذا يُشعر أنها لما يئست، ورأت منه محاولة الإنصراف، أسرع في ثورة نفسها مُهتاجةً، تتخيلُ القفلَ الواحدَ أفضلاً عدّةً، وتجري من بابٍ إلى بابٍ، وتضطربُ يدها في الإغلاق، كأنما تحاولُ سدّ الأبوابِ لا إغلاقها فقط"⁽³⁾. وهذا الهمُّ وهذا التعلُّقُ للأبوابِ لم يكن إلا من طرفِ المرأةِ فحسب، وذلك بعدَ عدّةِ محاولاتٍ وطرقٍ محكمةٍ في مرادةِ يوسف عن نفسه، ولم تكن هذه أولَ مرّةٍ، حيثُ باءت كلُّ محاولاتها بالفشل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾⁽⁴⁾ تعبيرٌ معجزٌ، وأدبٌ إلهيٌ رفيعٌ، "كأنما يومئ

بهذه العبارة إلى أنها ترامت عليه، وتعلقت به، والتجأت إلى وسيلتها الأخيرة، وهي لمسُ الطبيعةِ بالطبيعة؛ لإلقاءِ الجمرِ في الهشيم"⁽⁵⁾. وهذا إحياءٌ دقيقٌ لغنّوان الرّغبة وإصرارِ النفس على الوصول إلى مُرادها.

بينما نجدُ الخطيبَ يُصرّحُ بأنّ الإشارةَ في قولِ امرأةِ العزيزِ ليوسف: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ

لَكَ﴾⁽⁶⁾ جاءت على صورةٍ لم تعرفها لغةُ العربِ قبلَ نزولِ القرآن، وهذا فيه تأكيدٌ لأدبِ رفيعٍ

من آدابِ الشريعةِ الإسلامية، وكتابها الكريم، فالإشارةُ التي يُعطيها هذا الصوتُ: هَيْتَ لَكَ، هي شأنٌ ما يكون بين الرجلِ والمرأة، لا يطلع عليه غيرهما، سواءً كان بإشارةٍ أم بعبارةٍ⁽⁷⁾. فهي إشارةٌ استدعاءً وإغراءً. حيثُ يبرزُ من هذه الكلمة (هَيْتَ لَكَ) إحياءٌ برفعةِ الأدبِ الإلهيِّ وأصالةِ الأسلوبِ القرآني الذي جاء بصورةٍ لم تعرفها لغةُ العربِ قبلَ نزوله، مُؤكِّداً على احترامِ الشريعةِ للخصائصِ الإنسانيّةِ.

1/ سورة يوسف، من الآية: 23.

2/ قصص القرآن الكريم، ص: 389.

3/ المصدر نفسه، ص: 394.

4/ سورة يوسف، من الآية: 24.

5/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 394.

6/ سورة يوسف، من الآية: 23.

7/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 424، 425.

وأما في قوله تعالى: ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾⁽¹⁾ فتبرز "إشارة إلى أنها ذات سلطان على يوسف، الذي هو نزيل بيتها، وربيب نعمتها، وأن لها أن تأمر، وعليه أن يُطيع، فإن لم يكن ذلك بسلطان جمالها، كان بسلطان جاهها، فكيف وبيديها سلطان الجمال، وسلطان الجاه"⁽²⁾. استرخاصاً لجمالها وسلطانها، لأجل تمكّن حب يوسف من قلبها، في إشارة إلى موقف الإهانة لدلال المرأة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾⁽³⁾ "إشارة أخرى إلى أنها هي التي دبرت لهذا، وأعدت له، فهي التي راودت يوسف عن نفسه بما ألقته إليه من كلمات، وإشارات، وتلميحات.. وهي التي غلقت الأبواب، فكانت تلك دعوة صريحة منها إليه، ثم إنها حين رأت أن كل هذا الإغراء، لم يدعه إليها، ولم يقربه منها، دعت إلى نفسها وقالت: (هيت لك).. أي: ها أنا ذا فأقبل.. وهذا ما لا تفعله الخرة أبداً"⁽⁴⁾. وما دفعها إلى هذا إلا بسبب فرط حبها ليوسف، ولجمالها الذي أخذ من عقلها كل مأخذ، حتى أصابها الهيام به.

كما يرى الخطيب أن في إسراع يوسف - ﷺ - إلى الباب إحياء ظاهر، وذلك في قوله

تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَْا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ

سَوْءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽⁵⁾، حيث "كان يوسف أسرع منها؛ لأنه كان على حال بين الإقدام والإحجام، فتناولته المرأة بيدها من خلفه لتسبقه، ولتنجوا بنفسها، فعلقت يدها بقميصه فقدته من دبر، أي: قطعت من الخلف.. وما كاد الباب يُفتح حتى كان العزيز معهما وجهًا لوجه.. وأسقط في يد يوسف، إذ لم يكن قد أعد لهذه المواجهة عُدتها، لأنه لم يفكر في هذا السوء من قبل، ولم يعمل أي حساب لمقدماته ونتائجها.. أما المرأة فكان جوابها حاضرًا، إذ كانت تعيش في هذه المحنة أيامًا وليالي، تفكر فيها، وتقلبها على جميع وجوهها واحتمالاتها..."⁽⁶⁾. حيث لم تترك ليوسف مخرجًا من تلبسه بهذه التهمة، وذلك بسبب تدبيرها واتهامها له رغم براءته، بل وأصدرت حكمها عليه، كما لم تترك لزوجها أي مجال للتفكير في مصير يوسف.

1/ سورة يوسف، من الآية: 23.

2/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 425.

3/ سورة يوسف، من الآية: 23.

4/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 425.

5/ سورة يوسف، الآية: 25.

6/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 430، 431.

حيث يُجسّدُ هذا المشهدُ القرآني ذروة الصّراعِ التّفسي بين يوسفَ وامرأة العزيز، إذ تتجلّى براءة يوسف في اندفاعه الفطريّ نحو الباب بقصد الهروب منها، ومن دون إعداد حُجّةٍ أو دفع تهمَةٍ. وفي مقابل ذلك دهاءُ المرأة التي أعدتْ جوابها مُسبقًا. حيث يشير فعل: (واستبقا) إلى سرعة الموقف وشدّته، وتُجسّدُ مفاجأة العزيز عند الباب تدبيرَ الله تعالى لكشف الحقيقة، ثم يليها إيحاءُ بدهاء المرأة وسُرعة توجيهها التّهمة ليوسف.

وفي قولِ امرأة العزيز: ﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ "إشارةً إلى أنّ الأمرَ لم يجاوز حدَّ الرّغبة والإرادة من جانب يوسف، ولم يبلغ حدَّ التّنفيذِ هذا السّوءِ وفعله، أمّا هي فلم يكن منها استجابةً لهذه الرغبة التي بدت من يوسف، وإذن فليطمئن العزيز إلى عفة أهله، وليقف بهذا الأمر عند حدّ الرّجر، أو التّصح لهذا الشابّ الغرير، الذي غلبت عليه فورة الشّباب.. وأمّا قولها: ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجِّنَ أَوْ عَذَابَ أَلِيمٍ﴾ فهو مبالغةٌ منها عند زوجها في الغيرة على عفتها وشرفها، وهذا من شأنه أن يهوّن الأمرَ على العزيز..."⁽¹⁾. حيث جعلتها وسيلةً لتهوين الأمر وصرف الشك عنها. مما ساعدها في تهدئة العزيز وإدارة الموقف بحكمةٍ ودهاءٍ. مما استدعى يوسف أن ينطق بكلماتٍ بريئة، فبالرغم من لطافة تلك الكلمات إلا أنّك ترى الحقّ مُنطلقًا منها للدّفاع عنه، ولتبرأته أمام سيّدتها.

ثمّ يصف الخطيبُ الصورة التي كان عليها حالُ يوسف -ﷺ- وكيف كان تفكيرُ العزيز بعد هدوئه، بقوله: "فلقد دلّه هذا الشّاهدُ - قدُ القميص - على أنّ الأمرَ لم يكن عن توافقٍ وتفاهمٍ بين امرأته وفتاها، وهذا يعني أنّ الجريمة لم تقع قبل اليوم، ولم تقع الآن، وبقي أن يعرف مَنْ من الطرفين كان المُهاجم، ومَنْ كان المُدافع.. ويسأل العزيز نفسه مرة أخرى: ما دلالة شقّ القميص من الخلف؟ وهنا يقلّب الأمرَ على جميع وجوهه واحتمالاته، فلا يرى وجهًا مقبولًا، واحتمالًا يرتفع إلى مستوى اليقين - إلا في أنّ المرأة هي الطالبة المُهاجمة، وأنّ يوسف هو الفارُّ الهاربُ من بين يديها، حيث تناولته من خلف مُمسكَةً بقميصه..."⁽²⁾. حيث استدللّ العزيزُ بتمزيق القميص من الخلف على براءة يوسف واتّهام المرأة، في إشارةٍ إلى تحكيمة للعقل والمنطق حتّى بلغ اليقين. مما يكشف عن روعة التّصوير في عرض الحقيقة بأداةٍ بسيطةٍ ذات دلالةٍ قوية. كما كانت شهادةُ العزيز أوّل براءة ليوسف، من خلال ما دار بينه وبين نفسه بعد تحليله لما جرى بينهما، حيث شهدَ على امرأته بذلك، بل وإدانتها بجرمها.

1/ عبدالكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص431.

2/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص:432.

فكان من تمام النعمة ببراءة ليوسف أن شهد له شاهد فيسمع شهادته بقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٦) وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿١﴾

ولقد نطق الشاهد بالبراءة الثانية ليوسف، حيث برأه الله مما ادّعه امرأه العزيز عليه زورا وبهتاناً، إذ لم يخصها العزيز بمفردها، "بل ليجعل التهمة مُشاعةً في بنات جنسها جميعاً: ﴿قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ أيتها النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، إنه يتهمها بأنّها المدبرة لهذا المنكر، والدّاعية إليه، ولكنه يغلف هذا الاتهام بتلك الكياسة السياسيّة التي هي صنعة الملوك، ومن في صحبة الملوك" (2). لأنه ما كان من العزيز أن يفضح نفسه وزوجه على رؤوس الأشهاد. حيث غلّف ذلك الاتهام الصريح بلبوس العموميّة حفاظاً على التوازن والهيبة.

وفي قول يوسف - ﷺ -: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (3) إichاء، "وكان يوسف - ﷺ - أدرك أنه إن أطاع امرأة العزيز، فإن وراء ذلك ما وراءه، ولن يقف الأمر عندها وحدها، ولكن قال: ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، ولم يقل: (ما تدعوني إليه) ويدعوني فعل مضارع لجماعة النسوة، فهو فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، ونون النسوة فاعل، أما قولنا (الرجال يدعوني) فهو فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، فيوسف - ﷺ - أدرك أن الدعوة ليست من امرأة العزيز نفسها، بل من النساء كلّهنّ، يشهد لذلك ما ذكره القرآن الكريم فيما بعد: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (4) (5). لكن يوسف أختبت إلى ربّه، وسأله بأن يصرف عنه كيد أولئك النسوة بقوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (6)، فمع ما كان من امرأة العزيز من خلوة بيوسف، وتغليق للأبواب، وإرخاء للستور، وانتهاك للستر،

1/ سورة يوسف، من الآية: 26، والآيتان: 27، 28.

2/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 433.

3/ سورة يوسف، من الآية: 30.

4/ سورة يوسف، من الآية: 51.

5/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 398.

6/ سورة يوسف، من الآية: 33.

وما كادت به ودبرت له، إلا أنها قلبت العقوبة عليه فلبث في السجن بضع سنين، ولكن الله لن يضيع نبيه، فكان الرد عليه: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (1).

ثم يشير الخطيب إلى السبب الحقيقي من وراء سجن يوسف بقوله: "فليس من المستبعد أن يكون هذا السجن تنفيذاً لوعيد امرأة العزيز، أو أن يكون تدبيراً من تدبير العزيز نفسه، بعد أن هدأت العاصفة، وذلك منه إما أن يكون انتقاماً من امرأته في شخص يوسف الذي شغفها حباً، أو انتقاماً من يوسف وجماله الذي أوقع امرأته في هذا الحب الأسر" (2). وربما اجتمعت تلك الأسباب جميعها، فكانت السبب الحقيقي الذي من أجله أدخل يوسف السجن.

وفي هذا الشأن يرى عباس أن من لطيف الإشارة في الآية ما في قوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ

السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ (3) أن "السوء والفحشاء مصروفان عنه، لا هو مصروفاً عنهما، لما في الثاني من الدلالة على أنه كان فيه ما يقتضي اقترافهما الموحج إلى صرفه عن ذلك، وهو يُنافي شهادته تعالى بأنه من عباده المخلصين" (4). فالآية تُوحى إلى أن صرف السوء عنه كان قبل وقوعه، مما يُبين رحمة الله وحكمته في حفظه وصونه عن المعاصي.

وبعد مرور بضع سنين قضاها يوسف في السجن، وبعد تأويله لصاحبه في السجن، يطلبه الملك لتأويل رؤياه، فيمتنع يوسف عن هذا حتى يُنظر في سبب سجنه. وهنا تأتي المرحلة الحاسمة لبرائه، حيثُ تعترف امرأة العزيز على الملائكة فتصيح قائلة: ﴿الْقَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (5)، فكانت شهادتها على نفسها خير برهان على براءة يوسف،

وهي إشارة إلى ظهور البراءة مهما طال الزمن، ويُكشف الظلم على الملائكة ويُصان المخلصون.

ثم يذهب الخطيب إلى القول بأن هذا الكلام في قوله: ﴿وَمَا أُبْرِيُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (6) صادر من يوسف، حيثُ اعترف على نفسه بذلك الهم

1/ سورة يوسف، الآية: 34.

2/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 442.

3/ سورة يوسف، من الآية: 24.

4/ قصص القرآن الكريم، ص: 404.

5/ سورة يوسف، من الآية: 51.

6/ سورة يوسف، الآية: 53.

الذي كان منه⁽¹⁾. ثم يُعلّل الخطيب بأنّ السبب الذي دعاه إلى فهم هاتين الآيتين بهذه الصورة هو "ما جاء فيهما من توحيد خالٍ، ومعرفة مستبصرة لما لله تعالى من سلطانٍ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾⁽²⁾، وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽³⁾، وهذا لا يصدر إلا من إنسانٍ مؤمنٍ بالله إيماناً مُشرقاً مُتمكناً، كإيمان يوسف..."⁽⁴⁾. في إشارة إلى أنّ امرأة العزيز لم تكن على الإيمان، وذلك بسبب أنّ مصر لم تكن على التوحيد آنذاك.

وهذا خرقٌ للسياق، وخطأٌ وقع فيه الخطيب وبعض المفسرين، إذ إنّ هذا الكلام ليس من كلام يوسف، بل هو صادرٌ من امرأة العزيز؛ لأنّ السياق يدلُّ على أنّ جهة الخطاب صادرة عن المرأة وليس عن يوسف، وأنّ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾⁽⁵⁾ ربّما يُفسّر بكونها آمنت بالله تعالى، وذلك مع ملاحظة قول امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾⁽⁶⁾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾⁽⁵⁾ فلو كان الكلام صادراً عن يوسف لفصل بين قولها وقوله، كأن يقول قال يوسف؛ حتى يكون الإسناد إلى فاعلٍ غير امرأة العزيز.

ولقد كان الطاهر ابن عاشور على صوابٍ عندما قال: "ظاهر ترتيب الكلام أنّ هذا من كلام امرأة العزيز، مضت في بغيّة إقرارها فقالت: وما أبرئ نفسي. وذلك كالاحتراس ممّا يقتضيه قولها: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ من أنّ تبرئة نفسها من هذا الذنب العظيم ادّعاءً بأنّ نفسها بريئة براءة عامّة فقالت: وما أبرئ نفسي، أي ما أبرئ نفسي من محاولة هذا الإثم؛ لأنّ النفس أمارة بالسوء وقد أمرتني بالسوء ولكنّه لم يقع. فالواو التي في الجملة استئنافية، والجملة ابتدائية. وجملة إنّ النفس لأمارة بالسوء تعليلٌ لجملة وما أبرئ نفسي، أي لا ادّعي براءة نفسي من ارتكاب الذنب؛ لأنّ النفوس كثيرة الأمر بالسوء"⁽⁶⁾. حيث تتجلى دقة التعبير القرآني في إشارة امرأة العزيز التي تعترف بمحاولة الإثم دون وقوعه، ويُبرز احتراس الاستعمال اللغوي في التمييز بين النية والفعل.

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 454.

2/ سورة يوسف، من الآية: 52.

3/ سورة يوسف، من الآية: 53.

4/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 454، 455.

5/ سورة يوسف، من الآية: 51، 52.

6/ التحرير والتنوير، 5/13.

وهذا ما رجَّحه عباس وأكَّده بقوله: "أولاً: إنَّ الحديثَ متصلٌ بكلامِ امرأةِ العزيز، ولم يكن يوسف -ﷺ- موجوداً بينهم ليقولَ هذا القولَ، وهل كان يوسف -ﷺ- يعلم الغيبَ ليقولَ قولته هذه؟ ثانياً: إنَّ المرأةَ اعترفت بأنَّها راودته عن نفسه في حضوره وحضور النَّسوة وأنكرت هذا أمامَ زوجها حين قالت: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾⁽¹⁾، أمَّا الآنَ فيوسف غائبٌ عن المجلس، لذا تريد أن تعترف في غيبته علماً تُكفِّرُ عن خطيئتها ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾⁽²⁾ أي: ليعترف يوسف -ﷺ- أنني اعترفتُ بالحقيقة في غيبته"⁽³⁾. لأنَّ اعتراف امرأة العزيز في غياب يوسف يشيرُ إلى ندمها ورغبتها في تصحيح الموقف، كما يؤكِّد بأنَّ يوسف لم يكن حاضراً لينفي ما نُسب إليه. وهنا تبرزُ دقَّةُ السياقِ القرآني في تصوير الأحداث وأحاسيس الشَّخصيات.

كما أشارَ ابن عاشور إلى أنَّ الاستثناءَ في الآية كان من المرأة، حيثُ يقول: "والاستثناء في إلا ما رحم ربي استثناءً من عموم الأزمان، أي أزمان وقوع السَّوء، بناءً على أنَّ أمر النَّفس به يبعثُ على ارتكابه في كلِّ الأوقات إلَّا وقتَ رحمة الله عبده، أي رحمته بأن يُقيضَ له ما يصرِّفه عن فعل السَّوء، أو يقيضُ حائلاً بينه وبين فعل السَّوء، كما جعل إباية يوسف -ﷺ- من إجابتها إلى ما دعته إليه حائلاً بينها وبين التَّورط في هذا الإثم، وذلك لطفٌ من الله بهما. ولذلك ذيلته بجملة: إنَّ ربي غفورٌ رحيمٌ، ثناءً على الله بأنَّه شديد المغفرة لمن أذنب، وشديد الرَّحمة لِعَبده إذا أراد صرفه عن الذَّنْب"⁽⁴⁾. إنَّ رفض يوسف الاستجابةَ لرغبة المرأة يعدُّ دليلاً على وجود الحاجز الإلهي الذي تجلَّت من خلاله الرحمة الإلهية التي تعينُ العبدَ على اجتناب المعاصي والتمسك بالفضيلة.

ويشير ابن عاشور إلى احتمالٍ أن يكونَ قومُ امرأة العزيز مؤمنين، حيثُ يقول: "وهذا يقتضي أن قومها يؤمنون بالله ويحرمون الحرام، وذلك لا يُنافي أنَّهم كانوا مشركين فإنَّ المشركين من العرب كانوا يؤمنون بالله أيضاً، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴾⁽⁵⁾ وكانوا يعرفون البرَّ والذَّنْب. وفي اعتراف امرأة العزيز

1/ سورة يوسف، من الآية: 25.

2/ سورة يوسف، من الآية: 52.

3/ قصص القرآن الكريم، ص: 427.

4/ التحرير والتنوير، 5/13، 6.

5/ سورة العنكبوت، من الآية: 61.

بحضرة الملك عبدةً بفضيلة الاعتراف بالحق، وتبرئة البريء مما أُلصقَ به، ومن خشية عقاب الله الخائنين" (1).

ويوضح عباسُ الفارق بين قولِ المرأةِ في حضرةِ النسوة: ﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (2)،

وقولها: ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (3) بقوله: "ويبدو أن الفرقَ بين الموضعين - والله أعلم بما ينزل -

أنها قالتها في المرة الأولى وهي تنبغ من عواطفها، ورغبتها، وإحساساتها. قالتها متوعدةً مُهددةً

تريد أن تُظهر قوتها، وبطشها، وترفعها ليستجيب لها، ولذا قالت: ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ﴾ (4) الآية.

وليس الأمر هنا كذلك، فهي الآن في معرض الاعتراف والإقرار بالحقيقة، ولذلك شفعت هذا

الاعتراف بقولها: ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ (5). فهي تؤكد صدقه هنا بمؤكدات كثيرة" (6). وذلك

اعترافٌ منها ببراءة يوسف مما نسبته إليه، وحتى تُري النسوة ما كانت تعانیه من هوسٍ وهي

تجري خلف هذا الفتى، لكنّه بالرغم من كلّ ذلك وقف نداءً في وجه بطش تلك العواطف.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (7)

يشير الخطيب بقوله: "لقد أصبح يوسف في حكم الأموات عندهم، وهذا هو بعض سرّ التعبير

القرآني: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ الذي جاء مخالفاً لما يقضي به الظاهر، وهو أن يُقال:

فعرّفهم، وهم لم يعرفوه، أمّا قوله: ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ فإنه يدلُّ على أنه كان من طبيعة الأمور

أن يعرف إخوة يوسف أخاهم، ولكن بفعلتهم المنكرة معه قد أصبح يوسف غريباً مُنكراً عندهم،

كأن لم يكن في يومٍ من الأيام واحداً من أبناء يعقوب" (8). إضافةً لما كانوا يمرّون به من شدة في

المؤونة، ومجاعة في أرض كنعان، إذ لم يخطر ببالهم يوماً أن يلتقوا بأخيهم، وهم يطلبون منه

الزاد والميرة.

1/ التحرير والتنوير، 6/13.

2/ سورة يوسف، من الآية: 32.

3/ سورة يوسف، من الآية: 51.

4/ سورة يوسف، من الآية: 32.

5/ سورة يوسف، من الآية: 51.

6/ قصص القرآن الكريم، ص: 426، 427.

7/ سورة يوسف، الآية: 58.

8/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 458.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾⁽¹⁾ يبرز إحياء، وهو أن "هذه الرؤيا أرقت نفس الملك؛ لما فيها من الغرابة، فالبقرات السبع السمان يأكلهن سبع عجاف، وهذا على غير مألوف الناس، وهناك سبع سنبلات خضر وأخر يابسات، ولم يحدّد القرآن عددهنّ، أهنّ سبع كذلك؟ ولا ريب أن الرؤيا كان لها في نفس الملك شأنٌ وخطرٌ"⁽²⁾. حيث وصفوا هذه الرؤيا بأنها مجردٌ ﴿ أَصْغَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِأَوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالَمِينَ ﴾⁽³⁾ وذلك بسبب عجزهم عن تعبير رؤيا الملك، وأنهم أرادوا بقولهم هذا صرف اهتمام الملك عن هذه الرؤيا التي شغلت تفكيره.

كما يبرز إحياء من قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾⁽⁴⁾ "يدلّ على تمام الثقة، حيث لم يقل: (عبر لنا هذه الرؤيا)، إنّها الفتوى التي تعتمد اليقين، فهي حقيقة إذن"⁽⁵⁾. وذلك بسبب علمه هو وصاحبه بما كان من يوسف - ﷺ - من براعة في تعبير رؤياهما في السجن، ومقدرته على تعبير رؤيا الملك، بخاصة بعد عجز كل من عرضت عليه هذه الرؤيا الملكية.

وبعد إعجاب الملك بيوسف - ﷺ - واشتياقه للقاءه يقول الله تعالى على لسانه: ﴿ أَتُونِي بِوَهِّ أَسْتَحْضَهُ لِنَفْسِي ﴾⁽⁶⁾، حيث وصف عباس تعبير الملك قائلاً: "ما أجمل النظم القرآني في تعبيره، وإحياءاته، وأسراره التفسيرية، والبيانية ﴿ أَسْتَحْضَهُ ﴾، فما أبدع هذه الكلمة في موضعها"⁽⁷⁾. وهذه الإشارات التي يبيّنها السياق القرآني تنبع من نظم بديع في تصوير المشاهد، بأسر العقول ويأخذ الألباب.

1/ سورة يوسف، من الآية: 43.

2/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 422.

3/ سورة يوسف، من الآية: 44.

4/ سورة يوسف، من الآية: 45.

5/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 423.

6/ سورة يوسف، من الآية: 54.

7/ قصص القرآن الكريم، ص: 428.

وكذلك من الإحياءات ما جاء في قول إخوة يوسف عنه: ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾⁽¹⁾، فهم يقصدون بذلك: أن يوسف قد سرق من قبل، وفي هذا يقول الخطيب: "ويعنون بما سرقه ما كان من استيلائه على قلب أبيه، وهذا في تقديرهم سرقة من يوسف لأبيهم، واستنثار بحبه دونهم ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ اللَّهِ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾⁽²⁾ (3). وهذا مما جعل يوسف يستشيط غضباً في نفسه من إخوته، ويقول: ﴿ أَنْتُمْ سُرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾⁽⁴⁾، وتأويل الخطيب أن هذه السرقة كانت لقلب أبيه تأويل بعيد، ولا تدل عليه العبارة، وما هي إلا مجرد دعوى باطلة من إخوة يوسف.

ويرى عباس في قول إخوة يوسف: ﴿ سَتَرُوا عَنْهُ آيَاتِهِمْ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾⁽⁵⁾ إشارة حيث يقول: "وهم يدركون أنه ليس من اليسير والسهل أن يستجيب لهم أبوه، فلا زالت تملأ نفسه حسرة وألماً غيبه يوسف - ﷺ -؛ لذا عبروا بكلمة (سنراود) ثم قالوا: سنراود عنه أباه، ولم يقولوا أباناً. وهي التي قالوها من قبل ﴿ يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾⁽⁶⁾. وهذا كله من أجل أن يبينوا ليوسف أن الأمر ليس يسيراً، لكنهم سيبدلون جهدهم، وأكدوا ذلك بقولهم: ﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾⁽⁷⁾. إذ إنهم لم يعزموا على هذا الأمر، حيث كانت لهم محاولات سابقة من أجل إقناع أبيهم؛ لأجل اصطحاب يوسف معهم ووضعه في الجب، ولقد كانوا على علم برفض أبيهم أخذ ابنه الآخر من أجل الكيل؛ لأن العزيز - يوسف - اشترط عليهم ذلك، وقال لهم: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾⁽¹⁾. فأوجب عليهم إحضار أخيه، وإلا حرموا من الكيل، وقطع ما بينهم وبينه.

1/ سورة يوسف، من الآية: 77.

2/ سورة يوسف، من الآية: 8.

3/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 471، 472.

4/ سورة يوسف، من الآية: 77.

5/ سورة يوسف، من الآية: 61.

6/ سورة يوسف، من الآية: 11.

7/ قصص القرآن الكريم، ص: 433.

1/ سورة يوسف، الآية: 60.

وفي قول يوسف - ﴿٧٩﴾: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَنَا عِنْدَهُ إِنْآ إِذَا لَطَلِمُوتَ﴾⁽¹⁾ إشارة إلى أنه كان "مُنصَفًا كَلَّ الإِنصَافِ، دَقِيقًا كَلَّ الدَّقَّةَ، مَهْدَبًا كَلَّ التَّهْدِيبَ، وهو ينطق بهذه الكلمات ﴿وَجَدْنَا مَتَّعَنَا عِنْدَهُ﴾، ولم يقل: (لن نأخذ إلا من سرق)؛ لأنه يعلم أن أخاه ليس سارقًا ﴿إِنآ إِذَا لَطَلِمُوتَ﴾"⁽²⁾. في إشارة منه إلى ظاهر الحال دون اتهام، مؤكدًا أن أخذ البريء ظلم لا يليق بالأنبياء، إذ إنه يستحيل أن يرضى يوسف لأخيه من أمه وأبيه أن يُنهم بالسرقة، وما كان منه ذلك إلا لمصلحة أرادها، أو أريدت له، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾.

وبعد أن عاد الإخوة إلى مصر مع أخيهم، دخلوا على يوسف ونفوسهم منكسرة، توجي بأنهم مختلفون عما كانوا عليه من قبل، وهذا بارز من قولهم: ﴿يَتَأَيَّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَنَصِّدَقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾⁽⁴⁾، يقول عباس: "ويدخلون على يوسف - ﴿٧٩﴾- ولكنهم يدخلون هذه المرة بنفوس منكسرة تختلف عن سابقها، يدلنا على ذلك هذا الحديث الذي نستمع إليه من كتاب الله ﴿يَتَأَيَّهَا الْعَزِيزُ﴾ بإظهار حرف النداء، ويبادرونه هذا القول ﴿مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضَّرُّ﴾ وعلامة ضرهم أنهم جاءوا ببضاعة مزجاة قليلة غير معتد بها. ويوَدُونَ أمرين اثنين، أولًا: أن يوفِّي لهم الكيل مع كون بضاعتهم مزجاة. ثانيًا: وأن يتصدق عليهم. وفي هذا تلميح لئطلق أخاهم؛ ليرجعوا معًا إلى أبيهم، ويختمون قولهم بهذا الدعاء؛ ليثيروا في نفسه عوامل وكوامن؛ حتى يستجيب لهم"⁽¹⁾. ومما لا شك فيه أن يوسف قد رق قلبه لهم، وملاءة الحزن؛ لأنهم وصفوا له جزءًا من حالة أبيه، وبخاصة بعد فقده لابنه الآخر.

1/ سورة يوسف، الآية: 79.

2/ قصص القرآن الكريم، ص: 439.

3/ سورة يوسف، من الآية: 76.

4/ سورة يوسف، من الآية: 88.

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 442.

وفي الطريق إلى نهاية هذه القصة يبررُ إichاء في غاية الدوق من يوسف لأخوته، وذلك في قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾⁽¹⁾ حيث يقول عباس: "لم يذكر -ﷺ- الخروج من الجُبِّ الذي رموه فيه. إنه لا يريد أن يُرجعهم في هذه اللحظة الطيبة التي تسير فيها نسمات الصبا، والتي يشعر فيها جميعهم بفرحة الروح، وطيب اللقاء. إنَّ ذكرَ الجُبِّ سيذكرهم بجريماتهم، وسيثيرُ في نفس أبيه كذلك أشجانًا، حريُّ بها أن تُطوى"⁽²⁾. وما هي إلا دلالة على عظمة وعلو كعب الأنبياء -ﷺ-، إذ هو الكريمُ ابنُ الكرماء، وهذا الذي كان من يوسف يُعدُّ من أعظم دروس الصفح والعفو والغفران.

إذن فسيُدنا يوسف -ﷺ- حينما أرادَ ربنا أن يُخرجه من السجن، والذي هو بلاءٌ ومحنةٌ، لم يرسلِ الله ساعةً تصعقُ أبوابَ السجن لتفتحه، ولم يرسلِ الله صيحةً شديدةً تهدمُ جدرانَ ذلك السجن؛ حتى يخرجَ يوسف، إنما هي رؤيا مناميةً تسلَّت بين خيوط الليل المظلم إلى حاكم مصر؛ حتى يكونَ يوسف مطلوبًا لا طالبًا، ومُحتاجًا إليه، وليس محتاجًا إلى أحدٍ، إنما كان هذا بسبب ثقته بالله -ﷻ-، وبصدق توكله على مولاه.

وفي ختام الحديث عن قصة يوسف -ﷺ- نشيرُ إلى أن هذه السورة قد امتازت عن بقية السور، بأنها ذاتُ لُحمةٍ واحدةٍ، ويتبدى الطابعُ المكِّيُّ جليًا في جوِّ موضوعها، وفي إichاءاتها، وإشاراتها، وظلالها، وكأنها تصفُ تمامًا تلك الحالة التي كان يُعانيها سيدنا محمد -ﷺ- وأصحابه -ﷺ-، وذلك بإخراجهم من مكة إكراهًا وقسرًا، مهاجرين إلى بلدٍ آخر؛ ليكونَ منه ذلك النصر والغلبة والتَّمكينُ لدينه ولرسوله وللمؤمنين، فهو كإخراج يوسف من أحضان أبيه وأخيه؛ ليعاني تلك الابتلاءات، ولتكونَ نهايته بعد كلِّ الابتلاءات نصرًا وتمكينًا. ولقد عايشَ يوسف -ﷺ- أنواعًا من الابتلاءات والمحن، ابتداءً من كيد إخوته له، ثمَّ وضعه في الجُبِّ، ومعاناةً فقدته لحنان أبيه وهو صغيرٌ، وبيعه في سوق الرِّقِّ بثمنٍ بخسٍ، وصولًا إلى محنته مع كيد امرأة العزيز له، وما قامت به من إغراءاتٍ، ثمَّ محنة السجن والعزلة، ثمَّ محنته مع سلطانه المطلق، وذلك بالتحكُّم في أقوات الناس، وانتهاءً بمشاعره عند لقاء إخوته، وأبويه، فلم يكنْ منه في آخر أمره إلا أن قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَليُّ فِي الدُّنْيَا

1/ سورة يوسف، من الآية: 100.

2/ قصص القرآن الكريم، ص: 445. والقصص القرآني إichاؤه ونفحاته، ص: 409.

وَالْآخِرُ تَوْفِئِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١﴾. وهذا إيحاءٌ يفيدُ سرَّيَانِ سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ

إِذَا اسْتَيْسَأُوا، وَإِشَارَةٌ إِلَى الْمَخْرَجِ الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَتَّبِعُهُ الْفَرْجُ الْمَرْغُوبُ.

كَمَا تَتَجَلَّى فِي قِصَّةِ يُوسُفَ - ﷺ - أَرْقَى مَسْتَوِيَاتِ الْإِيحَاءِ الْقُرْآنِيِّ، قِصَّةٌ كُلَّمَا أُطْلِعَ عَلَى مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِهَا بَانَ مِنْهَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ لِمِحَّةٍ أَوْ إِشَارَةٍ جَدِيدَةٍ لَمْ تُرَ مِنْ قَبْلُ. حَيْثُ تَتَجَاوَزُ هَذِهِ الْقِصَّةُ مُجَرَّدَ سَرْدِ الْأَحْدَاثِ إِلَى رَسْمِ لُوحَاتٍ نَفْسِيَّةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ دَقِيقَةٍ، هَذِهِ الْإِيحَاءَاتُ تَنْقُلُ الْقَارِئَ مِنَ الظَّاهِرِ إِلَى الْبَاطِنِ، فَتُضِيءُ مَسَارَاتِ الرُّوحِ الْبَشَرِيَّةِ بَيْنَ الصَّرَاحِ وَالرَّحْمَةِ، بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْأَمَلِ، وَبَيْنَ الْإِخْتِبَارِ وَالنَّجَاةِ. إِنَّهَا تُبْرِزُ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي تَسْيِيرِ الْأَحْدَاثِ، وَتَجْعَلُ مِنَ الْقِصَّةِ مَصْدَرًا غَنِيًّا لِلتَّأَمُّلِ وَالتَّدْبِيرِ. لِذَا تَظَلُّ قِصَّةُ يُوسُفَ نَمُوذَجًا مُنْفَرَدًا فِي الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ، يُظْهِرُ قُدْرَةَ الْقُرْآنِ عَلَى تَوْظِيفِ الْكَلِمَاتِ وَالْإِشَارَاتِ لِتَجْرِبَةِ إِنْسَانِيَّةٍ وَرُوحِيَّةٍ جَامِعَةٍ.

1/ سورة يوسف، الآية: 101.

إيحاءات في قصص:

أصحاب الكهف، وذو القرنين، وموسى والخضر - ﷺ -

• في قصة (أصحاب الكهف)

وردت قصة أصحاب الكهف في صورة مُجَمَّلة في قوله - ﷺ -: ﴿إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ

فَقَالُوا رَبَّنَا آئِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرْبَنَا عَلَيَّ ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ

عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ (1)، يقول الخطيب: "وهذا الملخص

الموجز للقصة، يثير الشوق، ويحرك الرغبة للتعرف على ما وراء هذه الإشارات واللمحات، وهنا يستجيب القرآن لداعي الحال، فيعرض القصة مفصلة بعض التفصيل، مسلطاً الأضواء على الجوانب المثيرة من موضوعها" (2). وما هذا التقديم الموجز للقصة إلا شد للسامع، واستحضار للجانب النفسي لدى المتلقي، ثم يبدأ العرض التفصيلي للقصة، في براعة استهلال، وتنقل المشاعر إلى ذلك الزمن السحيق.

ولقد وصف القرآن الكريم هؤلاء الفتية بقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿3﴾

وفي هذا "إشارة إلى أنهم اتجهوا إلى الله، ووضعوا أقدامهم على الطريق إليه، فاستقبلهم الله - ﷻ - بألطفه على الطريق، ودفع بهم إلى مرفأ الأمن والسلامة، وهذا يعني أنه مطلوب من الإنسان أن يتحرك نحو الغاية التي يقصدها، فإن كانت حركته على طريق الخير، وجد من الله سبحانه العون والسداد، وإن كان على طريق الضلال والفساد، تركه الله لهواه، وأسلمه لشيطانه" (4). وما زيادة الله لهم من الهدى إلا بسبب الإيمان به، وصدق التوكل عليه، وأنه وحده مسبب الأسباب، وأنهم لم يتوقفوا على مجرد النية فقط، بل قاموا لأجل ذلك حتى ربط الله على قلوبهم.

وفي مُستهلّ عرض فضل عباس لقصة أصحاب الكهف، نجده يشير إلى ملمح لطيف، لا

ينأتى إلا من نظم عليم خبير، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴿5﴾، حيث

يقول: "وفي هذه الكلمة: (الإيواء) تصويرٌ بيانيٌ بديعٌ، كأنهم كانوا يعيشون حالةً من القلق

1/ سورة الكهف، الآيات: 10 - 12.

2/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 59.

3/ سورة الكهف، من الآية: 13.

4/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 63.

5/ سورة الكهف، من الآية: 10.

والاضطراب النَّفْسِيَّ، وألم الرُّوح، وحينما دخلوا إلى الكهفِ وجدوا فيه طُمأنينتهم، كيف لا وهم يُناجون رَبَّهُم أن يُؤتِيَهُم من لدنه رحمةً خاصةً بهم، تمدُّهم بالثَّباتِ والحقِّ...⁽¹⁾. ولقد صَوَّرَ القرآنُ حالَهُم أروعَ تصويرٍ وأبدعَ نظمٍ؛ لبيانِ العبرةِ من ذكرِ قصتهم.

حيثُ لم يجد الفتيةُ مخرجًا سوى الهروبِ بدينهم، فاتَّخذوا لهم كهفًا على مقربةٍ من مدينتهم؛ وذلك للاختفاءِ عن أنظارِ قومهم، حتَّى إذا طلبوهم لم يجدوا لهم أثرًا، ولقد عبَّرَ القرآنُ بقوله عنهم: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ قَوْمِهِمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْتُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ

أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾⁽²⁾، وهنا يرى الخطيبُ أنَّ في هذه القصةِ تشابهاً مع قصةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ويقصد

بذلك غارَ ثورٍ حيثُ يقولُ: "إنَّ كهفَ مثل كهفِ أصحابِ الكهفِ هذا، ولكأنَّ القرآنَ يجيءُ بهذه القصةِ، وتنزِّلُ آياتُها على جماعةِ المسلمين، وهم في مكَّةَ، يلقونَ ما يلقونَ من عنتٍ، وكيدٍ، وبلاءٍ في سبيلِ عقيدتهم، وكأنَّ القرآنَ يجيءُ بهذه القصةِ في هذا الوقتِ؛ قاصداً به الرِّبطَ على قلوبِ تلكِ الجماعةِ القليلةِ المُستضعفةِ من المؤمنين، وليربِّهم مثلاً طيباً للمؤمنين الذين يسكنُ الإيمانُ قلوبهم ويملاً مشاعرهم، استجابةً لدعوةِ الفطرةِ من غيرِ نبيٍّ ولا كتابٍ.. ثمَّ لكأنَّ فيما اتَّجهَ إليه أصحابُ الكهفِ من الهجرةِ بدينهم، إشارةٌ واضحةٌ إلى منافذِ الفرجِ والخلاص...⁽³⁾. فهذا الإيحاءُ بينَ القصتينِ ربَّما كانَ منَ الإشاراتِ الدالَّةِ على إنجاءِ الله تعالى لنبيِّه ولدعوته، كما أنجى أصحابَ الكهفِ في نهايةِ أمرهم.

وهنا تساؤلٌ: ما الدلالةُ في اختيارِ القرآنِ لوصفِ المكانِ الذي أوى إليه النبي - ﷺ - ب (الغار)، والمكانِ الذي لجأ إليه الفتيةُ ب (الكهف)؟

لقد جاءَ وصفُ الكهفِ للمكانِ الذي أوى إليه الفتيةُ على معانٍ، منها: أنَّ الكهفَ هو غارُ الوادي⁽⁴⁾، وقيلَ بأنَّه: "النَّقْبُ المُتَّسِعُ في الجبلِ، وما لم يَتَّسِعْ فهو غارٌ"⁽⁵⁾. وقيلَ بأنَّ الغارَ هو: "النَّقْبُ العَظِيمُ يَكُونُ في الجبلِ"⁽⁶⁾. والقولُ الأرجحُ والأقربُ: أنَّ ما اتَّسعَ نَقْبُهُ سُمِّيَ كهفًا، وما لم يَتَّسِعْ سُمِّيَ غارًا، لذا ناسبَ أن يوصفَ بالكهفِ مع الفتية؛ لأنَّهم سبعةٌ وثامنهم كلُّهم، بخلافِ الغارِ فهو: نَقْبٌ غيرُ مُتَّسِعٍ في الجبلِ، وهو أقلُّ عمقًا من الكهفِ، فهو لا يَتَّسِعُ لأكثرَ من اثنين.

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 741.

2/ سورة الكهف، الآية: 16.

3/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 66.

4/ الطبري، جامع البيان، 602/17.

5/ قال القرطبي: "وحكى النقاش عن أنس بن مالك أنه قال: الكهف الجبل، وهذا غير شهير في اللغة". الجامع لأحكام القرآن، 356/10.

6/ الطبري، جامع البيان، 258/14.

وينبغي الإشارة إلى أنَّ الكاتبيين - الخطيب وعبّاس - لم يتناولوا هذه الجزئية بالحديث. فكلمة الكهف⁽¹⁾ ليست عربية أصيلة، بل كلمة معرّبة، ويتضح أنّ استعمالها يتناسب مع واقع هؤلاء الفتية الذين لم يكونوا عرباً، ولا من أتباع النبي محمد ﷺ، فاختيار هذه الكلمة المعرّبة جاء تمثيلاً مع لغتهم. مثلما أتى بكلمة (بكة)⁽²⁾ عند ذكر إبراهيم - عليه السلام -، بدلاً من (مكة) التي كانت مستخدمة بين العرب⁽³⁾.

ويذهب عباس إلى أن قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْىءَ الْفَتِيَّةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾⁽⁴⁾ يحمل إشارة واضحة

بأن أصحاب الكهف كانوا في أعمار الورود نضارة وحسنًا، قرأنا من قبل قول الله ﷻ ﴿إِذْ أَوْىءَ

الْفَتِيَّةُ﴾ وها نحن نقرأ الآن مرة أخرى ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ ولكنهم هذه المرة ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ

وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾⁽⁵⁾ وزيادة الهدى منحة من الله يمنحها الله سبحانه من أخلص في الإقبال عليه،

واللجوء إليه، ألم يكن شأن أولئك كذلك؟؟ وصدق الله ﷻ ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَامَنُوا تَقْوَاهُمْ﴾⁽⁶⁾

نعم آتاهم تقواهم، ولقد خصّ الله أولئك الفتية بعد هذه المنح فربط على قلوبهم، والربط على القلوب في مفهوم القرآن: التثبيت على الحقّ أيًا كانت العواصف والمحن⁽⁷⁾. حيث تشير الآيات إلى أن الله وهب هؤلاء الفتية جمال الخلق والخلق، وأكرمهم بنعمته بالإيمان به، وصدق التوجه إليه، والثبات على الحق.

ونجد الخطيب لم يكتف بذلك الإيحاء الذي أشارت إليه القستان، فهو لا يستبعد أن

تكون هجرة المسلمين إلى الحبشة من وحي هذه القصة، وغير بعيد أيضًا أن تكون تلك الخطئة

التي رسمها الرسول ﷺ - وصاحبه أبو بكر في هجرتهم منظورًا فيها إلى تلك القصة أيضًا⁽¹⁾.

1/ كهف: الكهف: كالمغارة في الجبل إلا أنه أوسع منها، فإذا صنع فهو غار. ابن منظور، لسان العرب، 310/9.
2/ (بكة): هي مكة تبدل الباء من الميم وهو قول أهل اللغة، وقيل بكة: بطن مكة، وقيل: موضع البيت، وقيل: البيت والمسجد ومكة ما وراءه، وقيل مكة: البيت وما والاه، قيل سمي بكة: لتباك الناس بأقدامهم أمام البيت، أي: ازدحامهم وقيل لأنها تبتك أعناق الجبابرة أي تذللهم. أما (مكة) قيل: هي بكة، والميم والباء مبدلة بمعنى واحد، وقيل: هما اسمان بمعنيين، مكة بالميم: لقلة مائها من قولهم أمّتك الفصيل أمه إذا استخرج ما في ضرعها، وقيل: لأنها تمك الذنوب أي تذهب بها. القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، 114/1، 392/1.

3/ حوار مع د. سعيد سالم فاندي، 2025/1/7م.

4/ سورة الكهف، من الآية: 10.

5/ سورة الكهف، من الآية: 13.

6/ سورة محمد، الآية: 17.

7/ قصص القرآن الكريم، ص: 742.

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 66، 67.

إذ إنَّ ذلك الغارَ كانَ بمثابةِ الكهفِ الذي لجأَ إليه، حتَّى انقطعت أخبارُهما عن قريشٍ، ثمَّ عرّضا أمرَهما على الهجرةِ إلى يثرب.

كما نجدُ إيحاءً يُشعرُ بحالِ هؤلاءِ الفتيةِ التي كانوا عليها في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ

كَمْ لَيْتُمْ قَالُوا لِيئنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾⁽¹⁾ حيثُ يقولُ الخطيبُ: "وانظر كيف بدأ هذا الحديث،

بتلك القافاتِ المتكرّرة، وما فيها من ثقلٍ وتقلُّعٍ، ثمَّ تلك الواواتِ والبياءاتِ، وما فيها من رخاوةٍ

وتمتعٍ، إنَّك لو ذهبتَ تُسرِّعُ بقراءةِ هذا المقطعِ من الآيةِ الكريمةِ: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَيْتُمْ

قَالُوا لِيئنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ لما استجابَ لك لسائلك، ولعقلتهُ تلك الكلماتِ والحروفِ المجتمععةُ من

القافاتِ، واللّاماتِ، والميماتِ، عن أن يُجاوِزَ الحركةَ البطيئةَ المقدورةَ له في هذا الموقفِ، وإلاَّ

تعثَّرَ واضطرب"⁽²⁾. لذا كانَ ردُّ بعضهم ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ ﴾⁽³⁾، وبهذا الأسلوبِ

المُعجِزِ يصفُ القرآنُ الكريمُ حالَ الفتيةِ في كهفهم، وهم في حالةِ نَعاسٍ.

وممَّا يلاحظُ من الإشاراتِ أيضًا، ما جاء في شأنِ حفظِ الله تعالى لأصحابِ الكهفِ، يقول

عباس: "وما هو القرآنُ يصوِّرُ لنا هينَتهم التي كانوا عليها في الكهفِ، ورحمةِ الله بهم، حيثُ

حفظَ أجسامهم، حتى لا يُصيَّبَها تلفٌ وفسادٌ. حفظها أوّلاً: من حرارةِ الشَّمسِ، وحفظها ثانيًا: من

أن تؤثرَ الأرضُ في أجسامهم، أمّا حفظهم من حرارةِ الشَّمسِ، فقد أشارت إليه الآيةُ الكريمةُ

﴿ وَرَبَّى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوُّرٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾⁽⁴⁾ الآية، ومعنى الآيةِ الكريمةِ أَنَّ الشَّمْسَ

حينما تطلع تزاور عن كهفهم: أي تميل ﴿ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشِّمَالِ ﴾ أي: لا تُصيَّبهم عند

طلوعها وعند غروبها... "⁽⁵⁾. ولقد جمعَ هذا التَّصويرُ القرآني بين الإعجازِ في الحفظِ والرَّعايةِ،

وبين الرِّحمةِ الإلهيةِ التي أحاطت بهم من كلِّ جانبٍ. وهذه إشارةٌ إلهيةٌ في حفظِ الفتيةِ داخلَ

كهفهم من التَّآكلِ والهلاكِ، حيثُ هيأَ لهم أسبابَ السَّلامةِ الجسديةِ طوال فترةِ مكثهم.

1/ سورة الكهف، الآية: 16.

2/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 70.

3/ سورة الكهف، من الآية: 19.

4/ سورة الكهف، من الآية: 17.

5/ قصص القرآن الكريم، ص: 744.

كما وصف عباس ما عَقَّبَ به الله تعالى على هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ

اللَّهِ ﴾⁽¹⁾ حيث يقول: "وما أجمل هذا التّعقيب في هذه الآية ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ

فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾⁽²⁾، فقد هدى بفضلِه هؤلاء الفتية، مع صغر سنِّهم، وقلة تجاربهم"⁽³⁾.

مبيناً أنّ هداية الفتية منحة ربّانية يمنحها الله لمن أخلص التّوجّه إليه، بغضّ النظر عن العمر أو الخبرة و التّجربة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَحَسَبَهُمْ آيْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾⁽⁴⁾ إشارة إلى أنّه "تعبير مؤثّر موجي،

(وهم رقود) هذه جملة اسميّة تدلّ على الدوام والثبوت"⁽⁵⁾. حيث يُصوّر مشهداً يوحي كأنّهم كانوا في سبات عميق مع أنّ الرّائي يظنّهم أيقاظاً، وفي ذلك دلالة على أنّ هيئاتهم وملابسهم لم يطرأ عليها تغيير، كما أنّ كلبهم بقي على حاله ولم يبدل موضع نومته عند مدخل الكهف.

وفي استعمال القرآن الكريم للفظ: ﴿ وَكَيْتَلَطَفَ ﴾⁽⁶⁾ إيحاء بأنّ "الحكمة في التّعامل وعدم

التّزمت هذا هو فقه الفتية اختيار الطّيّبات من الرّزق، والحكمة في المعاملة، ثمّ التّحذير من أسلوب العنف، والمبالغة في السريّة ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾⁽⁷⁾"⁽⁸⁾. حيث اطلع القوم

عليهم، ودارت بينهم المنازعة بسبب اختلاف التّفود التي قدّمها أحدهم لأجل شراء شيء ما يأكلونه، فانكشف أمرهم بذلك، عندئذ عاد أصحاب الكهف إلى مكانهم، وعادوا إلى نومتهم التي كانوا عليها.

ثمّ يذكر الخطيب دور عالم الحيوان في القصص القرآني، حيث وقف مع قصة كلب

أصحاب الكهف، والذي خلّد الله ذكره في العالمين، كما في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ

1/ سورة الكهف، من الآية: 17.

2/ سورة الكهف، من الآية: 17.

3/ قصص القرآن الكريم، ص: 744.

4/ سورة الكهف، من الآية: 18.

5/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 745.

6/ سورة الكهف، من الآية: 13.

7/ سورة الكهف، من الآية: 13.

8/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 746.

كَلْبَهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ سَادِسُهُمْ كَلْبَهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَامِنَهُمْ كَلْبَهُمْ ﴿١﴾، وهذا فيه إشارة إلى ما "كان من شأن هذا الكلب في إنكاره على أهل هذه القرية، ما كانوا عليه من شرك بالله، ومن تربُّص بهؤلاء الفتية الذين آمنوا بالله، وأخذوا طريقا غير الطريق الذي أخذه قومهم.. فانحاز بطبيعته المؤمنة بالله، إلى هذه الجماعة التي آمنت بالله، وهاجر معهم؛ ليكون خادماً يقوم على حراستهم، ويدفع عنهم ما استطاع، ما قد يعرض له من سوء" (2). كما كان من أمر الهدد مع ملكة سبأ وقومها. وإنما شرف الكلب لشرف أصحابه، وذكر في قصتهم حتى كأنه واحد منهم، في إشارة إلى فضائل صحبة الأخيار.

ثم يُضيف عباس ملحظاً مهماً من قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ

خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴿٣﴾، حيث يقول: "ونلاحظ أن هذه الواو لم تأت في القولين السابقين ﴿ رَابِعُهُمْ ﴾ و ﴿ سَادِسُهُمْ ﴾، وهذه ليست واو الثمانية، كما يقول بعض الناس، إذ ليس في اللغة واو تسمى واو الثمانية، لذا ذهب المحققون إلى أن عددهم سبعة؛ لمرجحات، منها: وجود هذه الواو، حيث لم تأت في القولين الأولين، وجاءت في القول الأخير، ثم يقول الله لنبيه - ﷺ -: ﴿ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (4) (5).

والصحيح أنها واو الحال. وكان تعقيب القرآن بهذه الآية نتيجة الاختلاف في تعيين قومهم لعدد فتية الكهف، وذلك بعدما رجعوا إلى كهفهم ونومتهم، لذا كان الخلاف بينهم في تحديد عددهم، وفي تحديد مدة مكثهم في هذا الكهف؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيْتُوا لَهُ غَيْبُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (6).

-
- 1/ سورة الكهف، من الآية: 22.
 - 2/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 84.
 - 3/ سورة الكهف، من الآية: 22.
 - 4/ سورة الكهف، من الآية: 22.
 - 5/ قصص القرآن الكريم، ص: 747.
 - 6/ سورة الكهف، من الآية: 22.

وهذا الذي ذهب إليه عباس رجّحه بعض المفسرين في تفسير الآية "قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم؛ لأنه قال في الثلاثة والخمسة: رجما بالغيب، ولم يقل ذلك في سبعة وثامنهم كلبهم"⁽¹⁾. كما يشير السامرائي إلى أنّ ذلك راجع إلى أنّ "الواو تفيد التوكيد والتّحقيق كما صرّح المفسرون، أي: كأنّها تدلّ على أنّ الذين قالوا إنّ أصحاب الكهف كانوا سبعةً وثامنهم كلبهم هم الذين قالوا القول الصحيح الصواب، ومنهم الرّمخشري. الواو إذن هي واو الحال، ولكنّها أفادت التوكيد والتّحقيق بأنّ هذا القول صحيح؛ لأنّ الواو يُوتى بها إذا تباعد معنى الصفات؛ للدلالة على التّحقيق والاهتمام"⁽²⁾. وهذا ما دلّ عليه السيّاق، وهو الصحيح والمختار⁽³⁾.

في حين أنّ الخطيب يرى أنّه لا حاجة في معرفة عدد الأشخاص أو السنين، فهو يؤكد على أهمية معرفة مضمون القصة ومحتواها، ومعرفة الأثر النفسي الذي تُحدثه هذه القصة، والنظر إلى المعطيات التي تسوقها في مواضع العبرة والعظة. كما يشير إلى أنّ عدم التفات القرآن إلى تحديد العدد والسنين كان درساً عاليّاً في الدّعوة إلى الجدّ، وتحصيل ما ينفع، من غير الوقوف على قشور الأمور وسفسافها⁽⁴⁾. حتّى يعلم الدّعاة تركّ التفاصيل، والانشغال بجوهر القصة وما تحمله من عبرة وأثر إيماني عميق.

• في قصة (ذي القرنين)

يعرض القرآن الكريم لهذه القصة في سورة الكهف، وذلك في خمسة عشر آية، يقول الخطيب عن ذي القرنين إنه: "رجلٌ مؤمنٌ بالله، التقى فيه هذا الإيمان بطبيعة قويّة، تنفي الخبث، وتعافى المنكر من الأمور..."⁽⁵⁾. ولقد اعتمد الخطيب على تفسير الألويسي فيما ذهب إليه، من أنّ ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني، كما يرجّح أنّ سبب هدايته راجع إلى أستاذه أرسطو⁽⁶⁾. ولكنّ الخطيب لا يقطع بأنّ ذا القرنين هو نفسه الإسكندر المقدوني.

1/ ابن جزي الكلبى، التسهيل لعلوم التنزيل، 462/1.

2/ لمسات بيانية، ص: 59.

3/ "واو النّمانيّة ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري ومن التّحويين الضّعفاء كإبن خالويه ومن المفسرين كالتّعلبيّ ورعّموا أنّ العرّب إذا عدوا قالوا سبّعة وسبّعة وثمانية إيداناً بأنّ السبّعة عدد تامّ وأنّ ما بعدها عدد مُستأنف واستندلوا على ذلك بآيات: إحداهما {سيقولون ثلاثه رابعهم كلبهم} إلى قوله سبّعانه {سبّعة وثامنهم كلبهم} وقيل هي في ذلك لعطف جملة على جملة إذ التّقدير هم سبّعة ثمّ قيل الجميع كلامهم وقيل العطف من كلام الله تعالى والمعنى نعم هم سبّعة وثامنهم كلبهم وإنّ هذا تصديق لهذه المقالة كما أنّ {رجما بالغيب} تكذيب لتلك المقالة ويؤيدّه قول ابن عباس رضي الله عنهما حين جاءت الواو انقطعت العدة أي لم يبق عدّة يلتفت إليها". جمال الدين ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص: 474، 475.

4/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 295، 299.

5/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 96.

6/ المصدر نفسه، ص: 97.

بينما يرى عباس أنّ ذا القرنين ليس هو الإسكندر المقدوني، وإنما هو: "أحد ملوك الحميريين الذين كانوا يُعرفون بهذا اللقب"⁽¹⁾. ويترجّح قولُ عباس؛ لأنّ الإسكندر كان وثنيًا، واختلف في تحديد اسمه، وهو أحد ملوك حمير الذي طاف بالشّمال الشرقيّ، وهو الذي بنى مدينة سمرقند. وهو ما أكّده ابن عاشور بقوله: "وأنت إذا تدبرت جميع هذه الأحوال نفيت أن يكون ذو القرنين إسكندر المقدوني؛ لأنّه لم يكن ملكًا صالحًا، بل كان وثنيًا، فلم يكن أهلًا لتلقّي الوحي من الله، وإن كانت له كمالات على الجملة"⁽²⁾. من هذا يتبيّن أنّ ما رجّحه الخطيب بعيدٌ كلّ البعد عن سياق الآية ودلالاتها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾⁽³⁾ يُشيرُ عباس إلى هذه القصة بقوله: "ويظهر أنّ قصة ذي القرنين كانت جوابًا لسؤالٍ وجّه إلى رسول الله -ﷺ- يدلنا على هذا ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ وقوله سبحانه: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أنّ يدلنا على أنّ خبر ذي القرنين مُتعدّد الجوانب، كثيرُ الجزئيات، لكنّ القرآن الكريم أخبرنا بما فيه الغنيّة والكفاية"⁽⁴⁾. بل اقتصر على ما فيه الكفاية لتحقيق الغرض البلاغي والإيماني.

ومن الإيحاءات في قصة ذي القرنين ما تشير إليه الآيات في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَرْبَ

الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْبِ حَمِيَّةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾^(٨٦) قَالَ إِمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ، ثُمَّ نُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾⁽⁵⁾، حيث يقول الخطيب: "فهو في هذه الآيات يُخاطب من الله وحيًا أو إلهامًا، كما أنه في هذه الآية أيضًا يقوم داعيةً لله يدعو إلى الإيمان بالله.. ثم هو مؤمنٌ بالآخرة وبالجزاء الأخروي..."⁽⁶⁾. ممّا يكشف عن تكامل شخصيته كقائدٍ عادلٍ ومؤمنٍ، ملتزمٍ بالحقّ ويدعو إليه بحكمةٍ وبصيرةٍ.

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 750.

2/ التحرير والتنوير، 20/16.

3/ سورة الكهف، الآية: 83.

4/ قصص القرآن الكريم، ص: 750.

5/ سورة الكهف، الأيتان: 86، 87.

6/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 98.

ويردّف الخطيبُ قائلاً: "ومما يدلُّ على إيمانه بالله أيضاً، ما تكرّرَ على لسانه من إضافته إلى ربّه، فيقول: ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾⁽¹⁾، ويقول: ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾⁽²⁾، ويقول: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾⁽³⁾⁽⁴⁾. ولقد اختلفَ المفسّرونَ في اسمه ونسبته إلى بعضِ القبائلِ اختلافاً كثيراً، إذ تكمنُ العبرةُ في مواقفه ومبادئه.

كما يرى الخطيبُ في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيحًا ﴾⁽⁵⁾ "إشارةً إلى أنّ الأسبابَ التي وضعها الله - ﷻ - في يدِ ذي القرنين، وأقامَ نظره وقوله عليها، هي الأسبابُ الصحيحةُ المعزولةُ عن الأسبابِ الفاسدةِ الظّالمةِ، وهذا هو السّرُّ في النّظمِ الذي جاءَ عليه النّظمُ القرآنيُّ، من أفرادِ كلمةٍ (سبب)؛ ليكونَ ذلكَ إشارةً دالّةً على أنّه سببٌ واحدٌ، مُتَخَيَّرٌ بينَ كلِّ الأسبابِ..."⁽⁶⁾. فالإفرادُ هنا يشيرُ إلى أنّ التّمكينَ الإلهيَّ الحقيقيَّ لا يقومُ على تراكمِ الوسائلِ الماديةِ وحدّها، بل على صفائِها واختيارِ الله لها من بينِ كلِّ الأسبابِ.

وعن تنكيرِ السببِ يقولُ الخطيبُ: "وفي تنكيرِ السّببِ، ما يُعني عن وصفه، إذ إنّ هذا التّنكيرَ يحملُ في كيانِه - معَ هذا الأسلوبِ الذي عليه النّظمُ القرآنيُّ- تنويهاً، ورَفَعاً لقرده، واستعلاءً بمكانته..."⁽⁷⁾. وما هو إلاّ اجتنابٌ لهذا الرّجلِ الصّالحِ، إذ إنّهُ أحبُّ اللهُ فأحبّه، وأوحى إليه أو ألهمه، وآتاه من كلّ شيءٍ على ميزانِ الحقِّ والعدلِ، فأثمرَ بإذنِ ربّه ثمرًا طيبًا.

وفي قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُبُ فِي عَيْبٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْنَؤُا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾⁽⁸⁾، إيحاءً بارزٌ "في ذكرِ هؤلاءِ القومِ بصيغةِ التّنكيرِ هكذا: (قومًا)، ومن غيرِ أنْ تُذكرَ صفةً لهم - في هذا إشارةً إلى أنّهم كانوا مُجرّدَ جماعةٍ من النّاسِ، ليس لهم شأنٌ أو وزنٌ في هذه الحياةِ، وأنّهم كانوا على حالٍ ظاهرةٍ من الجهالةِ، وبهذه الجهالةِ لبسوا الكفرَ؛ لأنّ عقولهم القاصرة لم تفتَحْ لهم طريقًا إلى الله"⁽⁹⁾. فكانت دعوتُهُ لهؤلاءِ القومِ لأنّهم كانوا أهلًا لتحمّلِ أعباءِ تلكَ التّكاليفِ، ولأنّ عقولهم تُدعى إلى الإيمانِ باللهِ تعالى، بخلافِ القومِ

1/ سورة الكهف، من الآية: 95.

2/ سورة الكهف، من الآية: 98.

3/ سورة الكهف، من الآية: 98.

4/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 98.

5/ سورة الكهف، من الآية: 84.

6/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 101.

7/ المصدر نفسه، ص: 101.

8/ سورة الكهف، الآية: 86.

9/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 102.

المُشار إليهم في الآية التي سبقتها. حيث يشير النص القرآني إلى أن القوم عند مغرب الشمس كانوا جهلة غير مميزين، مما جعلهم أهلاً لدعوة ذي القرنين إلى الإيمان، بخلاف القوم عند مطلع الشمس الذين كانوا أكثر قوة ووضوحاً في مكانتهم.

كما يرى عباس آته: "لما كانت هذه القصة في سورة الكهف، ثمثُل عنصر الجهاد، حيث جاءت بعدما تحدّثت عن عنصرَي العقيدة والعلم، أقول لما كان الأمر كذلك بين الله سبحانه وتعالى ما مكن ذا القرنين فيه من أسباب العطاء قوة وعدلاً وحكمة ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُهُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَالْحُكْمِ ﴿ فَأَنْعَمْنَا سَبَبًا ﴾ ويسير ذو القرنين، ولم يذكر القرآن الجنود والأتباع الذين كانوا معه، والذي يبدو لي أنهم لم يُذكروا؛ حتّى لا يُظنَّ أن لهم دخلاً فيما أعطاه الله، ومنحه، وليس عدم ذكرهم لعدم وجودهم"⁽¹⁾. بل لإبراز أن ما تحقق من إنجازات لم يكن بفضلهم، وإنما بفضل تمكين الله له وحده، فهي منحة إلهية قائمة على القوة والعدل والحكمة.

• في قصة (موسى - ﷺ - والرجل الصالح)

جرت أحداث هذه القصة بين موسى والعبد الصالح في اتجاه غير معهود بين الناس، فقد حوت القصة كلَّ غريبٍ وعجيبٍ. حيث تبرز أولى هذه الإحياءات في هذه القصة قبل النقاء موسى بالرجل الصالح، وما كان بين موسى وفتاه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ

ء إِنَّا عَدَاءٌ نَا لَقَدْ لَعِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٤﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِنِيهِ

إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٥﴾ (2) فظنَّ موسى - ﷺ - أنها علامة بأن تلك

الصخرة التي فُقد الحوت عندها هي مكانُ التقائه بالعبد الصالح، يقول الخطيب: "وقد تكون هذه الأمانة وخياً تلقاه موسى من ربه، أو رؤياً رآها في منامه. وأمّا وقد فقد الحوت عند تلك الصخرة التي أويا إليها.. فتلك إذن هي الصخرة المقصودة. ولهذا لم يلتفت موسى إلى فتاه، ولا إلى ما كان من نسيان الحوت، بل اتّجه إلى المكان الذي عنده الصخرة، قائلاً: ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا

نَبِّغُ ﴿٦٤﴾ (3)، أي: ذلك هو المقصد الذي كنّا نقصده، والموضع الذي نبحت عنه.. ﴿ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 750.

2/ سورة الكهف، الآية: 62، 63.

3/ سورة الكهف، من الآية: 64.

فَصَصَا ﴿(1)﴾⁽²⁾. حيثُ يُبرزُ هذا المشهدُ عنايةَ الله بأنبيائه وتوجيههم لهم بدقّةٍ، ويُظهرُ ثباتَ موسى

- ﴿﴾ على مقصده ويقينه التامّ باتّباع العلامات الربانيّة دون أيّ تردّد.

ثمّ يعلّقُ الخطيبُ قائلاً: "وأما ما ذهب إليه المفسّرون من مقولاتٍ، فلا يحتملُها النّظمُ القرآنيُّ على أية صورةٍ من صور الاحتمال، فذلك ما رأينا أن نصرف النظرَ عنه، فهو أقربُ إلى الأساطير والخرافات منه إلى أيّ شيءٍ آخر" ⁽³⁾. لأنّ هذه الروايات لا يعضدُها النّصّ القرآني. في إشارةٍ إلى التزام الخطيبِ بسلامة النّصّ، وعدم الانجرار وراء الروايات الضعيفة.

أمّا فضل عباس فقد تحدّث عن بعض الإحياء التي جاءت في سياق قصة موسى مع العبدِ الصالح، ومن أولى الإشارات في قول موسى لفته: ﴿لَا أَبْرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ

أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ⁽⁴⁾ حيثُ يقولُ عباس: "وأولُ ما نلاحظُه في هذه القصة هذا الأدبُ الجمّ، حيثُ لم

يذكر القرآن الكريم اسمَ العبدِ أو الخادم، أو صفةَ العبدِ، أو الخادم" ⁽⁵⁾. إذ يُوحى استخدام موسى

لصيغة الجمع ﴿ءَإِنَّا عَدَاءَنَا﴾ ⁽⁶⁾ بروح المشاركة والمساواة، بعيداً عن التكبّر أو الاستعلاء. وما

هذا إلا خُلُقٌ من أخلاق الأنبياء - ﴿﴾.

وفي قول موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ ⁽⁷⁾ إحياءً يتبدّى في حذفِ الياء، يقولُ عباس: "حتى إنّ

الياء حُذفت من الفعل اختصاراً؛ لثُصورِ لنا ما يُريده موسى - ﴿﴾ - من العجلة في السّير، ثمّ تأتي

هذه الفاء لتكتمل هذه الصورة ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ ⁽⁸⁾ أي عاداً من حيثُ أتيا وهذا ما تدلُّ

عليه كلمة قصص، ومنه قصّ الأثر، ويجدُ موسى - ﴿﴾ - هناك بُغيته. وما أجملَ هذه الفاء في

موقعها ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ ⁽⁹⁾ وهم كُنُزٌ، وليسَ هذا إلا واحداً منهم، أكرمناه كرامتين:

1/ سورة الكهف، من الآية: 64.

2/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 125.

3/ المصدر نفسه، ص: 125.

4/ سورة الكهف، من الآية: 60.

5/ قصص القرآن الكريم، ص: 607.

6/ سورة الكهف، الآية: 60.

7/ سورة الكهف، من الآية: 64.

8/ سورة الكهف، من الآية: 64.

9/ سورة الكهف، من الآية: 65.

الرَّحْمَةُ أَوْلَى، والعلم ثانياً⁽¹⁾. حيثُ جيءَ بالفاء لتصوير سرعة تحرك موسى، ولتتابع الأحداث بشكلٍ حيٍّ، كما يبين تمييز العبد المختار بكرامتي الرحمة والعلم، في دقة تعبيرٍ وعمق المعنى الإلهي.

ثم بعد ذلك يكون اللقاء الأول بين الرجلين: موسى والعبد الصالح، حيثُ "يقول المفسرون والمحدثون عن هذا العبد الصالح: إنَّه (الخضر) الذي يصفونه بصفاتٍ عجيبة، هي من بعض واردات ما تُشير إليه الآيات، والتي يبدو فيها أستاذًا كبيرًا، يُعلِّم نبيًا من أنبياء الله"⁽²⁾. وهذه إشارةٌ إلهيةٌ وتربيةٌ ربانيةٌ لنبيه موسى على يد رجلٍ صالحٍ. فكان من نبيِّ الله موسى أن عرضَ على صاحبه "بأن يتعلَّم من علمه، ويغترف من بحرهِ، وذلك في تواضعٍ كريمٍ، وأدبٍ نبويٍّ عظيمٍ، فيقول: ﴿ هَلْ أَتَعَبَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾⁽³⁾⁽⁴⁾. حيثُ تُشير الآيةُ إلى أدبٍ وتلطُّفٍ موسى في طلبهِ الإفادة من علوم صاحبه التي تهدي إلى الحقِّ، وتتبع أثره الذي يقود إلى الرِّشادِ، وأن تكونَ غايتهُ الصحبةُ التي تُنقذُ من الضلالِ والفسادِ.

ولقد أشارت الآيةُ الكريمةُ في قوله تعالى: ﴿ ءَأَيُّتَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾⁽⁵⁾ إلى أنَّ الرجلَ الصالحَ كانَ أحدَ الأنبياءِ، حيثُ يقولُ عباس: "وهذا يجعلني أرجحُ بلُّ أوكدُ لأسبابٍ كثيرةٍ غيرَ الذي أذكره الآن، أنَّ الرجلَ كانَ نبيًّا"⁽⁶⁾. وهذا بخلاف ما ذهب إليه الخطيبُ من أنَّه رجلٌ صالحٌ وليس نبويًّا. وهذا الاختلاف يُظهرُ تباينَ التفسيرات، حيثُ يميلُ عباس إلى رفع مقام الرجل إلى مرتبة النبوة، بينما يحافظُ الخطيبُ على الفهم التقليدي الذي يُميِّز بين النبي والعبد الصالح. إذ تُعدُّ من المسائلِ الخلافيةِ التي لم يُحسم فيها الخلافُ.

وفي أولى رحلاتِ موسى مع صاحبه في رحابِ العلم، حيثُ كانت على ظهر السفينة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَنْظَلْنَا حَقًّا إِذَا رَكِبَهَا فِي الْسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾⁽⁷⁾، يتعجبُ موسى من صنيعه "فيصرخُ

في وجهِ أستاذه قائلاً: ﴿ أَخْرَقْنَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾⁽⁸⁾ فما هكذا يعملُ العقلاء..."⁽⁹⁾.

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 608.

2/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 126.

3/ سورة الكهف، من الآية: 66.

4/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 127.

5/ سورة الكهف، من الآية: 65.

6/ قصص القرآن الكريم، ص: 608.

7/ سورة الكهف، من الآية: 71.

8/ سورة الكهف، من الآية: 71.

9/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 129.

حيث يُصورُ هذا المشهدُ اندفاعَ موسى الفطريِّ نحو الحقِّ والعدل، إذ لم يتحمَّل ظاهرةَ الإفساد، فبادرَ بالإنكار بشدَّةٍ. كما يُشيرُ إلى أنَّ طلبَ العلمِ يحتاجُ صبرًا وأناةً؛ لأنَّ بعضَ الأفعالِ قد تحملُ حكمةً خفيَّةً لا يدركها النَّظَرُ السَّطحي.

يقولُ الخطيبُ: "ويتلقَّى العبدُ الصالحُ هذه الثَّورةَ المتوقَّعةَ من موسى، في رفقٍ ولطفٍ؛ لأنَّه يعلمُ هذا المدى البعيدَ بينَ الطَّرفين: الطَّرفَ الذي يسيِّرُ عليه، والطَّرفَ الذي يسيِّرُ عليه تلميذُه، فلا يزيدُ على أن يقولَ له: ﴿الْمَأْقُلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾⁽¹⁾ (2). ومن خلالِ ما مرَّ بموسى -

مع الرِّجلِ الصالحِ يبرُّ إحياءً بأنَّ موسى كانَ سريعَ الغضبِ، وذلك في خطواته الثلاثِ مع

العبدِ الصالحِ، وهذا ما نلحظُه في قولِ الخضرِ لموسى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنَّ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ

عَلَيْهِ صَبْرًا﴾⁽³⁾، وما ذلك إلا بسببِ إيمانِ العبدِ الصالحِ، وسرعةِ غضبِ موسى، حيثُ تتجلى في

عدَّةِ مواضعٍ من كتابِ الله، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَعْتَبُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ

فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾⁽⁴⁾، حيثُ لم يسأله موسى عن سببِ هذه الإستغاثة، فمن أجلِ هذا كانَ

موسى سريعَ الغضبِ.

والنَّاطِرُ في حالِ العبدِ الصالحِ مع موسى - ﷺ -، يرى ذلكَ الإيمانَ الذي يقلبُ تلكَ

المُستحيلاتِ إلى مُمكناتٍ، والمُمكناتِ إلى مُستحيلاتٍ. في هذا يشيرُ الخطيبُ إلى أنَّ في كلمة

(تأويل) "إشارةً إلى أنَّ هذه الأحداثُ - كما بدتُ في ظاهرها - لا تعدو أن تكونَ أشبهَ بالأحلامِ

التي لها مفهومٌ يغيِّرُ منطوقها في صورتها، وأنَّ هذا المفهومَ لا يعلمُه إلا الله والرَّاسخونَ في

العلمِ؛ وذلك لتأويلِ (يوسف) لرؤيا الملكِ التي عجزَ العلماءُ عن تأويلها، وقالوا: ﴿أَضَعْتُ أَحْلَمَ

وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾⁽⁵⁾. فالأحداثُ التي أجراها العبدُ الصالحُ بينَ يدي موسى أشبهُ بهذه

الرؤى، وإنَّ كانتُ أبعدَ منها في المفارقةَ بينَ منطوقها ومفهومها⁽⁶⁾. لقد كانَ ما جرى مع يوسفَ

تحقيقًا لتأويلِ رؤياه وتدبيرًا ربَّانيًّا أرادَ الله به ابتلاءه، وجعل منه وسيلةً لخلاصه من السجن،

1/ سورة الكهف، من الآية: 72.

2/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 129.

3/ سورة الكهف، من الآية: 82.

4/ سورة القصص، من الآية: 15.

5/ سورة يوسف، من الآية: 44.

6/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 134.

بفضل ما آتاه الله من علم تأويل الرؤى. أما ما وقع مع موسى والعبد الصالح، فقد كان مُشاهدًا بوضوح أمام موسى -ﷺ-، غير أنه كان يعترض في كلِّ مرّةٍ من المرّات الثلاثِ على ما فعله صاحبه؛ لأنه لم يكن مُطلّعا على تأويل تلك الوقائع وحكمتها الخفية.

وعن اعتراض موسى على الخضر وإنكاره عليه في قوله له: ﴿ أَفَلَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾⁽¹⁾ يقول عباس: "ولئن قال من قبل: (إمرا)، فإنه يقول هنا: (نكرا)، والكلمات القرآنية موحيةٌ مُعبّرةٌ، وإذا كانت كلمات موسى -ﷺ- يظهر فيها الإنكار أكثر من قبل، فإن كلمات العبد الصالح يظهر منها أكثر مما كان منه من قبل"⁽²⁾. ولقد كان هذا تعبيرًا صارخًا من موسى -ﷺ-؛ بسبب ما أصابه من الذُّهول، والصدمة لما شاهده من خرقٍ للسّيفينة دون سببٍ، ومن قتلٍ للنفس بغير وجهٍ حقّ.

كما تلوح في قوله تعالى: ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾⁽³⁾ إشارةً "تُشعرُ بأنَّ العبد الصالح نفسه لا يرى الأمر أكثر من مُجرّد احتمالٍ غير مُتيقنٍ .. إنّه مُجرّد خشيةٍ .. والخشية قد تقع، وقد لا تقع. ولكن يقوم بين يدي موسى شاهدٌ يدفع هذه الوسوس، ويذهب بتلك الشكوك"⁽⁴⁾. حيث أوحى كلمة (فخشينا) أنّ العبد الصالح تصرّف بناءً على احتمالٍ مدعومٍ بعلمٍ ربانيّ، وقد أقام الله الدليلَ أمام موسى؛ لإزالة أيّ شكوكٍ، ولتوضيح الحكمة من فعله.

ثم يُردف الخطيبُ قائلاً: "فإذا كان قد وقع في نفس موسى شيءٌ من هذا التّأويل لمقتلِ الغلام، فإنَّ في نفس موسى أيضًا كثيرًا من قوى الإيمان التي تدفع هذه الشكوك التي ساورتها، فلم تضعه أمه في تابوتٍ بعد مولده، وتلقى به اليمّ، ويكون في هذا نجاة من الموت على يد جنود فرعون، ثم يُربى في بيت فرعون، ويعود إلى حُضنِ أمّه"⁽⁵⁾. ففعلت أم موسى ما أمرت به بإيمانٍ صادقٍ، فكان لها ما وعدت به.

وفي هذا إشارةً على قوّة إيمان أم موسى -ﷺ-؛ لأنّها لما خافت على ابنها من فرعون ألقت به في اليمّ، على الرُّغم من أنّه كان من الأولى لها أن تخفيه عن فرعون وجنوده، أو أن تضعه

1/ سورة الكهف، من الآية: 74.

2/ قصص القرآن الكريم، ص: 611.

3/ سورة الكهف، من الآية: 80.

4/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 135 - 137.

5/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 136، 137.

تحت السرير، أو فوق السطح مثلاً! لكنه إحياء الله إليها بقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فِإِذَا

خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾⁽¹⁾.

فهذه الآية تُوحى بأن تدبير الله قد يكسو في ظاهره ثوبَ الخوف والفقد، لكنه في حقيقته رحمةً واصطفاءً، ووعدٌ بالعودة والأمان.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾⁽²⁾ إشارة

أن " هذا الغلام هو بلاءٌ على نفسه، وأنه نبتةٌ سوءٍ، لو تُرَكَت حتى تَبْلُغَ مداها، لأوردت صاحبها مواردَ الهالكين، فكان موته في هذه المرحلة من عمره رحمةً به، إذ عاجله الموت قبل أن يبلغ مبلغَ التكليف، وقبل أن يأتي ما كان يمكن أن يأتي به من آثامٍ.. فالخشية هنا، خشيةٌ منه، كما أنها خشيةٌ عليه"⁽³⁾. فما كان من الله إلا أن أخلف أبويه من بعده بولدٍ صالحٍ، وذريةٍ طيبةٍ.

وفي شأن الحال التي مرَّ بها موسى مع الرجلِ الصالح، يشيرُ الخطيبُ إلى أنه قائمٌ على أساسِ الرَّحمةِ، وهذا الإحياء المرتبطُ بالرَّحمةِ بارزٌ في الأحداثِ الثلاثِ بينهما: "فخرقُ السفينةِ كان - كما آل إليه الأمرُ - رحمةً بأصحابها. وقتلُ الغلامِ كان - كما آل إليه الأمرُ - رحمةً به، وبأبويه، ورحمةً بالناس. وإقامةُ الجدار، كان - كما آل إليه أمرُه - رحمةً بالغلامين اليتيمين! إنَّ أمرَ الله، وقضائه في خلقه، حيثُ كان، وعلى آيةِ صورةٍ وقع، هو رحمةٌ من ربِّ رحيمٍ! وهذا ما يشيرُ إليه قوله سبحانه: ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾⁽⁴⁾"⁽⁵⁾. حيثُ تناسبُ هذه الرَّحمةُ فيضًا عظيمًا، مدفوعًا بتقديرِ إلهيٍّ مُحكمٍ ومُسَخَّرٍ بدقةٍ. وهنا يمتزجُ ظاهرُ الابتلاءِ بباطنِ اللطف؛ ليهتديَ الإنسانُ إلى إدراكِ حكمةِ الله في تدبيرِ شؤونِ الخلق.

وبالنظرِ إلى الاستعمالِ القرآني للفظِ الإستِطاعةِ، يُلاحظُ أنَّ هناك فرقًا كبيرًا بين قوله تعالى:

﴿ تَسْتَطِيعُ ﴾⁽⁶⁾، وقوله: ﴿ تَسَطَّعَ ﴾⁽⁷⁾، يقولُ الخطيبُ: "فكلمة (تَسْتَطِيعُ) فيها شدةٌ وقسوةٌ،

ومُصارحةٌ مكشوفةٌ بالعجزِ عن الإستِطاعةِ.. وقد قالها العبدُ الصالحُ هكذا صريحةً مكشوفةً في أول لقاءٍ بينه وبين موسى، ليقطعَ بها الرحلةَ مع تلميذه، وليريه أنَّ الطريقَ شاقٌّ، والمسالكُ

1/ سورة القصص، الآية: 7.

2/ سورة الكهف، الآية: 80.

3/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 137.

4/ سورة الأعراف، من الآية: 156.

5/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 141.

6/ سورة الكهف، من الآية: 78.

7/ سورة الكهف، الآية: 80.

مُتَعَبَةً⁽¹⁾. في إشارةٍ إلى عجز موسى عن الصَّبْر، وهو أسلوبٌ مُتَعَمِّدٌ من العبدِ الصالح؛ لِيُمهِّدَ لموسى إدراكَ صعوبةِ الطريقِ ومشقةِ التعلُّمِ، وأنَّ العقباتِ تتطلَّبُ صبرًا وجهدًا.

ويُردفُ الخطيبُ قائلاً: "ولكن حينَ جلسَ العبدُ الصالحُ مع تلميذه مجلسَ المُعلِّمِ الذي يكشفُ لتلميذه معالمَ الطَّريقِ المُظلمِ أو المُشرقِ، الذي كانَ يطوفُ به فيه، جاءه بهذه الكلمةِ (تسَطَّعَ)، وقد اقتطَّعَ منها هذا المقطعُ الحادُّ، وهو حرفُ التَّاءِ، فإذا هي كلمةٌ وديعةٌ رقيقةٌ، فيها هروبٌ منَ المواجهةِ الصريحةِ المُتحدِّيةِ، وعليها مسحةٌ منَ الحياءِ والخَفَرِ"⁽²⁾. حيثُ انتهى اللقَاءُ بينَ موسى والرَّجلِ الصالحِ بكلماتٍ يغمُرُها الأدبُ، وتحملُ في طياتها إشارةً رقيقةً إلى انتهاءِ الصلةِ بينَ الشَّيخِ وتلميذه، في أسلوبٍ يجمعُ بينَ جمالِ التَّعبيرِ ولُطفِ المُعاملةِ.

ومن بديعِ الإيحاءاتِ ما وردَ في قولِ الرَّجلِ الصالحِ: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿فَأَرَدْنَا

أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾⁽⁵⁾، ففي شأنها يقولُ الخطيبُ: "وفي هذا التَّنْقُلِ منَ إرادتهِ إلى إرادةِ الله تعالى إشارةٌ إلى أنَ مردَّ الأمورِ كُلِّها إلى الله سبحانه، وأنَّه وإن كانَ للعبدِ إرادةٌ، فهي داخلةٌ في إرادةِ الله، جاريةٌ على ما تقضي به، كما أنَّه لا يُنكرُ أنَ يكونَ للعبدِ إرادةٌ، وإن كانت إرادةُ الله تعالى قائمةً على كلِّ إرادةٍ. هذا وجهٌ من وجوهِ النَّظَرِ في هذا الاختلافِ الذي جاء عليه النَّظْمُ القرآنيُّ لحديثِ العبدِ الصالحِ عن نفسه"⁽⁶⁾. فقد تكونُ إرادةُ الإنسانِ خاضعةً لإرادةِ الله، وقد تأتي الإرادةُ الإلهيَّةُ مستقلةً بذاتها، كما تتحرَّكُ الإرادةُ البشريَّةُ في نطاقِ التَّبعيةِ والموافقةِ لإرادةِ الله تعالى.

وفي قولِ الله تعالى على لسانِ الرَّجلِ الصالحِ عن السفينةِ: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾⁽⁷⁾ يقولُ

عباس: "ويبينُ له حكمةَ ذلك؛ لأنَّ هناكَ ملكًا ظالمًا كان يستولي على السفنِ الصالحةِ، فكيف إذا كانَ أصحابُها منَ المساكينِ الذين لا سندَ لهم، ويظهرُ أنَّ المَلِكِ لا يأخذُ إلاَّ السفنَ الصالحةَ، وهذا يُفهمُ من الآيةِ الكريمةِ ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾⁽⁸⁾. وهي إشارةٌ إلى أنَ إحداثِ العيبِ في السفينةِ كان

1/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 142.

2/ المصدر نفسه، ص: 142.

3/ سورة الكهف، من الآية: 79.

4/ سورة الكهف، من الآية: 81.

5/ سورة الكهف، من الآية: 82.

6/ القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، ص: 145.

7/ سورة الكهف، من الآية: 79.

8/ قصص القرآن الكريم، ص: 612.

تدبيراً رحيماً بهما؛ لحمايتهما من اغتصاب الملك الظالم لها. حيث يظهر في لفظ (أعبيها) دقّة التعبير القرآني، إذ هو إصلاح متقن في صورة عيب، حمايةً للمساكين وأملاكهم.

ثم يُضيف عباس قائلًا: "وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين، وكان حبه قد استولى على قلبيهما، ولكنه طبع على الكفر، وقد يرهق أبويه؛ بسبب حبهما له طغياناً وكفرًا، فأراد ربك الذي وسعت رحمته كل شيء أن يبدلها ولدًا آخر، هو أكثر طهارةً، وأكثر رحمةً بهما، وبقي أمر الجدار، فهو لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحًا، ولئن وقع الجدار فسبيد الكنز، لكن صلاح الآباء فيه خير للأبناء"⁽¹⁾. حيث توجي هذه المشاهد أن أقدار الله قد تأتي في صورة ابتلاء أو خسارة، لكنها تحمل في عمقها رحمةً وحمايةً، كما تُوحى بأن صلاح المرء يمتد أثره إلى ذريته، فيحفظهم الله ببركة إيمانه وتقواه حتى بعد مماته.

ولم يكن تأويل هذه الأحداث كلها من الرجل الصالح إلا وحياً أوحاه الله إليه، أو إلهاماً ربانيًا، ولم يكن له اجتهاد فيه، بدليل قوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾⁽²⁾. إذ إن الحكمة فيها تتجاوز حدود العقل البشري إلى علم الله ورحمته التي وسعت كل شيء.

كما نبه عباس إلى تلك الدلالات والإيحاءات التي جاءت في قول الرجل الصالح: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَمِيبَهَا﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾⁽⁵⁾ ثم يتساءل عن سبب نسبة الإرادة لنفسه بقوله: "كيف أسند الإرادة إلى نفسه أو لا لأن فيها عيبًا، ولا يريد أن تُسند الإرادة إلى الله، وكيف أسند الضمير فيما بعد ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾ لأن العبد الصالح له دور في هذا الأمر، وهو القتل، وكيف أسند الإرادة إلى الله وحده؛ لأن بلوغ الأشد أمر بيد الله وحده"⁽⁶⁾. وهنا يلفت عباس الانتباه إلى الدقة البالغة في نسب الإرادة في كلام العبد الصالح، إذ نسب العيب في السفينة لنفسه تواضعًا وأدبًا، بينما نسب إرادة الخير في استبدال الغلام إلى صيغة الجمع (فأردنا)، وهي إشارة إلى مشاركة التدبير الإلهي، ثم خص الله وحده بنسبة بلوغ الأشد في قوله: (فأراد ربك) لأنه أمر لا يملكه إلا الله. وهذا التدرج في النسبة يبرز أدب الخطاب، ودقّة التعبير القرآني في بيان مراتب الأفعال.

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 612.

2/ سورة الكهف، من الآية: 82.

3/ سورة الكهف، من الآية: 79.

4/ سورة الكهف، من الآية: 81.

5/ سورة الكهف، من الآية: 82.

6/ قصص القرآن الكريم، ص: 613.

وفي ختام الحديث عن هذه القصة يقول عباس واصفًا حال موسى مع العبد الصالح بأنه كانت: "تظهر فيه ملامح هذه الحدة ظاهرة جليّة، وإلى جانب هذه الشدة كانت القوة، القوة على التغلب على الأحداث، والقوة في التحمل"⁽¹⁾. بخاصة أنه كان مع نبيّ مُرسَلٍ، فهذه الصفات كان لابدّ منها لكلّ نبيّ، لا سيّما وأنّه من أولي العزم من الرُّسل - ﷺ -.

كما أشار الخطيب في ختام حديثه عن هذه القصة إلى المنهج الذي سار عليه في تناوله لبعض مواقف هذه القصص بقوله: "ذلك المنهج الذي يقوم على احترام النصّ القرآنيّ، والتزام دلالته، دون الترخّص في قبول ما لا يُعطيه منطوق النصّ أو مفهومه، فإنّ ذلك مع ما فيه من رعاية لقدسيّة القرآن الواجبة له - فيه أيضًا حمايةً للحقائق التي حملها القصص القرآنيّ من أن تُضيع وتطمس معالمها، في زحمة الغرائب والأساطير الزاحفة عليها من كلّ صوب، وبهذا تظلّ حقائق هذا القصص قائمةً في الحياة، مُهيمنةً على ما ينكشف للعلم منها.. حيث يُنظر إلى حقائق العلم من خلالها، ولا يُنظر إليها من خلال حقائق العلم"⁽²⁾. بهذا يكون الخطيب قد رسم لنفسه ولمن بعده منهجًا واضحًا لفهم القصص القرآنيّ، يقوم على الالتزام بضوابط تمنع الانحراف عن دلالات النصّ، وتجنّب التفسيرات أو الروايات غير الموثوقة، مع التأكيد على أنّ قدسيّة القرآن الكريم مُقدّمة على أيّ اجتهادٍ، وأنّه لا يُلتفتُ إلى ما لا يُقرّره نصّه صراحةً أو ضمناً.

في حين يُؤكّد عباس قائلًا: "إنّ في القصة دقائق كثيرة، في البيان والعقيدة والفقه والأخلاق، فإذا أردت المزيد فإني أرشدك إلى ما كتبه الشهاب الألوسي رحمه الله تعالى في تفسيره البديع الذي أسأل الله أن يجزيه عنه خيرًا - روح المعاني - فارجع إليه تجد خيرًا كثيرًا"⁽³⁾. حيث يشير إلى أنّ القصة لا تزال حافلةً بجوانب عميقة ومعانٍ خفيّة، تحمل بين أحداثها حكمًا ربّانيّةً ودروسًا تربويّةً وإشاراتٍ بلاغيّةً، لا يدركها القارئ إلا بالتأمّل والتدبّر.

1/ قصص القرآن الكريم، ص: 618.

2/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 395.

3/ قصص القرآن الكريم، ص: 613.

الفصلُ الرَّابِعُ

الأحوالُ السُّلوكيَّةُ والحضاريَّةُ

قِصَّةُ ابْنِي آدَمَ

قِصَّةُ طَالُوتَ وَجَالُوتَ

قِصَّةُ الْمُنْسلِخِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

قِصَّةُ صَاحِبِ الْجَنِّينِ

قِصَّةُ السَّامِرِيِّ

قِصَّةُ قَارُونَ

قِصَّةُ لَقْمَانَ

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ

الفصل الرابع

الأحوال السلوكية والحضارية

تنوّعت أساليب القرآن الكريم في تبليغ رسالته إلى الناس كافةً، مُستخدماً عناصر التشويق وجوانب العبرة والاتعاض بأسلوب لا يدع مجالاً للشكّ. وقد تميّز القصص القرآني بما يعرضه من أحوال سلوكية وحضارية فريدة، حيث أشار إليها القرآن في مواضع متعدّدة، وهي انعكاس طبيعي لتصرفات الإنسان وفق طبيعته البشرية في شتى مظاهرها، فالقصص القرآني يرسم صورة واقعية أو تصويراً حقيقياً للحياة، سواء طال عرض القصة أو قصر؛ ليظهر أنّ سلوك الإنسان وحضارته لا ينفصلان عن هذه الحقائق. والمُتأمل في هذه القصص يرى أنّها مرآة لحالة الإنسان السلوكية والحضارية، بخلاف القصص البشري الذي يدور خارج إطار الوحي، فهو إنّما يكون في اختيارين هما: الصلاح والفساد، وما ينطوي تحتها من أفعال تقود صاحبها إمّا إلى شقاء وإمّا إلى سعادة في الدارين.

فالقرآن يصف الحضارات السالفة بأسلوب يحمل العبر والدروس، ويحث الإنسان على اتباع سلوك رشيد وبناء حضارة حديثة، تستند إلى مؤشرات صحيحة مُستقاة من تلك الحضارات الماضية، فيأخذ منها ما يتوافق مع مبادئه وقيمه، ليؤكد بذلك قدرته على الصمود والتفوق أمام الحضارات الأخرى، رغم اختلاف أصولها ومذاهبها. وتتميّز هذه القصص بارتباطها بحوادث قديمة، كما أنّها أصدق القصص لما لها من تأثير عميق في القلوب والسلوك والأخلاق والحضارة. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁽¹⁾، وقال سبحانه:

﴿فَأَقْصصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽²⁾.

لذا كانت تلك القصص القرآنية شاخصة أمام العيان، حاملة في طياتها كل جوانب السلوك الإنساني، حيث لا غنى عنها في بناء الإنسان ومجتمعه جسداً وروحاً، فالقرآن يبرز تأثير القصص على القلوب، فهي وسيلة فعالة لتقويم السلوك وبناء الحضارة من منظور إسلامي. ومن ثمّ فإنّ هذه القصص القصيرة "إنّما جاءت تعرض بعض أنواع السلوك التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة"⁽³⁾؛ لتكون عبرة وتذكراً وتنبهها للمؤمنين. وكلّما تأملنا هذه القصص تجلّت أمامنا صور من تلك الدلالات، وبرزت لنا عديد الإشارات.

1/ سورة يوسف، من الآية: 111.

2/ سورة الأعراف، من الآية: 176.

3/ فضل عباس، القصص القرآني إحاؤه ونفحاته، ص: 411.

وعلى الرغم من كونها قصصاً قصيرة حيث لا تتعدى سورة من قصار السور إلا أنها تُشعُّ بالهداية، وتُحقِّق مقصدها من الاعتبار بتلك الصورة المُكتنزة في الحدث المذكور بها.

لذا كانت القصص القرآنية وستظلُّ دليلاً قوياً على صدق نبوة سيِّدنا محمد -ﷺ-، إذ تشير بوضوح إلى أنها من عند الله تعالى. فقد استنبط منها عبرٌ وعضاتٌ للمتأملين من عباد الله. فالقرآن يُصوِّر لنا هذه الأحداث التي جرت في العصور الغابرة بمشاهدة حيَّةٍ تُلهِمُ القارئ والسامع بما جرى من وقائع. وعلى الرغم من عدم سرد كلِّ تفاصيل القصة، إلا أنَّ براعة النظم وجزالة الوصف في القرآن تجعل المتأمل كأنه يشاهد أحداثها مُتقلِّداً بين مشاهدها، ويعيش داخل حلقاتها، دون أن يشعر بالملل أو الضيق، ودون أن يُشبتَّ انتباهه بألفاظٍ غريبةٍ أو أوصافٍ دخيلةٍ.

• قِصَّةُ ابْنِي آدَمَ -ﷺ-

كان الصِّراع الذي دار بين الأخوين من بني آدم -ﷺ- في هذه القصة "وهو صراعٌ لم تُقم له داعيةٌ أكثر من داعية الطبيعة البشرية.. حيث كان هذان الأخوان والأرض كلها ملكاً، يذهبان فيها كلٌّ مذهب، ويأخذان منها ما يشاءان، وأكثر مما يشاءان، دون أن يقف دونهما حائلٌ، أو يردِّهما راداً!. فلماذا يختصمان؟ وعلام يتصارعان؟ وفيم يبغى أحدهما على الآخر؟ إنها الأثرة وحبُّ الذات، وإشباع رغبة التسلُّط والعدوان"⁽¹⁾. فكانت نتيجة إغواء الشيطان له، وإشباع تلك الغرائز العدوانية أن أقدم القاتل على فعله لم يسبقه إليها أحدٌ، فكان أول قاتلٍ في الإنسانية جمعاء، يتحمَّل أوزار كلِّ قتلٍ بعده إلى يوم القيامة.

وهنا يذكر الخطيبُ أولى إشارات هذه القصة، كما في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ

آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ

الْمُنْقِيَاتِ ﴿إلى قوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَلِّقُ

أَعْجَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿⁽²⁾ حيث أعرض القرآن

عن ذكر سبب اختلافهما الذي من أجله قُربا قُربانهما، يقول الخطيب: "فلا تذكر - الآيات - من هما ابنا آدم هذان، ولا فيم كان سبب اختلافهما، الذي من أجله قُربا قُرباناً إلى الله، فتلك أمورٌ ضرب القرآن صفحاً عنها، إذ لا مُتعلِّق بها، ولا غرض من وراء ذكرها"⁽³⁾، حيث أُبهم ذكره في

1/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منظوقه ومفهومه، ص: 218.

2/ سورة المائدة، الآيات: 27 - 31.

3/ القصص القرآني في منظوقه ومفهومه، ص: 218.

كتاب الله، وذلك شأن القرآن في بعض آياته، فهو لا يشير إلى مثل تلك التفاصيل؛ لأجل أن تذهب النفس فيه كل مذهب، فهو يسوق هذه القصص وتلك الآيات لأجل العبرة والعظة، تبصرة لعباده المتقين، وإنذاراً لعباده المستكبرين العاصين.

فبعد أن أقدّم الأخ على قتل أخيه، وارتكب الجريمة النكراء، فإذا قواه تخور وتضعف أمام منظر جسد أخيه الممزج بالدماء، وصف القرآن حال القاتل بقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ

فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيَّلِحْ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَ

أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿١﴾، حيث وقف الخطيب على مدلول الألفاظ فيقول: "فلا نفترض أن

هذا الغراب قتل غراباً، ثم حفر له حفرةً واره فيها - كما تكاد تُجمع على ذلك كل التفسير - حتى يكون ذلك مثلاً ماثلاً يتأسى به القاتل، فيواري جسد أخيه كما فعل الغراب.. لا نفترض هذا. فال معروف عن الغربان أنها لا تُواري قتلاها أو موتاها التراب.. وليس هناك من ضرورة تُحوج إلى هذا الفرض، بل يكفي أن يبحث الغراب الأرض برجليه، وأن ينبش وجهها بأظفاره ليواري شيئاً وقع في فمه، كما هي تلك عادته، أو يحفر حفرةً لنفسه يستريح فيها، ويسكن إليها.. وتكفي هذه الإشارة أن تفتح عيني هذا القاتل على قبر يُواري فيه الجسد، ويفرغ منه" (2). لأنه في صدمة مما جرى، حيث أصابه الخوف مما فعل، وانتابته الحسرة والندم على ما قدمت يداه، لا سيما وأنه طعن أخاه، ومزق أحشاه، فهاله ذلك المنظر. فالقرآن يُصوّر هذا بقوله: ﴿فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ

أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣﴾، أي أنه بعد أخذ وردٍ، وإقبال وإدبارٍ على فعلته، فأغواه

الشيطان، فطمس من قلبه كل شفقة ورحمة بأخيه الذي هو من لحمه ودمه، فأقدم على قتل أخيه متجرداً من إنسانيته، لكنه سرعان ما عطف على يديه من شدة الندم، وأدرك أنه قضى على رفيق دربه في الحياة، فأصبح وحيداً يعيش حالة الندم طوال حياته.

ثم يبيّن الخطيب أن السبب في ذلك هو الحسد، حيث يقول: "والحسد هو العلة المتمكنة القاتلة في بني إسرائيل.. لا يرون أحداً تلبسه نعمة من نعم الله، حتى يطير صوابهم، وتطيش أحلامهم، فيضربون رؤسهم حتى تدمى، أسفاً وحزناً، أن ينال أحدٌ غيرهم خيراً.. وما جرى بين ابني آدم من هذا الصراع الدامي ما هو إلا شرارة من شرارات الحسد، اندلعت في صدر أحد

1/ سورة المائدة، الآيات: 27 - 31.

2/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 223.

3/ سورة المائدة، الآية 30.

الأخوين، ثم لم تلبث أن شبَّ ضرامها.. فكانت فتنةً، وكان دمٌ، وكانت خطيئةً، وكان هلاكٌ⁽¹⁾.
وحدثت الجريمة التي غيرت وجه التاريخ.

ونجدُ فضل عباس يشيرُ إلى التعقيبِ على نبيِّ ابني آدمَ بأنه جاء في نسقِ قرآنيِّ عجيبٍ،
وذلك بقوله: "الحديث عن ابني آدم - ﷺ - إذن جاء في مكانه الذي هو أَلصقُ به وأولى، ذلكم لأنَّ
حديثَ القرآن الكريم عن ابني آدم - ﷺ - مُتسقٌ تمامًا مع طبيعة اليهود، وكفرهم بالإسلام، وهمهم
بقتل النبي - ﷺ - كما أشارت إليه الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ

قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾.

فقد ذكرت الآية الكريمة مقدمة عن بني إسرائيل، إذ الآية التي بعدها مباشرة ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ

اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾⁽³⁾ لهذا كان ذكر نبيِّ ابني آدم منسجمًا كلَّ الانسجام مع سياق

الآيات⁽⁴⁾. حيثُ أشار عباس إلى تماسكِ السياقِ القرآني، فانتقل من ذكر اليهود وما أثاروه من
ادعاءاتٍ، إلى الحديث عن موسى - ﷺ - وأمره لهم بدخولِ الأرضِ المُقدَّسة، ثم أعقب ذلك بذكر
قصة نبيِّ ابني آدم وما جرى بينهما. والمتأملُ في قصتي اليهود مع موسى، ونبيِّ ابني آدم، لا يلمسُ
رابطًا ظاهريًّا يربطهما، إذ تبدو قصة موسى مع قومه وكأنها تسيرُ في خطِّ موازٍ لقصة ابني آدم،
وما أشار إليه فضل عباس لا يعدو أن يكونَ ومضةً إيحائيةً مُستلهمَةً من دلالاتِ القصةِ الثانية.

ولقد جاءت قصة ابني آدم في هذا الموضع من السورة منسجمةً مع ما قبلها، وليست
مُنفصلةً عنها كما يُظنُّ، فهي تعرض نموذجًا من الانحرافِ الأخلاقيِّ الذي يُشبه ما فعله بنو
إسرائيل من نقضٍ للميثاق، وتمردٍ على الأنبياء، والحسدِ ورفضِ الحق.

ومن ثمَّ فإنَّ ذكرَ القصةِ بعد الحديث عن بني إسرائيل يُعزِّزُ المعنى التربويِّ والوعظيِّ
في السورة، ويُظهرُ كيف يتكرَّرُ الخطأُ الإنسانيُّ عبرَ الزَّمنِ بجوهرٍ واحدٍ، ولكنَّ بأساليبٍ
وأشخاصٍ مُختلفين.

1/ التفسير القرآني للقرآن، 3/ 1074.

2/ سورة المائدة، الآية: 11.

3/ سورة المائدة، من الآية: 12.

4/ قصص القرآن الكريم، ص: 716، 717.

ويُنبئه عبّاس إلى إشارة الأخ الطيّب في قوله: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾⁽¹⁾ التي تتجلى

في رده لأخيه من أجل أن يخلص النية لعلّ الله أن يتقبّل منه قربانه. وفي قوله: ﴿ فَطَوَّعَتْ ﴾⁽²⁾

إشارة إلى حديث نفس القاتل، بين الإحجام والإقدام على هذه الفعلية النكراء⁽³⁾. إذ كانت نية الأخ الطيّب أن يهدأ من روع أخيه، في محاولة لتذكيره بلزوم التقوى، فلم ير منه إلا الإصرار على جريمته، وما بيّته من نية لا تنم إلا عن حقدٍ وحسدٍ، وبُعضٍ للأخ الذي تُفيل منه قربانه.

وفي قول الأخ الطيّب لأخيه: ﴿ لَيْنًا بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي

أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾⁽⁴⁾ تبرّر إشارة إلى تلك الملاطفة والموادعة، لكنّها لم تُجدِ نفعًا مع الأخ

الحسودِ الحقودِ اللدودِ، بل لم يزدّه ذلك إلا استكبارًا وغلظةً وجفاءً.

كما يُشير عبّاس إلى ملحظٍ في أمر الغراب، فعلى الرغم من أنه ممّا يُنشأ منه عادةً إلا أنه أتى بما لم يعلمه هذا القاتل، فقدّم درسًا عمليًا؛ ليواري قتيله⁽⁵⁾. وينبغي الإشارة هنا إلى أنه ليس هناك تصريح من القرآن بأنّ الغراب كان يُريد من نبش الأرض دفن أخيه، كما ذهب إليه بعض المتأولين، لكنّه أراد تعليم هذا الجاني أنه بهذا الفعل تكون موارثه لأخيه، وإخفاؤه لجريمته النكراء. فجعل الله من فعله هذا إشارةً وتعليمًا لهذا الجاني؛ ليكشف له كيف يُخفي أثر جريمته، فجاءت الدلالة من باب العبرة لا القصد من الغراب نفسه.

وعن سبب تخصيص بني إسرائيل يُرّجح عبّاس أنه إنذارٌ لهذه الأمة، حيثُ يبعثُ فيها النذُر، بل ويُذكّرُها بالآيات؛ لتحذر من هذا العدو البغيض⁽⁶⁾. في إشارة إلى ربط الماضي بالحاضر دون تصريح مباشر؛ ليكون تذكيرًا وتحذيرًا من الوقوع في مثل مسلكهم، وتنبهًا إلى أنّ خطرهم لا يزال قائمًا في الحاضر. إذ يُعدّ هذا الأسلوب من أبلغ أساليب البيان والتأثير في القرآن الكريم.

1/ سورة المائدة، من الآية: 27.

2/ سورة المائدة، من الآية: 30.

3/ قصص القرآن الكريم، ص: 719.

4/ سورة المائدة، الآية: 28.

5/ قصص القرآن الكريم، ص: 720.

6/ المصدر نفسه، ص: 720.

• قصّة طالوت وجالوت

جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَمَا اسْتَسَاغُوا اخْتِلَالَ أَرْضِهِمْ، فَضَعُفُوا وَوَهِنُوا لَمَا أَصَابَهُمْ، وَتَقَلُّوا عَنِ الْجِهَادِ، بَأَنَّ عَوْقِبُوا بِالنِّيَةِ بَعْدَ مُوسَى - ﷺ - مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، فَاسْتَشَارُوا نَبِيَّ زَمَانِهِمْ؛ لِتَوْجِيهِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ غِيَابَاتِ النَّبِيِّ وَالْعِصْيَانِ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا الْحُلُمَ إِذْ دَخَلُوا أَرْضَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْرَجُوا مِنْهَا خَائِبِينَ كَانُوا فِيهَا يَخْتَضِرُونَ﴾ (1).

كَمَا تُسَجَّلُ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ مِنْ خِلَالِ عَرْضِهَا لِقِصَصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَرِحَلَةً حَضَارِيَّةً مُمْتَدَّةً عَبْرَ الْعُصُورِ، تَكْشِفُ لِمَتَأَمَّلِهَا أُبْعَادًا مِنَ الْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ. فَقَدْ جَاءَ السِّيَاقُ الْقُرْآنِيُّ مُبَيِّنًا لِتِلْكَ الْمَشَاهِدِ فِي صُورَةٍ وَاضِحَةٍ، تُظْهِرُ عِدَدًا مِنَ الْحَقَائِقِ، وَتُفْصِحُ عَنْ بَعْضِ إِحْيَاءِهَا الْعَمِيقَةِ.

كَمَا يُفْهِمُ مِنَ الْآيَةِ إِحْيَاءَ لَطِيفٍ يَنْبَعُثُ مِنْ تَعْبِيرِهِمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَبَعَثْنَا لَنَا كَلْبًا لَئِنْ لَمْ يَأْتِنَا بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّهِ لَأَكْفُرَنَّ بِهِ إِنَّهُ يَكْفُرُ بِالْحَقِّ﴾؛ لِأَنَّ الْبَعْثَ لَا يَكُونُ

إِلَّا فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ ذَاتِ الشَّانِ الْعَظِيمِ وَالْخَطَرِ الْجَسِيمِ، وَفِيهِ إِظْهَارٌ لِجِدِّهِمْ فِي الْقِتَالِ. وَفِي قَوْلِهِمْ إِنَّ هَذَا الْقِتَالَ هُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِهِمْ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا نَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَأَخْلَفُوا بِوَعْدِهِمْ، إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ اعْتِرَاضِهِمْ عَلَى هَذَا الْقَائِدِ، وَعَدَمِ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى تِلْكَ الطَّبِيعَةِ الْيَهُودِيَّةِ، كَمَا حَدِثَ مَعَ مُوسَى - ﷺ - فِي قِصَّةِ

الْبَقْرَةِ، لَذَا اعْتَرَضُوا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِمْ الْآثِمِ: ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ بَقْرَةَ اللَّهِ الْفِطْرَةَ وَاللَّهُ يَخْتَارُ﴾ (2).

سَعَةً مِنَ الْمَالِ (3). حَيْثُ يَمِيلُ الْخَطِيبُ فِي تَعْلِيْقِهِ إِلَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ انشَغَلُوا بِالتَّفْتِيْشِ عَنِ

هَذَا الْمُلْكِ الَّذِي بَارَكَهُ اللَّهُ، مُحَاوِلِينَ التَّحَقُّقَ مِنَ الْمَعَايِيرِ الَّتِي اسْتَنْدَ إِلَيْهَا اخْتِيَارُهُ، وَفِي ذَلِكَ جُرْأَةً عَلَى الْاِخْتِيَارِ الْإِلَهِيِّ، وَتَطَاوُلٌ صَرِيحٌ عَلَى مَا قَضَى بِهِ اللَّهُ وَحَكَمَ (3). حَيْثُ كَانَ فِي اعْتِرَاضِهِمْ اسْتِخْفَافٌ بِطَالُوتَ، وَمَحَاوَلَةٌ لِلنَّيْلِ مِنْ مَكَانَتِهِ، وَإِظْهَارٌ لِأَحْقَبِيَّتِهِمْ بِالْمُلْكِ دُونَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ، وَكَانَ فَقِيرًا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَلَيْسَ هَذَا بِمُسْتَعْرَبٍ مِنْ قَوْمٍ جَبَلُوا عَلَى الْاِعْتِرَاضِ وَمُخَالَفَةِ أَوْامِرِ أَنْبِيَائِهِمْ، وَعَدَمِ الْاِنْقِيَادِ لِمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ. وَمَا قَبِلُوا حَكْمَ اللَّهِ بِتَوَلِيَةِ طَالُوتَ إِلَّا مُكْرَهِينَ، لَا عَنِ اقْتِنَاعٍ، فَكَانَ مِنْ ثَمَرَاتِ هَذَا الْاِكْرَاهِ أَنْ تَنْصَلَ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْقِتَالِ، وَنَكَصُوا عَلَى عَهْدِهِمْ، وَانْسَحَبُوا مِنْ مَوَاجِهَةِ عَدُوِّهِمْ.

1/ سورة البقرة، من الآية: 246.

2/ سورة البقرة، من الآية: 247.

3/ التفسير القرآني للقرآن، 1/ 306.

وفي رفض بني إسرائيل لملك طالوت عليهم قالوا: ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَمَنْ أَحَقُّ

بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُوتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾⁽¹⁾ حيث يشير الخطيب بقوله: "وليتهم إذ نظرُوا، وقعت

أنظارهم على ما في الإنسان من فضائل نفسية وروحية، هي التي يكون بها التفاضل والتمايز بين إنسان وإنسان.. ولكنهم لم ينظروا إلا إلى ما أشرَبَتْهُ قلوبهم من حُبِّ المال، الذي هو ميزان المفاضلة"⁽²⁾. وهي إشارة إلى سوء أخلاقهم، وانحدار مستوى الأدمية عندهم؛ وذلك بسبب ما تعلقت به أنفسهم، وتشربته قلوبهم، وقادتهم إليه نزعاتهم، من حُبِّ للمال، ورغبة في الدنيا، واستكبار في الأرض.

وكذلك في وصف بني إسرائيل للملك طالوت بأنه لم يكن من أهل بيت الملك، وأنه فقير، وفي ردِّ الله عليهم بأنه اصطفاه عليهم، بسبب ما منح من بسطة في العلم، وقوة في الجسم، يتبدى إبحاءً بأنه ينبغي للقائد بأن تتوافر فيه صفتي: العلم والقدرة، وهما من الكمالات الأصيلة التي لا يمكن سلبهما عنه، إذ لا يملك الاستحقاق في الملك إلا لمن جمع بينهما، وفي ذلك إشارة إلى أن الملك الذي أوتيته طالوت لا يؤتاه إنسان بجاه ولا بمال، ولا بشرف انتماء لقبيلة أو بلاد، بل هو من تفضيل الله، واصطفائه أولاً، وببسطه له في العلم والحكمة، مع حضور القوة الذهنية والجسمية، من تخطيط وسياسة للجيوش، وقيادة متينة زمن الحروب والمحن.

وينبغي التنبيه إلى أن الآية قد اختتمت بما يُناسب السياق في قوله: ﴿وَاللَّهُ وَسِعُ

عَلِيمٌ﴾⁽³⁾، وذلك في مقابل قولهم: ﴿وَلَمْ يُوتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾⁽⁴⁾، وأن هذه القصة لم تذكر

عُنصرَ الزمان، حيث اكتفت بأنها كانت في زمن موسى -ﷺ-، لكنها لم تُشير إلى اسم ذلك النبي من أنبيائهم، فالإبحاء في عدم ذكر التاريخ المحدد راجع إلى أن الشخصية اليهودية تظل في كل زمان يشوبها المرض والالتواء، ويعتريها التمرُّد والكذب والنفاق، وهذا ما تدلُّ عليه الآيات.

كما يُبين القرآن بقوله: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَنْ تَقْتُلُوا﴾⁽⁵⁾ "أن القول

مهما اشتدَّ به صاحبه، وأن الكلمات المختارة المنتقاة لم تكن في يوم من الأيام علامة صدق إذا لم

1/ سورة البقرة، من الآية: 247.

2/ التفسير القرآني للقرآن، 1/ 306.

3/ سورة البقرة، من الآية: 247.

4/ سورة البقرة، من الآية: 247.

5/ سورة البقرة، من الآية: 246.

يصحبها الفعل⁽¹⁾. وكما هي عادتهم من بين كل الأمم، أنهم أغرقوا أنفسهم في بحر الخداع والمكر، وطُرق الالتواء رجاء أن يُحقِّقوا مآربهم، فكذبوا أنبياءهم وانسلخوا عن دينهم، فغرقوا في الضلال المبين.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾⁽²⁾ يُشير عباس إلى إichاء في الآية، وهو أن أي أمة حينما تستمرئ الضعف وتستهيغه، تحاول أن تتلمس الأعداء؛ من أجل أن تُقنع نفسها، حتى لا تدخل في حربٍ ولا تُجابه عدواً. والملاحظ في الآية أنهم قبلوا أن يكونوا مظلومين، إلا أن الله تعالى سمأهم الظالمين، وذلك بقوله: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾⁽³⁾ وهذا فيه إشارة إلى أنهم "قد ظلموا أنفسهم أولاً، وظلموا الحق الذي يدعون اعتناقه ثانياً، وثالثاً ظلموا العدو الذي يظلمهم حيث زينوا له طغيانه"⁽⁴⁾. فاستمروا في غواية أنفسهم بأنفسهم، ووضعوا أعناقهم تحت تصرف أوليائهم من شياطين الإنس والجن، فنزعوا بينهم وبين أنبيائهم، وكان عاقبة مكرهم أن سلط الله عليهم عذابه في دار الدنيا، وتوعدهم بالوعيد في الدار الآخرة.

وفي الآيات إشارة إلى "أن داود - ﷺ - كان في هذه الحرب جندياً من جنود طالوت، وأنه ببسالته وشجاعته قد تولى قتل قائد العدو جالوت، وبفعله هذا كان النصر والغلب. ثم كان من فضل الله على داود بعد هذا أن آتاه الله الملك والحكمة، وعلمه ممأ يشاء من علمه"⁽⁵⁾. إذ ذلك فضل الله يؤتية من يشاء من عباده، فقد خصه الله تعالى بهذه المنحة وذلك العطاء بسبب أنه كان عبداً شكوراً، فقد قال المولى في شأنه: ﴿ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾⁽⁶⁾.

كما يُشير الخطيب إلى أن قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴾⁽⁷⁾ فيه إichاء إلى أن الفرقة التي نشأت بين تابعي الأنبياء وأدت إلى الاقتتال بينهم، إنما هي من تقدير العزيز الحكيم؛ ليظهر فيه ابتلاؤه لعباده؛ ولتمييز الصادق من المنافق. كما أن الضمير في قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ يُشير إلى من تبعوا الأنبياء ثم اختلفوا فيما بينهم

1/ فضل عباس، القصص القرآني إichاؤه ونفحاته، ص: 412.

2/ سورة البقرة، من الآية: 246.

3/ سورة البقرة، من الآية: 246.

4/ فضل عباس، القصص القرآني إichاؤه ونفحاته، ص: 412.

5/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1/ 311.

6/ سورة سبأ، من الآية: 13.

7/ سورة البقرة، من الآية: 253.

فتشتتوا، وابتعدوا عن الحق⁽¹⁾. لِيُعْلَمَ أَنَّ سِنَّةَ الْإِخْتِلَافِ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

وفي مفهوم قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾⁽²⁾ يقول الخطيب "هذا الذي اصطفاه عليهم قد زاده الله بسطةً في العلم والجسم، فإذا كان فيهم من يفضلهُ في المال، فهو يفضلُهُم في كمال الجسم وتمام العقل، وذلك ممّا يكمل به الملك ويكمل به الملوك! جمالٌ وروعةٌ في المظهر، وفي المخبر.. معاً"⁽³⁾. فقد دلّ التعبيرُ القرآنيُّ على أنه قد زاده بسطةً في العلم: أي الذي يكون به التدبير، وبسطةً في الجسم: أي الذي أُعطي صحّة الفكر وكمال القوى، وفي الوصف لطالوت إشارة إلى القدرة على القيادة، وتحمل جميع أعباء القتال.

وفي ذكر التّابوت في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

التّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾⁽⁴⁾ إشارة إلى تَلَكُمُ البركة والسكينة التي كانوا يجدونها في ذلك التّابوت، وهي بقية الواح من التّوراة، وفيه آثار من عصا موسى، وآثار من بقية ممّا تركه آل موسى وهارون -ﷺ-، فغصّب جالوت -وكان ملكًا- تابوت العهد من بني إسرائيل، وكان إذلاً لهم، فكانت علامة على ملك طالوت، ففي هذا يشير الخطيب: "وجاءهم التابوت وما كان فيه من آثار، وعندها وجدوا السكينة، والاطمئنان.. فآمنوا وصدّقوا، ورضوا بطالوت ملكاً وقائداً.. وهكذا يُقَادُ القومُ قسراً، بيد الآياتِ المعجزةِ القاهرة، التي تُسدُّ عليهم منافذَ المعاذير والعلل، التي يُقيمونها بين يدي كلِّ أمرٍ يُدعَوْنَ إليه من الله"⁽⁵⁾. كما أنّ في مجيء التّابوت وانتزاعه منهم دونما حربٍ ولا قتالٍ، علامة على صدق تولّي هذا الملك عليهم، وفي مجيء الملائكة بالتّابوت إحياء إلى تلك السكينة والراحة واليقين بوعد الله لطالوت بالملك، ولمن آمن به وصدّقه من قومه بالنصر.

فلما أدرك طالوت ضعف عزيمتهم وتراخي همهم، لجأ إلى اختبارهم عند النهر، فلم

يأذن لهم إلا بغرفةٍ واحدةٍ باليد، وجاء ذلك في قوله تعالى على لسان طالوت: ﴿إِن كَرِهَ اللَّهُ

مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۗ فَشَرِبُوا

1/ التفسير القرآني للقرآن، 2/ 314.

2/ سورة البقرة، من الآية: 247.

3/ التفسير القرآني للقرآن، 1/ 307.

4/ سورة البقرة، من الآية: 248.

5/ التفسير القرآني للقرآن، 1/ 308.

مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴿١﴾ ومع ذلك شرب أكثرهم من النَّهْرِ، مُخالفين أمره، ففشلوا في الاختبار، وكان في هذا الابتلاء إشارة واضحة إلى أن طالوت إنما أراد أن يختبر صدق استعدادهم للجهاد وثباتهم عند المواجهة.

كما يبرز في الآية إحياء من ابتلائه لهم، حيث صور القرآن حالهم بأنهم كانوا "يَحْمُونَ حَوْلَ الْمَاءِ وَلَا يَرُدُّونَهُ، وَتَحْتَرِقُ أَكْبَادُهُمْ ظَمًا، وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْهُ" (2). وفي هذا إشارة إلى ذلك الحرمان الشديد، والعطش الذي لا يُطاق، فهو تصويرٌ لحالهم وهم يلتفتون حول الماء لعلمهم يقترنون منه؛ رغبةً في الارتواء، فمنهم من شرب من الماء، ومنهم من منع نفسه، واستجاب لأمر قائده ومليكه. وبعد معركة حامية الوطيس بينهم قتل طالوت جالوت، فكان النَّصْرُ وَالظَّفْرُ لَهُ وَلِقَوْمِهِ عَلَى عَدُوِّهِمْ.

ثُمَّ اخْتِئِمَتِ الْقِصَّةُ بِتَعْقِيبٍ بَدِيعٍ، وَتَصْوِيرٍ عَجِيبٍ، وَبَلَاغَةٍ قَرَأْنِيَّةٍ، وَإِعْجَازٍ مُنْقَطِعِ النَّظِيرِ، بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ

ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وفي هذا إشارة إلى دفع أهل البغي والسوء والباطل، بأهل الحق، أي أن الله لو لم يهيء أهل الحق؛ لتمادى أهل الباطل بباطلهم وبغيهم، ولفسدت الأرض فساداً عريضاً (4). فهنا يتبدى إحياء يصف لنا ما يحصل بأولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين بأرض فلسطين؛ لأن واقعا الآن هو في المنطقة الواقعة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ

عَلَيْهِمْ ﴿٥﴾، إذ لا بد من وقفة حقيقية من جموع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ نصرَةً لِلدِّينِ وَلِلْقَضِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا يَنَائِي ذَلِكَ إِلَّا بِالسَّيْرِ عَلَى الْخَطِىِّ الَّتِي رَسَمَهَا الْقُرْآنُ وَبَيَّنَّتْهَا السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ، دَفَاعًا عَنِ الْمُقَدَّسَاتِ، وَحِمَايَةً لِلْحُرْمَاتِ.

كذلك من إشارات هذه القصة، أنها احتوت على ذلك الأمل المتمثل في النصر والعزة والتمكين، فعلى الرغم من الدل الذي عاشه بنو إسرائيل زمناً طويلاً، فقد جاءتهم البشارة على ارتقاء عهدهم بعد ملك داود وسليمان - ﷺ -، وما ذلك إلا بسبب تلك الصَّوَةِ الْعَقْدِيَّةِ مِنْ قَلَّةٍ قَلِيلَةٍ

1/ سورة البقرة، من الآية: 249.

2/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1/ 309.

3/ سورة البقرة، من الآية: 251.

4/ فضل عباس، القصص القرآني إحاؤه ونفحاته، ص: 414.

5/ سورة الإسراء، من الآية: 6.

أمام جحافل الطغيان من جالوت وجنوده. فالقصة تُشير إلى وجوب تنبيه المشاعر الإنسانية الرخوة بضرورة دفع الظلم عنها؛ صيانة لحقوقها، وحفاظاً على وحدتها، فمن مثل هذه القصص تُنتقي العبر؛ لتبين سنة التدافع بين الحق والباطل، والخير والشر، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

• قصة المنسلخ من آيات الله

يقول الله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ

الْعَاوِينَ﴾⁽¹⁾، بعد أن قدم الخطيب عدة تساؤلات عن شخصية هذا الرجل، يُشير إلى معرفة النبي - ﷺ - به، وذلك بإشارة القرآن إليه، كما كانت قريش تعرفه، فهو من كبرائهم، ورؤوسهم البارزة، التي لطالما وقفت في وجه الدعوة الإسلامية، وكادت لنبيها - ﷺ -، فأذنته في نفسه وفي أصحابه. يقول الخطيب: "وأقرب رجل يدعى هنا ليكون بهذا المكان الذي يطلع منه على الناس، فيرون فيه ما يقصه الرسول عليهم من حاله تلك التي رسمها القرآن الكريم له - أقرب رجل يدعى هنا، هو (الوليد بن المغيرة) الذي انتدبته قريش ليلقى محمداً، وليكون سفيرها عنده، وليقول له كلمتها إليه، وليبلغه و عدها له بالملك والمال، وما أحب مما يطلب من جاه، ومال وسلطان"⁽²⁾. كما تبدو في قوله: (وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ) إشارة إلى المشركين الذين قُصت عليهم هذه القصص، والذين وُجّهت إليهم الآيات للوعظ والاعتبار.

وبعد أن رجح الخطيب أن المراد بالآيات هو الوليد، نبّه إلى أن هذا القول - على حد علمه - لم يسبقه إليه أحد من المفسرين، حيث تباينت أقوالهم في تحديد المقصود من الآية. حيث يقول: "ولا نرى قولاً من هذه الأقوال يُعطي مفهوماً للآية من قريب أو بعيد"⁽³⁾. ولأريب أن ما انتهى إليه الخطيب قولٌ متكلفٌ، إذ لا يدل عليه سياق الآية لا من قريب ولا من بعيد. ثم مضى الخطيب يستدل على أن المراد هو الوليد بن المغيرة، وأنه هو المقصود من الآية، حيث يقول: "إذا نظرنا في قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾⁽⁴⁾ وفي قوله تعالى

عن الوليد بن المغيرة: ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينًا﴾⁽⁵⁾ ثم ذكرنا مع هذا ما كان للآيات التي تلاها

1/ سورة الأعراف، الآية: 175.

2/ التفسير القرآني للقرآن، 5/ 518.

3/ المصدر نفسه، 5/ 522.

4/ سورة الأعراف، من الآية: 175.

5/ سورة المدثر، من الآية: 16.

الرسول الكريم عليه، وأثرها فيه، واستيلائها على كيانه، ثم نكوصه عنها بعد ذلك، وانسلاخه منها بعد أن لبسها - إذا نحن ذكرنا ذلك -، رأينا أنّ هذا الرجل هو ذلك الإنسان عينه، بلحمه ودمه، وبكلّ مُشخصاته، في جميع أحواله⁽¹⁾. فالآية - كما فهمها الخطيب - جاءت دالّة على أنّ الوليد هو المقصودُ بها، وأنها نزلت فيه، غير أنّ ما ذهب إليه بعيدٌ كلّ البعد عن السياق، إذ إنّها وردت في معرض الحديث عن بني إسرائيل.

والنّاظر في تفسير الآية عند بعض المفسرين يجد أنّهم لم يذهبوا إلى ما ذكره الخطيب. من تلك التفاسير مثلاً: نجدُ الزّمخشريّ يذكرُ في معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ على اليهود، ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَخْ مِنْهَا ﴾ هو عالمٌ من علماء بني إسرائيل. وقيل: من الكنعانيين، اسمه: بلعم بن باعوراء، أوتي علم بعض كتب الله ﴿ فَٱنشَخْ مِنْهَا ﴾ أي من الآيات، بأن كفر بها، ونبذها وراء ظهره...⁽²⁾. ويتبيّن من كلام الزّمخشري أنّ المقصود ليس التّركيز على هويّة هذا الرجل، بل على حالته ومصيره، في تصوير قرآني بليغ لمن عرف الحقّ ﴿ فَٱنشَخْ ﴾ وأعرض عنه، فجعل منه القرآن مثلاً صارحاً لعاقبة الانتكاس بعد الهداية.

وذكر الرّازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا ﴾ قولين، الأول: أنّ الله علّمه حجج التوحيد، وأفهمه أدلّته، حتى صار عالمًا بها ثمّ انسلخ منها. والثاني: أنّ الله بيّن له تلك الآيات، لكنّه لم يقبلها، وتعرّى منها، وهو وصفٌ يشمل كلّ من كفر رغمّ ظهور الأدلّة، وبقي على عناده⁽³⁾. ويحتمل - عند الرّازي - أن يكون هذا الموصوف هو فرعون.

يقول الرّازي: "واعلم أنّ حاصلَ الفرق بين القولين: هو أنّ هذا الرجل في القول الأول كان عالمًا بدين الله وتوحيده، ثمّ خرج منه، وعلى القول الثاني لما آتاه الله الدلائل والبيّنات امتنع من قبولها، والقول الأول أولى، لأنّ قوله انسلخ منها يدلُّ على أنّه كان فيها ثمّ خرج منها، وأيضًا فقد ثبت بالأخبار أنّ هذه الآية إنّما نزلت في إنسانٍ كان عالمًا بدين الله تعالى، ثمّ خرج منه إلى الكفر والضلال"⁽⁴⁾. فالرازي لم يُسمِّ رجلاً بعينه، وإنّما اكتفى بالإشارة إلى صفته، مُبيّنًا أنّ المقصودَ رجلاً كان عالمًا بدين الله، عارفًا بالحقّ، ثمّ أعرض عنه بمحض إرادته، وانحرف عن

1/ التفسير القرآني للقرآن، 5/ 522، 523.

2/ الكشف، 2/ 178.

3/ مفاتيح الغيب، 15/ 404.

4/ المصدر نفسه، 15/ 404.

طريق الهداية. وهذا ما ذهب إليه الطبرسي في تفسيره للآية⁽¹⁾. كما يبرز تركيز الرّازي على العبرة من الحالة ذاتها لا على الشّخص، وذلك ليكون التحذير عامًا يشمل كلّ من يسلك هذا المسار، لا مجرد قصّة محصورة في فرد بعينه، وهو القول الصّحيح.

ومما يستدلّ به الخطيب على قوله الغريب ذكره للمدّة الزّمنيّة الفاصلة بين نزول الآيتين،

بقوله: "والفاصل الزّمني بين قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ

مِنْهَا﴾⁽²⁾ وبين قوله سبحانه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾⁽³⁾ الآيات، هذا الفاصل - طال أو قصر -

هو إثارة لأشواق القوم إلى هذه القصة التي لم تقصّ بعد، وتعليق لنفوسهم بها، حتى تطلع عليهم بهذا الإنسان العجيب الذي مثله كمثل الكلب.. إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث"⁽⁴⁾. حيث يلمح الخطيب إلى عنصر التشويق القصصي في أسلوب القرآن، لكنه يوظّفه هنا لربط آيات بالوليد بن المغيرة، وهو ما يُعدّ استنتاجًا بعيدًا عن السياق. ولعلّ المراد يشمل كلّ مَنْ منحه الله آياته، ثمّ انسَلَخَ مِنْهَا، وخلع رداء العلم بها، وأتبع هواه، وعصى ربّه طمعًا في متاع الدُّنيا الزّائل.

وهنا يجدر التنبيه إلى أنّ ما أبهمه القرآن الكريم ولم يصرّح به في تحديد المقصود، فإنّه

يحتمل جميع المعاني التي ذكرها المُفسِّرون⁽⁵⁾ في دلالته، إذ لا يترنّب على تعيينه فائدة تُذكر.

وهنا أودّ الإشارة إلى أنني - وفقا لما اطّلت عليه في كتابي فضل عباس حول القصص

القرآني، وما كتبه حول الإعجاز القرآني - لم أجد له تناوّلًا لإحياءات هذه القصة، سوى ما يُحتمل أنه ذكره في تفسيره الموسوم بـ (تفسير القرآن المجيد).

1/ قال الطبرسي: "عن الجبائي واختلف في المعنى به فقيل هو بلعام بن باعور، وقيل: كان رجلا على دين موسى - ﷺ - وكان في المدينة التي قصدها موسى وكانوا كفارا وكان عنده اسم الله الأعظم وكان إذا دعا الله تعالى به أجابه، وقيل هو بلعم بن باعورا من بني هاب بن لوط، وقيل: أمية بن أبي الصلت التقفي الشاعر. وهذا الاختلاف في الأقوال يقودنا إلى القول بأنّ المقصد القرآني هنا تربوي وعمّ، يجسّد خطورة الانسلاخ عن الحق بعد معرفته، لا توثيقًا لسيرة فرد بعينه. مجمع البيان، 349، 350/4.

2/ سورة الأعراف، من الآية: 175.

3/ سورة المدثر، الآية: 11.

4/ التفسير القرآني للقرآن، 5/ 524، 525.

5/ يقول ابن عاشور: "وذهب كثير من المفسرين إلى أنها نزلت في رجل من الكنعانيين، وكان في زمن موسى عليه السلام يقال له: بلعام بن باعوراء، وذكروا قصته فخلطوها وغيروها واختلفوا فيها، والتحقيق أن بلعام هذا كان من صالحى أهل مدين وعراقهم في زمن مرور بني إسرائيل على أرض (مؤاب) ولكنه لم يتغير عن حال الصلاح، وذلك مذكور في سفر العدد من التوراة في الإصحاحات 22- 23- 24 فلا ينبغي الالتفات إلى هذا القول لاضطرابه واختلاطه". التحرير والتنوير، 175/9.

• قِصَّةُ صَاحِبِ الْجَنَّةَيْنِ

تتجلى روعة القرآن الكريم وإعجازه في لقطاتٍ قصيرةٍ ومشاهدٍ خاطفةٍ من القصص التي تهزُّ القلوب، وتستولي على المشاعر بما تحمله من مواطنِ العبرة والإيعاظ. حيثُ يعرضُ القرآنُ في قصةِ صاحبِ الجنَّتينِ مشهداً بديعاً يُصوِّرُ ما يعتَمَلُ في أعماقِ النفوس التي أُفيضت عليها النِّعم. حيثُ تدورُ أحداثُ هذه القِصةِ حولَ رجلَينِ، ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّةً مِّنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْتُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾⁽¹⁾، فمن خلالِ الحوار الذي دارَ بينهما يكشفُ السياقُ القرآنيُّ عن خبايا النفسِ البشريَّةِ وما تُثيرُهُ النِّعمةُ من مواقفَ بينَ الشُّكرِ والغرورِ.

فالمعنى في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾⁽²⁾ أي: "وكانَ لصاحبِ الجنَّتينِ مالٌ، أي غيرِ الجنَّتينِ"⁽³⁾. فالنِّكرةُ هُنَا أفادتِ التَّعظيمَ، ففيها إشارةٌ إلى أنَّ صاحبَ الجنَّتينِ قد منحه اللهُ أعظمَ ما كانَ يتمنَّاهُ الإنسانُ إذ ذاك، من منافعِ الدُّنيا، من ثمارٍ وأملاكٍ وأموالٍ، وغيرها من متاعِ زمانهم. ثمَّ يُصوِّرُ الخطيبُ حالةَ صاحبِ الجنَّتينِ وهو يقفُ في جنَّتهِ مُتباهِياً وفخوراً بما يملك من نعمٍ، مُعتزراً بما بينَ يديه من خيراتٍ، لكنَّه بذلك يظلمُ نفسه، فلم يكبِّحْ جَمَاحَ غروره، ولم ينبُجْ من الانزلاقِ في بَطْرِهِ واعتزازه الزَّائد. فتجدهُ يتجوَّلُ بينَ جنَّتيه ويغمُرُه شعورُ التَّمكُّنِ، فيُخاطبُ نفسه مُناجياً بقوله⁽⁴⁾: ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ أَلْسَاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾⁽⁵⁾. فهنا تظهرُ أولى علاماتِ الكِبَرِ التي انتابت صاحبَ الجنَّتينِ في قوله: ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾⁽⁶⁾، حيثُ دفعه غروره إلى التَّفَاخُرِ على صاحبه بما يملكُ من الجنَّتينِ، بل نسَبَ هذه النِّعمَ لنفسه، مُتجاهلاً المنعمَ الحقيقيَّ الذي وهبها له. في إشارةٍ إلى عظيمِ خطرِ الغرورِ والاعتمادِ على الذاتِ، بعيداً عن التَّذكُّرِ باللهِ تعالى.

1/ سورة الكهف، الآية: 32.

2/ سورة الكهف، من الآية: 34.

3/ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 15/ 319.

4/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 210، 211.

5/ سورة الكهف، من الآيتين: 35، 36.

6/ سورة الكهف، من الآية: 34.

وفي وصفه لجنتيه: ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴿ (1) يقول

الخطيب: "إنه كان رجلاً يؤمن بالله، واليوم الآخر.. ولكن حُبهُ المالَ والجاه، والثراء قد أذهله عن كل هذا، فلم يعد يرى إلا جنتيه هاتين ولم يكن في أمانيه إلا أن تخلد هاتان الجنتان، ويخلد هو بخلودهما، ولذلك هو يستبعد قيام الساعة، ويدفع بكلتا يديه كل تصور يطوف بخياله عنها! إنه يُمني النفس بالخلود في ظل هذا الظلّ الزائل.. وهيهات!" (2)، في إشارة إلى غياب عقله عن رؤية الحقيقة على وجهها الصحيح، وإلى ما أصابه من العجب بجنتيه إلى درجة أنه أحاط به داء طول الأمل، فقاده الكبر والغرور إلى إنكار البعث وقيام الساعة، بسبب اعتقاد استحاقه لهذه النعم.

ثم يصف الخطيب حالة صاحب الجنتين بقوله: "إنه ينظر إلى جنته كأنه يراها لأول

مرة، فيقول: ﴿ وَمَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ (3) .. ثم ينظر في وجه صاحبه ليرى وقع هذه الكلمة

على مشاعره، فيرى استنكاراً وامتعاضاً، وتعجباً، من هذا الغرور الذي يذهل صاحبه عن بدهيات الأمور" (4). والآخر مُشفق على حاله، وقد أصابه الدهول والدهشة من تجرئه على ربه، ولإعتقاده الجازم بدوام هذه النعمة. في إشارة إلى أن النعم مؤقتة والدنيا فانية.

يقول الخطيب: "وفي توجيه الخطاب إليه بصيغة الماضي.. هكذا: ﴿ أَكْفَرْتَ ﴾ (5) بدلاً

من صيغة الحاضر: (أَتَكْفُرُ) إشارة إلى أن هذا المنكر الذي هو فيه، ليس أمراً مستحدثاً عنده، بل هو داء قديم، سكن في كيانه، واستقر بين مسرى الدّم من عروقه، لا يُغيّره شيء" (6). في إشارة إلى أن كفر المخاطب قديم ومتجذّر لا طارئ، ممّا يبرز استحكامه في نفسه وصعوبة زواله. حيث إن صاحب الجنتين "لم يُشرك بالله فقط وإنما لم يؤدّ حقّ جنتيه وكفر نعمة الله عليه، إذن هو أشرك وكفر" (7). كما تتجلى الإشارة في تصريح المؤمن لصاحب الجنتين، حيث يُذكره بمرحلة النُطفة؛ لأنّ حوارَهُ كان مع مُتَكَبِّرٍ مُسْتَعْلٍ مُتَفَاخِرٍ، فكان ذلك بمثابة تحقير له ولعقيدته التي أنكر فيها البعث وكفر بالله تعالى، على أمل أن يعود ويرجع إلى الله ويتوب ممّا ابتلي به.

1/ سورة الكهف، من الآية: 35، 36.

2/ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منظوقه ومفهومه، ص: 211، 212.

3/ سورة الكهف، من الآية: 35.

4/ التفسير القرآني للقرآن، 8/ 618.

5/ سورة الكهف، من الآية: 37.

6/ التفسير القرآني للقرآن، 8/ 620.

7/ فاضل السامرائي، حسام النعيمي، أحمد الكبيسي، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، 7/ 37.

ثُمَّ يَلْفِتُنَا الْخَطِيبُ إِلَى قَضِيَّةِ الرَّمَزِ فِي الْقَصَصِ الْقُرْآنِيِّ، بِقَوْلِهِ: "وَمَعَ أَنَّا اسْتَبَعَدْنَا (الرَّمْزِيَّةَ) فِي الْقَصَصِ الْقُرْآنِيِّ فَإِنَّ هَذَا لَا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ تَقُومَ الْإِشَارَاتُ، وَاللَّمَحَاتُ، وَرَاءَ الْحَقَائِقِ"⁽¹⁾. فَهُوَ يَرْمِي إِلَى تِلْكَ الرَّمْزِيَّةِ الْمُنْبَعَثَةِ مِنْ سِيَاقِ الْآيَاتِ، وَمِنْ طَيَّاتِ الْقَصَصِ الْقُرْآنِيِّ، حَيْثُ جِيءَ بِتِلْكَ الرَّمْزِيَّةِ الْغَرِيبَةِ وَالثَّقِيلَةِ الْمُتْكَفِّةِ لِنُصُوصِ الْوَحْيِ خِدْمَةً لِأَغْرَاضِ دَخِيلَةٍ، وَلِيَّا لِأَعْنَاقِ النُّصُوصِ، وَإِخْرَاجًا لِلآيَاتِ عَنْ مَعَانِيهَا الصَّرِيحَةِ الصَّحِيحَةِ.

وَفِي مُحَاوَرَةٍ صَاحِبِ الْجَنَّةَيْنِ مَعَ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾⁽²⁾، رَجَّحَ الْخَطِيبُ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَثَلًا قَدْ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِرَجُلَيْنِ، الْأَوَّلُ: مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالْآخَرُ: كَافِرٌ بِهِ - ﷻ، فَكَلَا الرَّجُلَيْنِ يُمَثِّلَانِ الْإِنْسَانِيَّةَ جَمْعَاءَ، مُؤْمِنِينَ، وَكَافِرِينَ، مُسْتَجِيبِينَ أَوْ مُنْكَرِينَ لِدَعْوَةِ أَوْلَئِكَ الرَّسُلِ⁽³⁾. حَيْثُ تَبَرَّرُ إِشَارَةٌ فِي الْإِسْتِدْعَاءِ الْقُرْآنِيِّ لِرَجُلَيْنِ نِدَّيْنِ؛ لِأَجْلِ إِجْرَاءِ حَدِيثٍ يُمَثِّلُ الْإِنْسَانِيَّةَ جَمْعَاءَ، بِشِقَاقِهَا: الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ؛ وَتَحْذِيرًا مِنْ آفَاتِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ. ذَلِكَ لِأَنَّ تَوْجِيهَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ صَالِحَةٌ لِمُخَاطَبَةِ النَّاسِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

كَمَا يُشِيرُ الْخَطِيبُ إِلَى إِحْيَاءِ آخَرَ، وَهُوَ مَا رَأَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَاتِفِ بِالْحَقِّ، وَهُوَ يَتَمَثَّلُ الْإِنْسَانِيَّةَ الْعَاقِلَةَ "هُوَ (عَقْل) الرَّجُلِ صَاحِبِ الْجَنَّةَيْنِ نَفْسَهُ. قَدْ اسْتَيْقِظَ مِنْ غَفْلَتِهِ، وَصَحَا بَعْدَ نَوْمٍ: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ).. فَهُوَ الصَّاحِبُ الْقَائِمُ فِي كِيَانِ الْإِنْسَانِ"⁽⁴⁾. أَيُّ أَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ حَوَارًا مَعَ صَاحِبٍ لَهُ حَقِيقَةٌ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ سِيَاقُ الْآيَةِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ إِحْيَاءٌ يَتَمَثَّلُ فِي وَصْفِ حَالَةِ ذَلِكَ الصَّرَاحِ الَّذِي يَدُورُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ضَمِيرِهِ الْمُتَعَقِّلِ الَّذِي يَلُومُهُ وَيُعَاتِبُهُ وَيُؤَبِّخُهُ، بَلْ وَيُحَرِّكُ فِيهِ مَشَاعَرَ الدَّمِّ وَالْحَسْرَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ كُفْرِهِ بِمَنْ وَهَبَهُ هَذِهِ الْحَيَاةَ وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ.

وَيَبْرُزُ فِي قَوْلِ الْمُؤْمِنِ لِصَاحِبِهِ: ﴿ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ

رَجُلًا ﴾⁽⁵⁾ إِحْيَاءً، وَذَلِكَ فِي "تَوْجِيهِهِ الْخَطَابِ إِلَيْهِ بِصِيغَةِ الْمَاضِي، هَكَذَا: (أَكْفَرْتَ) بَدَلًا مِنْ صِيغَةِ الْحَاضِرِ: (أَتَكْفُرُ) إِشَارَةً إِلَى أَنَّ هَذَا الْمُنْكَرَ الَّذِي هُوَ فِيهِ، لَيْسَ أَمْرًا مُسْتَحْدَثًا عِنْدَهُ، بَلْ هُوَ دَاءٌ قَدِيمٌ، سَكَنَ فِي كِيَانِهِ، وَاسْتَقَرَّ بَيْنَ مَسْرَى الدَّمِّ مِنْ عُرُوقِهِ، لَا يُغَيِّرُهُ شَيْءٌ. وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَغَيَّرَ لَكَانَ لَهُ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الَّذِي وَقَفَ مِنْ جَنَّتَيْهِ، وَرَأَى فِيهِمَا مَا رَأَى مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْآيَةِ-

1/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 214.

2/ سورة الكهف، الآية: 37.

3/ التفسير القرآني للقرآن، 8/ 615، 616.

4/ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص: 214.

5/ سورة الكهف، من الآية: 37.

ما يَخْفِقُ له قلبه، وثرقُ به مشاعره" (1). لكنّه آثرَ رؤيةَ غوايةِ نفسه الشَّيطانيَّةِ فأنقَذَ لها خاضِعًا، فأسرَعَتْ به إلى ما كانَ فيه هلاكُهُ وهلاكُ مَنْ كانَ على نَهْجِه واتَّبَع سبيلَ شيطانه.

كما تلوحُ من قولهِ تعالى: ﴿ وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ (2) إشارةٌ إلى "حالٍ كاشفةٍ عن حاله، وهو يندبُها، ويُقطعُ نفسه حسرةً عليها، وهي بينَ يديه جَنَّةٌ هامدةٌ، لا يُجدي معها هذا العويلُ الصَّارخُ، وهذا التَّحبيبُ المُتَّصلُ" (3). فحالُه كحالِ مَنْ قُطِعَ رجاؤُه، وانتهى أمله، بعدَ أن كانَ يطعمُ ثمارَها، ويجوبُ أرضَها، ويثمُّ ريحَها، ويتفنَّنُ بالحديثِ عنها، فأصبحتْ رُكامًا، لا يُعيدُها النَّحسُ والنَّدَمُ، ولا البُكاءُ والتَّسَخُّطُ.

ثمَّ يُعقِبُ المولى -ﷺ- على ما جرى لصاحبِ الجَنَّةِ بضربه لمثلٍ ظاهرٍ يُشاهدُه كلُّ ذي عقلٍ رشيدٍ، وذلك بقوله -ﷺ-: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتٌ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴾ (4) وهذا فيه إشارةٌ إلى الطَّفرةِ التي أصابتْ صاحبَ الجَنَّةِ، فبعدَ أن كانت مِيتَةً أنبتت وأزهرت ثمَّ يبست فصارت حُطامًا. ففي الآيةِ تصويرٌ بديعٌ، حيثُ "يكشف عن الصورةِ الحقيقةِ لهذه الدنيا، التي يندفع لها الناسُ، ويفتنون بها، ويبيعون من أجلها آخرتهم، ويقطعون بسببها كلَّ صلةٍ تصلهم بالله رب العالمين.. فهذه الدنيا، وما يموج فيها من ألوان الزخارف والمتع، وصور الجاه والسلطان، لا تعدو أن تكون زرعًا، زها واخضرًا، وأزهرًا، وأثمرًا.." (5). يقولُ اللهُ -ﷻ- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (6).

ثمَّ اختُيِّمتِ الآيةُ باتِّصافِ اللهِ بأنَّه قادرٌ على كلِّ شيءٍ في ملكه، وأنَّه المُتصرِّفُ في خلقه كيف يشاءُ، وهو القاهرُ فوق عباده، فكانَ من عدلِ اللهِ أن يكونَ جزاءُ صاحبِ الجَنَّةِ بعدَ أن كفرَ بأنعمِ اللهِ عليه زوالَ جنَّتهِ التي وهبها إياها، وهلاكها عن بكرةِ أبيها، إلى غير رجعةٍ. وفي قوله تعالى: ﴿ وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (7) يرى الخطيبُ أنَّ في الآيةِ إشارةً إلى ما هو خيرٌ من تلك الأموال والأولادِ، التي يُمكنُ تحصيلُها في هذه الحياةِ الدُّنيا، قبلَ فواتِ

1/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 8/ 620.

2/ سورة الكهف، من الآية: 42.

3/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 8/ 623.

4/ سورة الكهف، الآية: 45.

5/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 8/ 626.

6/ سورة النور، من الآية: 44.

7/ سورة الكهف، من الآية: 46.

الأوان⁽¹⁾. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْأَلٌ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾⁽²⁾ يقول الخطيب: "وقدّم المال على البنين، لأنّه المطلب الأوّل للإنسان، فكلُّ إنسانٍ طالبٌ للمال، وليس كلُّ إنسانٍ طالباً للولد.. فكثيرٌ من النَّاسِ لا يطلبون الأولاد، بل يعيشون بغير سكنٍ إلى زوجة، ولكنهم جميعاً لا يستغنون عن طلب المال.. ومع هذا فإنّه إذا حصل الإنسان على الولد، تعلّق قلبه به، وكان الولد عنده مقدّماً على المال! فالمال والبنون، هما أشدُّ مظاهر الحياة فتنةً للناس، وأكثرها داعيةً لهم، وأقواها سلطاناً عليهم"⁽³⁾. وقد جاء تقديم المال على البنين في سورة التّغابن، كما نجده في سورة آل عمران، والسبب في ذلك يعود إلى مقتضى السياق، إذ قدّم المال في سورة التّغابن في إطار الفتنّة والإغراء، بينما جاء التقديم في سورة آل عمران في سياق المحبّة والحنان تجاه الولد. ممّا يدلّ على دقّة البلاغة القرآنيّة وعمقها في التعبير.

وهنا أودُّ الإشارة إلى أنني - وفقاً لما اطّلت عليه في كتابي فضل عباس حول القصص القرآني، وما كتبه حول الإعجاز القرآني - لم أجد له تناولاً لإحياءات هذه القصة، سوى ما يُحتمل أنه ذكره في تفسيره الموسوم بـ (تفسير القرآن المجيد)، غير أنّي لم أقف عليه.

• قصّة السّامريّ

عاش بنو إسرائيل تحت وطأة ظلم فرعونَ زمناً طويلاً، إذ كان يُقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، ويوقع بهم أشدّ أنواع العذاب. فلما كفروا بموسى - ﷺ - وبالرسالة التي جاء بها من عند الله، أهلك الله فرعونَ وقومه. وبعد أن غاب موسى أربعين ليلةً لملاقاة ربه، وقع قومه في الفتنة وعبدوا عجلاً من دون الله.

ولقد كان السّامريّ سببَ ضلالهم، إذ استغلَّ جهلهم وضعف عقولهم، حيث جمع من خلبهم فصنع منها عجلاً ليكون - بزعمه - إلهاً لهم ولموسى، فصدّقه الناس واتّبعوه. ولما عاد موسى حدّزهم من عبادة هذا الإله الباطل، فأمر بإحراقه ونسفه على شاطئ البحر؛ ليظهر زيف عبادة ما صنّعه أيديهم.

وهنا تبرز من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾⁽⁴⁾ "إشارةً إلى أنّ حدثاً قد

حدث فيهم من بعده، وأنّه وقد جاء يستعجل لهم الخير، قد طعنوه من وراء ظهره، وأفسدوا كلّ ما

1/ التفسير القرآني للقرآن، 8/ 627.

2/ سورة الكهف، من الآية: 46.

3/ التفسير القرآني للقرآن، 8/ 627.

4/ سورة طه، الآية: 83.

أصلحهم منهم! ولكنه لم يكن يدري ماذا حدث.. ولهذا جاء جواب موسى: ﴿هُمُ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرَى﴾ (1)
أي أنهم على ما تركتهم عليه، يسيرون على المنهج الذي رسمته لهم، ويتأثرون خطاي في
طاعتك وابتغاء مرضاتك" (2). فكانت صدمة موسى بعد عودته بين رجاء الإصلاح وواقع
الخذلان. فالخطيب يُبرز دقة المفارقة بين إخلاص موسى وحرصه وغدر قومه وانقلابهم عليه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (3) إيحاء يصف الحالة النفسية التي كان

عليها موسى -ﷺ-، حيث يقول الخطيب: "هذا هو الجواب عما سأل الله سبحانه وتعالى موسى
عنه.. أما ما سبق ذلك، فهو جواب عما استشعره موسى من ذكر قومه في سياق هذا السؤال" (4).
حيث تكشف الآية عن شدة حرص موسى -ﷺ- على رضا الله، وربط حالته النفسية بسياق سؤال
الله له، مما يُبرز الصلة بين الدعاء واليقين في مواجهة الابتلاء.

كما تتبين في قوله تعالى: ﴿فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ (5) "إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى خلى بينهم

وبين أنفسهم، وما ينضح منها من مكر وضلال، فتركهم ليد السامريّ يضلهم ويذهب بهم في
مذاهب الضلال كيف يشاء!" (6). حيث تشير الآية إلى وقوعهم في امتحان وابتلاء، كما تُوحى بأن
تساهل الله في ذلك أتاح للسامريّ استغلال ضعفهم الفكري والروحي، مما دفعهم إلى الانحراف
والضلال المبين.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ

فَقَدَفْنَاهَا﴾ (7) إشارة إلى الخلي التي كانوا يلبسونها، يقول الخطيب: "وعبروا عن الخلي،

بالأوزار، لأنها كانت كثيرة من جهة، ولأنها كانت نهباً واختطافاً من جهة أخرى.. فخرجوا من
أن يحملوا هذا الخلي، وقد رزقهم الله كفايتهم من المن والسلوى.. هذا إلى أنه لم تكن بهم من

1/ سورة طه، من الآية: 84.

2/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 8/ 815، 816.

3/ سورة طه، من الآية: 84.

4/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 8/ 816.

5/ سورة طه، من الآية: 85.

6/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 8/ 816.

7/ سورة طه، من الآية: 87.

حاجة إلى المال، في هذا المكان الذي اعتزلوا فيه الناس"⁽¹⁾. كما تبرز إشارة من قولهم: (أوزارًا) وذلك بالنظر إلى ما كانوا يلبسونه من حُلِيٍّ لم يكن ملغًا لهم، ولأنهم أرادوا الخلاصَ منها. ويظهر من قولهم: (فقدفناها) أنهم بادروا بسرعة إلى التخلُّص من الحُلِيِّ المسروقة بمجرّد أن طلب منهم السامريُّ ذلك، وقد شاركهم في إلقائها ليعرّز في نفوسهم الوهم بأنه هو من صنع العجل، وكان في هذه المشاركة إشارة خفيّة منه إلى أن الجميع قد تخلَّصوا من الأوزار التي كانت تثقلهم، ممّا مهّد الطريق لاعتقادهم بصحّة عبادة هذا الإله الجديد، فانساقوا وراء خُدعته دون تردّد.

وأما في قولهم: ﴿ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا ﴾⁽¹⁾ ففيه

"ردُّ على هؤلاء الذين جاءوا في جلود الجمال الوادعة. قائلين إنهم لم يفعلوا منكرًا، بل فعلوا ما يُحمدون عليه. وهو التخلُّص من هذا المال الحرام!!"⁽²⁾. تشير الآية إلى الحلي التي أخذوها من بني إسرائيل، ورجبتهم في التخلُّص بإهدائها إلى السامريِّ تكفيرًا عن خطيئتهم. إلا أن السامريِّ استغلَّ سداجتهم، فتظاهر بأنه جمع هذه الحليِّ وألقاها في النار، ثمَّ أخرج لهم تمثالًا على شكل عجلٍ يُصدر صوتًا يُشبهه حوار العجل، وأقنعهم بأنه إلههم الجديد، ممّا جرّأهم على قولهم: ﴿ هَذَا

إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَسِيَ ﴾⁽³⁾. يقول عباس: "وفي هذا أعظم دلالة على تخلُّل العقيدة في

نفوسهم، وانعدام نورها، فكيف يصحُّ في عقل عاقل أن يجعلوا العجل إلهًا لهم ولموسى كذلك، وأن يُبادروا فيصفوا موسى بالنسيان، والقرآن يُصوِّر ذلك بلحاتٍ سريعةٍ خاطفةٍ مُعبِّرةٍ، فذكر منها هذه الواو - واو الجماعة - ﴿ فَقَالُوا ﴾ فلم يصدر هذا القول إذن عن السامريِّ وحده، وإنما

اشتركوا فيه جميعًا. ثمَّ هذه (الفاء) ﴿ فَسِيَ ﴾، كأنهم أرادوا أن يُثبِتوا ذلك دون تمهّلٍ وتريُّثٍ"⁽⁴⁾.

وفي قوله: (فقالوا) إشارة إلى سرعة تصديقهم لقول السامري دون تردّد أو تفكير، في دلالة على سفاهة عقولهم وضعف بصيرتهم. فجاء التصوير بأوجز الألفاظ وأبلغها.

1/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 8/ 817، 818.

1/ سورة طه، من الآية: 87.

2/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 8/ 818.

3/ سورة طه، الآية: 88.

4/ فضل عباس، القصص القرآني إحاؤه ونفحاته، ص: 290، 289.

بينما يُشيرُ فضل عباس إلى إحياءِ يُفهمُ من قولِ هارونَ للملأ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾⁽¹⁾، حيثُ يقول: "ويُصورُ القرآنُ الكريمُ لنا هذه النَّفْسِيَّةَ المستغرقةَ في الباطلِ، بما تحملُه الكلماتُ القرآنيَّةُ ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾⁽²⁾، فانظر إلى موقع هذه الكلمة (لن) وما بعدها. هكذا سيظنُّونَ في غيِّهم سائرينَ حتَّى يرجعَ إليهم موسى - كما يقولونَ - وما أبدعَ هذا النَّمطَ في تصويرِ الأحداثِ"⁽³⁾. حيثُ يتجلى عمقُ ضلالِهم واستغراقِهم فيه. في مشهدٍ بليغٍ يرسمُه القرآنُ بإيجازٍ وإحكامٍ.

وفي قوله تعالى على لسانِ موسى -ﷺ-: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهَائِكِ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا

لنَحْرَفَتَهُ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾⁽⁴⁾ إشارةً إلى تخصيصِ السَّامريِّ، يقول الخطيبُ: "هو خطابٌ من موسى إلى السَّامريِّ، وإلى بني إسرائيلَ جميعًا. وخصَّ السَّامريُّ بالخطابِ؛ لأنَّه رأسُ الفتنة، ومُدبِّرُها، ومُخرجُ هذا الإلهِ للنَّاسِ في العجلِ الذي صوَّره"⁽⁵⁾. وهذا يُلمحُ إلى أنَّ السَّامريِّ كان رأسَ الفتنة ومحرِّكها، والمسؤولَ الأوَّلَ عن صنعِ هذا العجلِ وإخراجه، غير أنَّ أتباعه قد شاركوه الإثمَ بسببِ قبولهم لما فعل، وعبادتهم لما صنع.

• قصَّةُ قارونَ

كانَ قارونُ من قومِ موسى -ﷺ-، إلاَّ أنَّه بَغى عليهم وتجبَّرَ، مُستندًا إلى ما آتاه اللهُ من مُلكٍ وغنى فاحشٍ، فلم يشكُرْ نِعْمَةَ رَبِّه عليه، بل تجاوزَ حدَّه في الطُّغيانِ على موسى -ﷺ- وقومه، يقولُ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ

بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾⁽⁶⁾، يكشفُ لنا سياقُ هذه القصَّةِ عن إحياءِ بليغٍ يُعبِّرُ عنه عباس بقوله: "ويشمخُ قارونُ، فيخرجُ عن طورِ الحقِّ ويتملِّكُه الشيطانُ فيعلنُ أنَّ ما أُوتِيهَ إنَّما كان بسببِ علمه وخبرته ومهارته، وكما يُطغي المالُ صاحبه فإنَّ العلمَ

1/ سورة طه، من الآية: 90.

2/ سورة طه، من الآية: 91.

3/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 290، 289.

4/ سورة طه، من الآية: 97.

5/ التفسير القرآني للقرآن، 8/ 822.

6/ سورة القصص، الآية: 76.

كذلك مع أنَّ العلمَ والمالَ نعمتانِ حريٌّ بهما أن تصلحَ النفوسُ، وتنعمَ المجتمعاتُ...⁽¹⁾. في إشارةٍ إلى أنَّ العلمَ والمالَ قد ينقلبان إلى سببٍ للطُّغيانِ إذا تملَّك الغرورُ الإنسانَ، فيستولي عليه الشيطانُ ويجعله ينسبُ الفضلَ لنفسه ويُنكرُ عطاءَ الله تعالى.

كما تبدو هذه القصةُ كأنَّما تصِفُ حالَ المُشركينَ الذينَ كانوا في زمنِ النَّبيِّ -ﷺ- حيثُ يُوصَفُ الخطيبُ حالهم بقوله: "فالمُشركونَ في صورتهم العامَّة، فراعينُ، في عتوِّهم وضلالهم، تتحرَّكُ في كيانهم أجسامٌ غريبةٌ، من اليهودِ الذينَ جمعوا أموالاً كثيرةً، بأساليبٍ لا يُحسِنُها غيرهم.. وبهذا تكتملُ المُشابهةُ بينَ مجتمعِ المُشركينَ، ومُجتمعِ فرعونَ.. فكلا المُجتمعينِ يتشكَّلُ من عنصرٍ أصيلٍ، وعنصرٍ دخيلٍ عليه"⁽²⁾. وتلك إشارةٌ من إشاراتِ القرآنِ إلى استمرارِ هذا الصِّراعِ باستمرارِ البشريَّةِ.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَايَاتُهُ مِنْ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ

لَنُنَوِّئُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾⁽³⁾ يُشيرُ الخطيبُ إلى أنَّه "استحضارُ لأهلِ الكتابِ في شخصِ اليهودِ، ثمَّ استدعاءُ لليهودِ في شخصِ أغنيائهم، وأصحابِ الثَّراءِ فيهم، ممَّن هم على شاكلَةِ أبيهم قارونَ. هذا الاستدعاءُ هو نذيرٌ لليهودِ من قَبْلِ أن يلقاهُم الرَّسولُ لِقَاءً مُباشراً؛ حتَّى يأخذوا جذرَهُم لأنفسهم من أن يَفْقُوا من قومهم موقفَ قارونَ في أجدادهم، حينَ يدعُوهم الرَّسولُ إلى الله، فيتصدَّى منهم (قارونُ)، أو أكثرُ من (قارونَ) لهذه الدَّعوةِ. فإنَّهم إن فعلوا، أخذَهُم اللهُ كما أخذَ قارونَ من قَبْلِ"⁽⁴⁾. ففي هذا إحياءٌ إلى ذلكمُ التَّحالفِ الذي دارَ بينَ اليهودِ والمُشركينَ؛ لأجلِ مُحاربةِ الدِّينِ الإسلاميِّ في السِّرِّ والعلنِ. فالإحياءُ هنا هو تحذيرٌ مُبطَّنٌ بأنَّ الاستمرارَ في الغطرسةِ والرِّفضِ للدَّعوةِ الإلهيَّةِ سيجلبُ عليهمُ الهلاكَ والجزاءَ الأليمَ، كما حدثَ في الماضي معَ من كانَ قَبْلَهُم.

كما يلفتُنَا الخطيبُ في قوله تعالى واصفاً هذه الكنوزَ: ﴿وَأَيُّنَهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَنُنَوِّئُ

بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾⁽⁵⁾ "وفي إسنادِ الفعلِ إلى المفاتيحِ، وهي المداخلُ إلى هذه الأموالِ، وجعلها

هيَ التي تنوءُ بالعُصبةِ أُولَى القوَّةِ - إشارةٌ إلى ما قامَ على هذه الكنوزِ من قوَى شديدةٍ ذاتِ بأسٍ

1/ فضل عباس، القصص القرآني إبحاره ونفحاته، ص: 416، 417.

2/ التفسير القرآني للقرآن، 10 / 382.

3/ سورة القصص، من الآية: 76.

4/ التفسير القرآني للقرآن، 10 / 383.

5/ سورة القصص، من الآية: 76.

مَنْ الخزنَةِ والحرس، حتَّى إنَّها لنتوء، وتضعفُ عن حملِ هذه القوى القائمةِ عليها⁽¹⁾. حيثُ يوحي إلى ضخامةِ هذه الثرواتِ وقوةِ الذين يتحكَّمون فيها، ويُشيرُ ضمناً إلى أنَّ السلطةَ والمالَ مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، وقد يكونُ لهما أثرٌ سلبيٌّ على من يحملهما بسببِ ثقلِ المسؤولية، أو قد يؤدي إلى تعنتٍ وطغيانٍ.

يقولُ الخطيبُ: "وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾⁽²⁾ - إشارةٌ إلى أنَّ الفرخَ

المكروه، هو الفرخُ المُبالغُ فيه، والذي يُخلي نفسَ صاحبه من كلِّ شعورٍ بقدرةِ الله، وبما لهذه القدرة من تصريفٍ في شئون العباد، وتقلبِ أحوالهم.. فلو ذكرَ المرءُ هذا في حالٍ من أحوال فرحه، لتخفَّفَ كثيراً ممَّا هو فيه من فرح، ولعلَّ أنَّها حالٌ لا تدوم، وأنَّه إذا لم يكن في مجريات الأحداثِ ما يقطعُ هذه الفرحةَ، قطعها الموتُ، وما وراءَ الموتِ من حسابٍ وجزاءٍ"⁽³⁾. فالآيةُ تُحذِّرُ من الفرخِ المفرطِ الذي يُورثُ الغرورَ ويجعلُ الإنسانَ ينسى قدرةَ الله وتدييره للأمر، ممَّا يُوقعه في الغفلةِ والتكبرِ.

وفي قولِ الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽⁴⁾ يُشيرُ عباسُ إلى تعقيبِ القرآنِ على قصةِ قارونَ كما عَقَّبَ على قصةِ الملأِ من بني

إسرائيلَ مُتَعَجِّباً من التعبيرِ القرآني الدقيق، حيثُ يقولُ: "وما أبدعَ هذا الأسلوبَ! وما أدقَّ التعبيرَ! لم يقلِ القرآنُ نجعلُها للذين لا يستعلونَ ولا يُفسدونَ وإنما للذين لا يُريدونَ العلوَّ ولا الفسادَ وشتانَ بينَ التَّعبيرينِ الذين يُريدونَ الآخرةَ، إذن ينبغي أن يكونوا بعيدينَ لا عن العلوِّ والفسادِ فحسب، بل عن إرادتهما والتَّفكيرِ بهما، والعاقبةُ للمتقين"⁽⁵⁾. وفي هذا التَّعقيبِ إشارةٌ إلى مُشابهةِ حالِ الملأِ من بني إسرائيلَ، معَ حالِ قارونَ، حيثُ اشتراكاً في هذا الفسادِ والعلوِّ. لذا جاء النَّهْيُ هنا تحذيراً من مَعَبَةِ ذلكِ الجُرمِ العظيمِ، كما تتناغمُ الآيةُ بعدَ سردِ القِصَّتينِ وفي الرِّدِّ عليهما معاً، وما اشتمَلْنَا عليه من النَّهْيِ المذكورِ في الآيةِ.

بينما يرى الخطيبُ أنَّه "تعقيبٌ على هذه القصة، التي كان مدارُ حركتها قائماً على هذه الدنيا، وقد انتهى المشهد، وقد تحطَّم هذا الدُّولابُ، وتحطَّم كلُّ ما احتواه.. وإنَّ فلا التفاتَ إلى هذا الحطامِ، ولا اشتغالَ به.. وإنَّ فإلامَ تنلفتُ النَّفوسُ؟ وبم تشتغلُ القلوبُ؟ هذه هي الدار الآخرة..

1/ التفسير القرآني للقرآن، 10/ 384.

2/ سورة القصص، من الآية: 76.

3/ التفسير القرآني للقرآن، 10/ 384، 385.

4/ سورة القصص، الآية: 83.

5/ القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، ص: 418.

الدار الباقية التي ينبغي أن يلتفت إليها، ويشتغل بها⁽¹⁾. حيث تشير الآية إلى تحذير الله لعباده من الاقتراب مما يؤدي إلى سخطه وعقابه في الدنيا، داعية إلى الحرص الشديد على تجنب إرادة معصيته والابتعاد عن كل ما فيه فساد وتكبر، وكل ما قد يجر إلى عذاب شديد في الآخرة.

• قصّة لقمان

عاش لقمان الحكيم "حتى أدرك داود -عليه السلام-، وأخذ منه العلم، وكان يُفتي قبل مبعثه، والجمهور على أنه كان حكيماً، وأنه لم يكن نبياً، والحكمة في عُرْف العلماء: استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها"⁽²⁾. وقد أُوتِيَ لقمان الحكمة والعلم معاً، ونال شرف الانتساب للأنبياء، إذ تتلمذ على يد من آتاه الله العلم والحكمة والحكم والنبوءة، وسار على طريقه الذي رسمه، وفي ذلك إشارة إلى غلو كعب لقمان، وإن لم يكن في مرتبة الأنبياء.

وفي هذا يقول ابن عاشور: "ويظهر من الآيات المذكورة في قصته هذه أنه لم يكن نبياً؛ لأنه لم يمتن عليه بوحي، ولا بكلام الملائكة، والإقتصار على أنه أُوتِيَ الحكمة يومئذ إلى أنه ألهم الحكمة، ونطق بها؛ ولأنه لما ذكر تعليمه لابنه قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾⁽³⁾، وذلك مؤذن بأنه تعليم، لا تبليغ تشريع"⁽⁴⁾. فقد اعتبر ابن عاشور ورود لفظ (يعظه) ليس فيه دلالة على أنه كان نبياً مُرسلاً، لكن هذا اللفظ ورد في سياق الحديث عن بعض الأنبياء أيضاً، فمما ورد من ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽⁵⁾ حيث جاءت هذه الآية تعقيباً على قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبِّئُكَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾⁽⁶⁾، حيث نزلت الآية في شأن إسهاد النبي -
ﷺ- على أمة الإسلام. فمن هذا يظهر أن في مجيء التعبير القرآني بكلمة (يعظه) مع لقمان،

1/ التفسير القرآني للقرآن، 392/10.

2/ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 4/ 346.

3/ سورة لقمان، من الآية: 13.

4/ التحرير والتنوير، 21/ 149.

5/ سورة النحل، الآية: 90.

6/ سورة النحل، الآية: 89.

ومجيء كلمة (يَعْظُمُكُمْ) مع سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - ﷺ - ليس فيهما اختصاصٌ بالحكيم دون النَّبِيِّ، ولا بالنَّبِيِّ دون الحكيم؛ لذا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لُقْمَانُ نَبِيًّا.

ثمَّ يَرْجَحُ الْخَطِيبُ الْقَوْلَ بِأَنَّ لُقْمَانَ كَانَ نَبِيًّا، وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ سَمَّى سُورَةً بِاسْمِهِ، كَمَا سَمَّى سُورًا بِأَسْمَاءِ عَدِيدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، حَيْثُ تَرْمُزُ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ إِلَى أَهْمِيَّةِ الْمُسَمَّى وَعَلَوْ قَدْرِهِ، سِوَاءَ أَكَانَ ذَلِكَ فِي مَقَامِ الْخَيْرِ، أَوْ فِي مَجَالِ الشَّرِّ⁽¹⁾. وَالَّذِي يَظْهَرُ هُوَ أَنَّ لُقْمَانَ جَمَعَ بَيْنَ الْحِكْمَةِ وَالنُّبُوَّةِ، كَنَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ - ﷺ -. فِي اخْتِصَاصِ لُقْمَانَ بِتَسْمِيَةِ سُورَةٍ بِاسْمِهِ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى اِحْتِمَالِيَّةِ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا. غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِتَسْمِيَةِ سُورَةٍ بِاسْمِ مَرْيَمَ - ﷺ - وَهِيَ لَيْسَتْ نَبِيَّةً.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾⁽²⁾ يُشِيرُ الْخَطِيبُ إِلَى أَنَّ "الْحِكْمَةَ الَّتِي أُوتِيَهَا

لُقْمَانُ، حِكْمَةٌ رَبَّانِيَّةٌ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْحِكْمِ الْمُكْتَسَبَةِ، الَّتِي يُحْصِلُهَا الْحُكَمَاءُ وَالْفَلَسَفَةُ بِالْبَحْثِ وَالنَّظَرِ، وَإِنَّمَا هِيَ فَضْلٌ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، كَالرَّسَالَةِ، وَالنُّبُوَّةِ. الَّذِينَ لَا تُكْتَسَبَانِ بِتَحْصِيلِ وَاجْتِهَادٍ"⁽³⁾. فِي إِشَارَةٍ مِنْهُ إِلَى أَنَّهَا كَانَتْ نَبُوَّةً رَبَّانِيَّةً مَمْرُوجَةً بِالنُّبُوَّةِ وَبِالْعِلْمِ، وَفِي اصْطِفَائِهِ لِلْقَمَانِ مَزِيَّةً لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ. فَمَا نَطَقَ بِهِ لُقْمَانُ كَانَ وَحِيًّا بِصُورَةٍ عَدِيدٍ مِنَ الْحِكْمِ. فَكَمَا ارْتَأَى بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ النَّسَاءَ يُنْبَأَنَّ⁽⁴⁾، فَلَا ضَيْرَ فِي أَنْ يُنْبَأَ الْحُكَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ، كَلُقْمَانَ - ﷺ -.

وَفِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾⁽⁵⁾ يَقُولُ ابْنُ

عَاشُورَ: "وَجِيءَ فِي فِعْلِ (يَشْكُرُ) بِصِيغَةِ الْمُضَارَعِ؛ لِلإِيْمَاءِ إِلَى جِدَارَةِ الشُّكْرِ بِالتَّجْدِيدِ. وَاللَّامُ

1/ التفسير القرآني للقرآن، 11/ 564.

2/ سورة لقمان، من الآية: 12.

3/ التفسير القرآني للقرآن، 11/ 564.

4/ قال السفاريني الحنبلي: "فلا تكون أنثى نبيه خلافا لأهل التوراة الزاعمين بنبوته مريم بنت عمران أخت موسى وهارون - ﷺ -، وقد خالف في اشتراط الذكورة أبو الحسن الأشعري ثم القرطبي، وتبعهما على ذلك أناس من العلماء، والحق اعتبار الذكورية لأن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع، وقد حكى العلامة ابن الملقن في شرحه على عمدة الأحكام خلافا في نبوة مريم وآسية وسارة وهاجر وأم موسى - ﷺ -". لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، 2/ 266.

5/ سورة لقمان، من الآية: 12.

في قوله: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي﴾⁽¹⁾ داخلةً على مفعول الشُّكر، وهي لامٌ مُلتزِمٌ زيادتها مع مادة الشُّكر؛ للتأكيد، والتَّقوية⁽²⁾. في إشارةٍ إلى دوام تَجَدُّدِ الشُّكر، والسَّعي إلى توكيده، وتقويته.

وفي قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ، فِي عَامَيْنِ﴾⁽³⁾ "إشارةً إلى أخفى لونٍ في الصورة التي نبتَ منها الولد، ونشأ في حجر والديه، وإفادت للولد إلى هذا الخيط الواهي من الحياة التي كانت له، والتي أمسكت به الأمُّ، نطفةً ثمَّ علقَةً.. ثمَّ ما زالت تُمسكُ بهذا الخيط في حرصٍ وحذرٍ، وتفرُّزٍ له من عُصارة حياتها ما يزيده على الأيام قوَّةً ونماءً، حتَّى تفتق عنه رحمها وليدًا، طفلاً، ثمَّ ما زالت به تحملهُ بين يديها، وتضمُّهُ إلى صدرها، وترضعهُ من لبنها، حتَّى يُفطم، ويرفع فمه عن هذا الينبوع الذي يمتصُّ منه رحيقَ الحياة، ليستقبل بعد هذا ما يمده به والداه من طعامٍ، حتَّى يشبَّ ويكبُر، ويستطيع أن يسعى سعيه في الحياة"⁽⁴⁾. فكما قرَّرَ القرآنُ ذِكْرَ أنعم الله على خلقه، وفي استحقاقه منهم لعبادته وحده لا شريك له؛ لأنَّه خالقُ كلِّ شيءٍ، فكذلك لم يُعْمل ما كانَ للأبوين من فضلٍ على الإنسان؛ لأنَّهما سببُ وجوده، ولاستحقاقهما هذا الإحسان منه، ولو كانا غيرَ مؤمنين بالله تعالى إعظامًا لقدرهما.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾⁽⁵⁾ "إشارةً إلى أن صاحبَ الكبْر والنَّيبه، كما يُلْقَى الكراهية، والنُّفورَ من النَّاس، فإنَّه يُلْقَى البُغْضَ من الله، والبُعدَ عن مواقعِ رضا. لأنَّ الكبْرَ مفتاحُ كلِّ رذيلةٍ، وبابُ كلِّ شرٍّ وضلالٍ. وما أُوتِيَ المُشركونَ الذين تحدَّوا رسالةَ الإسلام، وعمَّوا عن مواقعِ الهدى منها - إلا من كبرهم، وعُجِبهم بأنفسهم، وبما زيَّنت لهم أهواؤهم"⁽⁶⁾. حيثُ يُشيرُ النَّصُّ إلى أنَّ الكبْرَ هو أصلُ كلِّ الرذائلِ والشرور، وأنَّه السببُ الذي دفعَ المُشركين إلى الغرق في الضلالِ بسببِ تعظيمهم لأنفسهم ووهمهم بما لديهم.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾⁽⁷⁾ يقول الخطيب: "تنفيرٌ من رفع الصَّوت، والخروج به على حدودِ الحديثِ المُدارِ بين الجماعة - ولكأنَّ هذا الذي يُطلقُ صوته على مداه في مجلسٍ من المجالس، هو حمائرٌ، أُطلقَ صوته، فقطعَ على الجماعة حديثها.

1/ سورة لقمان، من الآية: 14.

2/ التحرير والتنوير، 21 / 153.

3/ سورة لقمان، من الآية: 14.

4/ التفسير القرآني للقرآن، 11 / 567.

5/ سورة لقمان، من الآية: 18.

6/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 11 / 573.

7/ سورة لقمان، من الآية: 19.

فليكن مثل هذا الحمار إن شاء"⁽¹⁾. وهي إشارة إلى قُبْح هذا التَّصَرُّفِ، إذ لا يُمكنُ لإنسانٍ عاقلٍ أن يرضى لنفسه أن يكونَ حمارًا، وإِنَّمَا كَانَ هذا الوصفُ رجاءً أن يَكْفَى عن هذا الفعلِ الدَّيْءِ.

وهنا يُشيرُ الخطيبُ إلى اشتراكِ قصَّةِ لقمانَ وقومه مع موقفِ النَّبِيِّ - ﷺ - ومشركي قومه بقوله: "كَانَتْ قِصَّةَ لِقْمَانَ، وما آتاهُ اللهُ مِنْ حِكْمَةٍ، عَرَفَ بِهَا رَبَّهُ، وَأَقَامَ كَيْانَهُ كُلَّهُ عَلَى حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ، ثُمَّ مَا كَانَ مِنْ وَصَاتِهِ لِابْنِهِ، وَرَسَمَ مَعَالِمَ الطَّرِيقِ إِلَى الْخَيْرِ، وَالهُدَى لَهُ - كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مَعْرُضًا لِلْمُشْرِكِينَ يَرَوْنَ فِيهِ مَوَاقِعَ رَحْمَةِ اللهِ فِي عِبَادِهِ، وَمَا يَسوقُ إِلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَةِ الْعِلْمِ الَّذِي يَعْرِفُونَ بِهِ رَبَّهُمْ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ مِنْ آيَاتِ اللهِ ..."⁽²⁾. فبالرُّغمِ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قد حملَ إلى قومه تلكَ الجِدْوَةَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْبَيَانِ، وَكَلَّ مَا فِيهِ إِبْرَارًا لِحِكْمَةِ اللهِ مِنْ إِرْسَالِهِ، وَمَعَ إِنْزَالِهِ عَلَيْهِ كِتَابِهِ، وَمُنِحِهِ تِلْكَ الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْرُوا عَلَى تَكْذِيبِهِ، بَلْ وَالنَّيْلِ مِنْهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا الْحُجَّةَ وَالْبِرْهَانَ، وَأَوْكَلَهُمْ إِلَى نَفْسِهِمُ الْخَبِيثَةَ، وَإِلَى شَيْطَانِهِمُ الَّذِينَ يُدَبِّرُونَ لَهُمْ، وَيَحِيكُونَ كُلَّ مَا فِيهِ إِسْفَافٌ بِحَقِيقَةِ هَذَا الدِّينِ، وَبِحَقِيقَةِ هَذَا الرَّسُولِ الْخَاتِمِ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ.

ويختتمُ الخطيبُ الحديثَ عن القِصَّةِ بقوله: "وَمَا هُوَ ذَا رَسُولُ اللهِ، يَحْمِلُ الْحِكْمَةَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَيَكْشِفُ لَهُمْ بِهَا الطَّرِيقَ إِلَى اللهِ، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ هَذَا يَأْبُونَ أَنْ يَقْبَلُوا هَذَا الْخَيْرَ الْمُسَاقَ إِلَيْهِمْ، وَأَنْ يَنْتَفِعُوا بِهِ"⁽³⁾. حيثُ آمَنَ بِهِ مَنْ كَانَ لَهُ رُشْدٌ مِنْ أَمْرِهِ، وَكُلُّ مَنْ قَادَتْهُ فِطْرَتُهُ السَّالِمَةُ - الَّتِي لَمْ تَخْتَلِطْ بِأَدْرَانِ الْجَاهِلِيَّةِ - إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَبِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، فَبِذَلِكَ حَازُوا الْمَرْتَبَةَ الْعُلْيَا، وَصَارُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وهنا أودُّ الإشارةَ إلى أنني - وفقا لما اطلعت عليه في كتابي فضل عباس حول القصص القرآني، وما كتبه حول الإعجاز القرآني - لم أجد له تناولا لإيحاءات هذه القصة، سوى ما يُحتملُ أنه ذكره في تفسيره الموسوم بـ (تفسير القرآن المجيد).

• قِصَّةُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ

جاءتْ قِصَصُ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ فِي كِتَابِ اللهِ مَمْلُوءَةً بِالْعِبَرِ، وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْقَلَمِ، يَقُولُ عَبَّاسٌ: "وَبَعْدَ أَنْ حَدَّثَ اللهُ نَبِيَّهُ وَحَبِيبَهُ الْمَجْتَبَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَنْ يُطِيعَ مَنْ اتَّصَفُوا بِصِفَاتِ السُّوءِ ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾⁽⁴⁾، عَقَّبَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا

1/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 11/ 574.

2/ التفسير القرآني للقرآن، 11/ 575.

3/ المصدر نفسه، 5/ 518.

4/ سورة القلم، الآية: 10.

بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴿١﴾، ويظهرُ أنَّ القصةَ كانت معروفةً عند القوم، يدلُّنا على ذلك النَّظْمُ

الكرِيمُ ﴿٢﴾ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴿٣﴾، وسواءً أكان أصحابُ الجنةِ عربًا من اليمنِ أم غيرَ عربٍ

من بني إسرائيل، فذلك أمرٌ لا تتعلَّقُ به عبرةٌ، والقرآنُ الكريمُ يطوي مثلَ هذه الجزئياتِ⁽²⁾. يرى عباسٌ أنَّ هذا يشيرُ ضمناً إلى أنَّ القصةَ كانت مُتداولةً ومعلومةً عند المُخاطبين، ممَّا يسهِّلُ عليهم فهمَ الدرسِ المقصودِ. فعلى الرَّغم من عدمِ وضوحِ هذه الدلالةِ التي ذهب إليها عباسٌ، إلَّا أنَّه نظرَ إلى الأسلوبِ البلاغيِّ المُستعملِ في القصة، فحينَ يبدأُ القصةَ - وكانَّ الطرفَ الآخرَ يعرفُها - يُوحى بأنَّهم قد سمعوا بها أو تداولوها من قبلُ، إمَّا من بقايا أخبارِ أهلِ الكتاب، أو من الثُّراثِ الشَّفهيِّ المُتداولِ في الجزيرةِ العربيةِ. فالقرآنُ هنا لا يبدأُ بتعريفِ (مَنْ هم أصحابُ الجنةِ) بل يدخلُ مباشرةً في العبرةِ، وهذا ما جعلَ عباسٌ يقولُ إنَّها كانت معروفةً عند القوم.

في حينَ يلفتُننا الخطيبُ إلى إشارةٍ أهمُّ، ألا وهي ما احتوت عليه هذه الآيةُ من أنَّ "ابتلاءَ أصحابِ الجنةِ هؤلاءِ الذينَ ابتلى اللهُ سبحانه مُشركي قريشٍ - كما ابتلاهم - هو فيما كان منهم من تدبيرِ سيِّءٍ، ومكرٍ بنعمِ اللهِ عليهم، فكانَ أن انتزعَ اللهُ سبحانه هذه النعمةَ من بين أيديهم، وقتلهم بالسِّلاحِ الذي كانوا يُحاربونَه به"⁽³⁾. حيث يرى الخطيبُ أنَّ مثلَ أصحابِ الجنةِ يُوازي حالَ مُشركي قريشٍ، إذ قابلوا نِعَمَ اللهِ بالمكرِ وسوءِ التدبيرِ، فجاءهم العقابُ من جنسِ عملهم، وتحذيرُ القرآنِ لهم إنذارٌ بعاقبةٍ مُماثلةٍ لسلوكهم.

وفي تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾⁽⁴⁾ يقولُ عباسٌ: "يُحدِّثنا القرآنُ أنَّه

طافَ عليها طائفٌ من ربِّكَ بهذه العبارةِ المُصوِّرةِ المُوحيةِ، لقد أحاطَ بها هذا الطائفُ، هذه الجائحةُ السَّماويةُ فلم تتركَ منها سرباً واحداً، بل لم تتركَ شجرةً بل فرعاً بل ثمرةً واحدةً، كلُّ هذا وهم نائمونَ، ويأتي الصَّبَّاحُ؛ يتنفسُ الصُّبْحُ فماذا عن الجنةِ؟ ﴿ فَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾⁽⁵⁾ كأنَّها الليلُ، سوداءٌ أحرقتُها الإعصارُ، كلُّ هذا وهم بعيدونَ لا يدرونَ بالأمرِ"⁽⁶⁾. إذ إنَّ تشبيهها بالصَّرِيمِ يُعمِّقُ الإحساسَ بالمشهد، إذ تبدو وكأنَّها تحوَّلت إلى ليلٍ حالِكِ السَّوادِ بعدَ أن كانت خضراءَ يانعةً،

1/ سورة القلم، من الآية: 17.

2/ قصص القرآن الكريم، ص: 733.

3/ التفسير القرآني للقرآن، 15 / 1092.

4/ سورة القلم، من الآية: 19.

5/ سورة القلم، من الآية: 19.

6/ فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ص: 734.

فيجمع النص بين المفاجأة الكاملة وشدة الدمار في إطار تصويري بليغ. لأن من عادة الله في كونه أن يأتي عذابه ونقمة فجأة، والناس على حين غفلة من أمرهم؛ لأن أخذَه للظالمين أليمٌ شديدٌ.

ويوافق الخطيب عباساً أن في قوله تعالى: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾⁽¹⁾ "إشارة إلى أن هذا

الطائف المرسل إليها من عند الله، قد وضع يده عليها شجرة شجرة، وثمره ثمرة، فلم يُبق ممّا مرّت عليه يده من ثمارها شيئاً"⁽²⁾. أي أن هذا الطائف اجتاح الجنة بأسرها، فلم يُبق منها شيئاً، كطوفان عارم يكتسح كل ما يعترض طريقه، ويدمره ويتركه خراباً.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴾⁽³⁾ يُشير الخطيب إلى أن هذا "من قول بعضهم لبعض،

وفيه تحريض لأنفسهم على المبادرة والإسراع بتنفيذ ما اتفقوا عليه. وكأن كلاً منهم يقول لصاحبه: هيا أسرع!! ماذا جرى؟ ألا تريد أن نمضي فيما عزمنا عليه؟ فلم هذا التباطؤ إذن؟"⁽⁴⁾. الإيحاء في قول الخطيب هو أن التعبير (إن كنتم صارمين) ليس مجرد وصف لحالة أو موقف، بل يحمل في طياته حركة حثّ وتشجيع داخلي بين المتأمرين، ويعكس استعجالهم وعزمهم القوي على تنفيذ خطتهم بسرعة وإحكام.

كما تبرز إشارة في قوله تعالى: ﴿ فَانظُرُوا وَهُمْ يَوَخَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴾⁽⁵⁾ إلى

"أنهم سرعان ما اجتمع أمرهم، فانطلقوا مسرعين، يتحدث بعضهم إلى بعض، في صوت خفيض هامس، حتى لا يُحس بهم أحد، ولا يستيقظ على خطوهم أو صوتهم من يشهد ما يفعلون، وهم يجنون ثمر جنتهم"⁽⁶⁾. فالقرآن يُصور حركتهم وهم في حالة من الخفة والسُرعة، وكل هذا لأجل أن لا يفتن بهم من حولهم، ممن هو في حاجة ماسة إلى بعض ثمر جنتهم، وإلى فضل إحسان منهم.

وفي وصف حالهم أثناء خروجهم مُبكرين على عجل يقول عباس: "وهم يشعرون أنهم

متأخرون كأنما يريدون أن يستدركوا ما فاتهم، هذا ما تُعطيه هذه الكلمة الكريمة ﴿ فَانظُرُوا ﴾⁽⁷⁾،

1/ سورة القلم، من الآية: 19.

2/ التفسير القرآني للقرآن، 15/ 1096.

3/ سورة القلم، من الآية: 22.

4/ التفسير القرآني للقرآن، 15/ 1097.

5/ سورة القلم، من الآية 23، 24.

6/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 15/ 1097.

7/ سورة القلم، من الآية: 23.

أما قوله تعالى: ﴿يَخْفَتُونَ﴾⁽¹⁾ فما أكثر ما تُعطيه هذه الجملة وما تُلقيه من ضلالٍ فعلى الرغم من أنهم وحدهم سائرون في الصباح لا يسمعون أحدٌ ومع ذلك فهم يتساورون فيما بينهم، ولا داعي لهذا الإسرار ولا حاجة له⁽²⁾. مما يثير التساؤل عن سبب هذا الإسرار والتكتم، وهو ما يعكس طبيعة سلوكهم المشبوه والمريب. وذلك كله بسبب إغواء الشيطان لهم، وتزيينه لأتباعه، حتى إذا أقدموا على ما فيه هلاكهم، تبرأ منهم ومن فعالمهم، وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾⁽³⁾.

كما ذهب الخطيب إلى أن قوله تعالى: ﴿مُصِحِّينَ﴾⁽⁴⁾ فيه إشارة إلى "أنهم يريدون بهذا التذكير المبادرة إلى إنجاز الأمر قبل أن يفضحهم النهار، وتأخذهم أعين الفقراء والمساكين"⁽⁵⁾. فقد كان في خروجهم مصححين مبكرين إحياءً يُصور الحالة التي كانوا عليها، فكان هروباً من تریص أعين الناس بهم وملاحقتهم.

ثم تصف الآية الكريمة الحالة السلوكية والنفسية التي عايشها أصحاب الجنة بهذه الكلمة المعبرة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَمَّظُونَ﴾⁽⁶⁾ إذ يقول عباس: "يُصَوِّرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الذُّهُولَ الَّذِي أَصَابَهُمْ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَانَ فِي وَادٍ بَعِيدًا عَنِ صَاحِبِهِ، كَانَ فِي شُرُودٍ وَذُهُولٍ وَهَلَعٍ"⁽⁷⁾. حيث يتضح في لوم بعضهم بعضاً إشارة إلى الإختلاط الحاصل في أصواتهم وارتفاعها بالقول واللوم. وكلُّ هذا الحوار يجري بينهم وهم في حالة نفسية تعتربها الحيرة والحسرة والإحباط لعلمهم بأن ما نزل بهم لم يكن إلا بسبب أنهم لم يتخلصوا من ذلكم الجشع، بل تلبسوا بالإنانية وخضعوا لذلك الشح الذي ملأ قلوبهم وأعمى بصائرهم، فكان جزاؤهم أن عاقبهم الله بسوء فعلهم، وختم لهم بإحراق جنتهم، وجعل عاليها سافلها، ودمرها تدميراً لم يُبق منها شيئاً.

1/ سورة القلم، من الآية: 23.

2/ قصص القرآن الكريم، ص: 734.

3/ سورة الأنفال، الآية: 48.

4/ سورة القلم، من الآية: 21.

5/ التفسير القرآني للقرآن، 15/ 1097، 1098.

6/ سورة القلم، الآية: 30.

7/ قصص القرآن الكريم، ص: 735.

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾⁽¹⁾ إشارة إلى ما "راه القرآن مستحقاً

للذكر من أحاديثهم، هو قول أوسطهم، وهو أقربهم إلى الخير والحق.. ففي كل جماعة - أياً كانوا⁽²⁾ من الضلال والسفه - بعض النفوس التي لا تخلو من خير، وبعض العقول التي لا تحرم الرؤية السليمة للأمور، في وسط هذا الضلال المنعقد حولها"⁽³⁾. فالقرآن يذكر كل ما كان له استحقاقٌ بذكره في القصة؛ لأنه يؤدي دوره في الحدث القصصي تحقيقاً للمقاصد والأغراض التي من أجلها سبقت القصص، وذلك بأسلوب شائق فائق، وبإعجاز باهر ظاهر.

ويختتم الخطيب عرضه لهذه القصة بتساؤل يثير التفكير ويدعو إلى الموازنة بين حال الفريقين، وكان سؤاله: ما وجه الشبه بين هذا البلاء الذي ابتلى الله به أصحاب الجنة، وما ابتلى الله المشركين به؟. ثم يجيب عن هذا التساؤل بقوله: "الذي ينظر في الآيات التي عرضت لقصة أصحاب الجنة، يرى أنها تمثل تمثيلاً دقيقاً صادقاً موقف المشركين من رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - ومن الخير الذي يبسط به يده الكريمة إليهم، وأنهم كانوا بين يدي هذا الخير، بين مغالين ومقتصدين في التدبير السيئ له، وأن المغالين منهم قد غلبوا على المقتصدين، فكانوا جميعاً في هذا الموقف المنحرف من الخير الذي يدعون إليه، والذي يريدون جرمان الفقراء والمستضعفين من الإتصال به، والإفادة منه. وهكذا تجري أحداث قصة أصحاب الجنة خطوة خطوة، مع مسيرة المشركين..."⁽⁴⁾. فالقرآن عند عرضه لهذه القصص لا يربطها بزمن أو مكان محدد، ولا بأشخاص بعينهم؛ لأنه كتاب خالد صالح لكل زمان ومكان، ولأن أحداثه ونماذجها تتكرر عبر العصور بأشكالٍ وصورٍ مختلفة، لكنها تحمل في جوهرها ما حملته تلك القصص الأولى من عبرٍ ودلالات.

• قصة أصحاب الفيل

أرخ العرب في الجاهلية بحادثة الفيل، واعتبروها حدثاً عظيماً، فكانت مرحلة من مراحل التاريخ عندهم، وبخاصة لدى القرشيين، لا سيما وأن مولد النبي - ﷺ - كان في هذا العام، فكانت حادثة الفيل إرهاباً بميلاده، وعناية من الربّ ببيته. ولقد كان سبب تهديم الكعبة من قبل أبرهة الحبشي، أنه لما رأى تعظيم العرب للكعبة، أراد أن يُغيّر كعبتهم إلى جهة البلاد التي كان قد تغلب عليها من أرض اليمن، فبنى بها بناءً أراد منه صرف العرب عن كعبتهم، واللجوء إلى كعبته

1/ سورة الفلم، الآية: 28.

2/ ويضرب الخطيب مثلاً بقوله: "ففي بيئة فرعون- على ما كان بها من إغراق في الضلال- كانت امرأة فرعون، وكان مؤمن آل فرعون، وقد جعل القرآن لهما ذكراً طيباً في المذكورين من عباد الله المكرمين". التفسير القرآني للقرآن، 15/ 1099.

3/ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 15/ 1099.

4/ المصدر نفسه، 15/ 1103.

المرغومة، فلم يلتفتوا له ولا لبنيانه، فقاده جبروته إلى أن تجرأ على هدم الكعبة، حاملاً معه فيلاً عظيماً، فما كان من أهل مكة بعد مشاورة مع أبرهة إلا أنهم أخلوا مكة له ولجنده ولفيله، حيث تزامن دخول أبرهة إلى مكة مع نزول الداء العُضال الذي نزل بهم آنذاك، ففضى على الجيش بأكمله.

يُبين الخطيب في هذا أن: "القرآن الكريم لا يُشير إلى هذا الداء- داء الجدري- الذي يُقال إنه هو الذي هلك به أبرهة وجيشه، وإنما يتحدث عن طير أبابيل، رمت القوم بحجارة من سجيل، فجعلتهم كعصفٍ مأكولٍ، كما يقول سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ

كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ ﴿١﴾، وهو استفهامٌ تفريري، تنطق به الحال المشاهدة⁽²⁾. إذ يُعدُّ هذا تأكيداً على قدرة الله بحفظ مقدساته وردع المعتدين بأسلوبٍ جلي لا غموض فيه. حيث تبرز منه إشارة واضحة بأن التكبر والظلم على الأرض لا يُنجيان من السقوط والهلاك المحتوم.

يقول الخطيب مُعلقاً على قوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾⁽³⁾: "ولا شك أن هذا

الذي أخذ الله سبحانه وتعالى به هذا الطاغية الذي جاء ليهدم بيت الله، هو آية من الآيات الدالة على ما لهذا البيت عند الله من حرمة، وأنه بيته على هذه الأرض، الذي كان أول بيت وضع للناس، وسيكون آخر بيت يبقى على وجه الأرض.. وأنه لا يزول حتى تزول معالم الحياة من هذا العالم.. ثم إن وقوع هذه الآية مع مطلع ميلاد النبي، هو آية من آيات الله، على ما لرسول الله عند ربّه من مقام كريم، فلا ينزل سوء ببلد هو فيه"⁽⁴⁾. في إشارة إلى أن وقوع هذا الحدث وقت ميلاد النبي -ﷺ- يُعدُّ علامة من علامات عظمة مقامه عند ربّه، ودلالة على حماية الله الخاصة لبلده

المقدس، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾⁽⁵⁾.

ثم يلفت الخطيب إلى إشارة أخرى في السورة وذلك بقوله: "أشارت سورة (الفيل) إلى هذه المنّة العظيمة التي امتن بها الله -ﷻ- على (قريش) إذ دفع عن بلدهم الحرام، وعن بيته الحرام هذا المكروه، ورد عنهم هذا البلاء، وأخذ المعتدي على حرمة هذا البيت أخذ عزيز مقتدر.

1/ سورة الفيل، الآيتان: 1، 2.

2/ التفسير القرآني للقرآن، 16 / 1678.

3/ سورة الفيل، الآية: 5.

4/ التفسير القرآني للقرآن، 16 / 1679.

5/ سورة آل عمران، الآية: 96.

وبهذا وجدت قريش في هذا البلد أمثها، ووجدت في جوار البيت الحرام حماها...⁽¹⁾. مصداقاً لقول قريش إذ ذاك: للبيت رب يحميه، في إشارة منهم إلى أن الله - ﷻ - قد تكفل بحماية بيته الحرام، وذلك من أول بنائه إلى آخر الزمان.

كما يُشير الخطيب إلى الرابطة بين السورتين - الفيل وقريش - بقوله: "وجاءت سورة (قريش) بعد هذا، وكأنها تعقيب على حادثة الفيل، ونتيجة لازمة من نتائج هذه الحادثة. ولهذا وصل كثير من العلماء هذه السورة بسورة الفيل، وجعل اللام في قوله تعالى: ﴿لَا يَلْفِ

قُرَيْشٍ﴾⁽²⁾ لام تعليلٍ مُتعلِّقاً بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾⁽³⁾. أي: جعلهم كعصفٍ مأكولٍ لإيلاف قريش"⁽⁴⁾. وهذا فيه إيماء إلى ما امتن الله به على قريش من النعم، وهو ما يألّفونه من الأمن والأمان الذي يجدونه في رحلتيهما، رحلة الشتاء إلى أرض اليمن، ورحلة الصيف إلى أرض الشام. وهذا فيه إشارة إلى أن الله تعالى قد هزم عدوّهم، وأسبغ عليهم نعمته، لقوله - ﷻ -: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾⁽⁵⁾.

وهنا أود الإشارة إلى أنني - وفقاً لما اطلعت عليه في كتابي فضل عباس حول القصاص القرآني، وما كتبه حول الإعجاز القرآني - لم أجد له تناولاً لإحياءات هذه القصة، سوى ما يُحتمل أنه ذكره في تفسيره الموسوم بـ (تفسير القرآن المجيد).

وفي ختام هذه الدراسة ينبغي التنبيه إلى أن القرآن الكريم خصَّ بعض القصص بذكر مُستقلٍّ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ

وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾⁽⁶⁾. يقول الخطيب في تفسيره للآية: "أن هذا الكتاب مُصدقٌ لما بين يديه من

الكتاب.. والكتاب الأول هو القرآن، والكتاب الثاني هو جميع الكتب السابقة، أي هو مُستولٍ عليها، ومُشتملٌ على أصولها، التي تنضبط عليه، وترجع عند تأويلها إليه.. وقوله تعالى:

﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هو خطابٌ للنبي أن يحكم بين المُحتكمين إليه من اليهود

1/ التفسير القرآني للقرآن، 16/ 1680.

2/ سورة قريش، الآية: 1.

3/ سورة الفيل، الآية: 5.

4/ التفسير القرآني للقرآن، 16/ 1680.

5/ سورة قريش، الآية: 4.

6/ سورة المائدة، من الآية: 48.

والنصارى، بما أنزل الله، وأن يكونَ القرآنُ الذي بينَ يديه هو عمدة الأحكام، يُرجعُ إليه، وتُضبطُ أحكامُ الكتبِ السابقةِ على أحكامِهِ، فما وافقه منها أخذَ به، وما خالفه اعتُبرَ مُحَرَّفًا ومُبدَّلًا، ليس من كتابِ الله، ولا من شريعةِ الله"⁽¹⁾. حيثُ يُشيرُ الخطيبُ إلى أنَّ القرآنَ جاءَ جامعًا ومؤكدًا للقصاصِ التي وردت في الكتبِ السابقة، لكنَّهُ يُبرزُ تفرُّدَهُ بسردِ بعضِ القصصِ التي لم تُذكر في كتبِ الديانتين اليهوديةِ والنصرانيةِ، مثل قصةِ أصحابِ الكهفِ التي لها حضورٌ في التراثِ الدينيِّ لليهودِ والنصارى. كما يأتي القرآنُ بهذه القصصِ ليُصحَّحَ ما وردَ في التوراةِ والإنجيلِ من جهةٍ، ويتجنَّبَ أخطاءَهُما من جهةٍ أخرى. ومن الأمثلة على ما جاء به القرآنُ مُصحَّحًا لما كان قبله:

1- ورد في التوراةِ أنَّ إسحاقَ -ﷺ- هو الذبيحُ الذي ضحَّى بنفسِهِ لأبيه إبراهيمَ -ﷺ-، وذلك ما جاء عندهم بأنَّ: "إبراهيمَ أيضًا، لما امتحنه الله قدَّم إسحاقَ ابنه. فإنه إذ قيلَ وعودَ الله، قدَّم ابنه الوحيدَ ذبيحةً، 18 مع أنَّ الله قال له: (بإسحاقَ سوفَ يكونُ لك نسلٌ يحملُ اسمك!) 19 فقد آمن إبراهيمُ بأنَّ الله قادرٌ على إقامةِ إسحاقَ من الموتِ. والواقعُ أنَّ إبراهيمَ استعادَ ابنه من الموتِ، على سبيلِ المثالِ أو الرَّمزِ"⁽²⁾. لكنَّ القرآنَ يؤكِّدُ على أنَّ الذبيحَ هو إسماعيلُ -ﷺ- بقوله: ﴿فَأَمَّا

بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي آؤُا فِي الْمَنَآءِ إِنِّي أَذْهَبُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَكَابُتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي

إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ (3). وذلك لأنَّ الله قد بشره بعد هذه الحادثة بقوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ (4). في دلالةٍ على استمرارِ النَّبُوَّةِ وبركةِ نسلِ سيدنا إبراهيمَ الخليلِ -ﷺ-.

2- في قصةِ البقرةِ يتبدى وجهُ الاتفاقِ والاختلافِ بينَ ما جاء في القرآنِ وما جاء في العهدِ القديمِ، حيثُ تبدأُ أولى سماتِ الاختلافِ حولَ لونِ البقرةِ، ففي النصِّ التوراةيِّ لوئها أحمرٌ، وفي القرآنِ صفراءُ، وكذلك تتحدَّثُ القصةُ عن أنَّ ذبحَ البقرةِ كان لأجلِ أن يُضربَ جزءٌ منها قتيلاً ليدلَّ على قاتله، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَصْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُعِي اللَّهُ الْمُؤْتِقِينَ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ (5). بينما جاءت في التوراة: "قل لبني إسرائيل أن يأثوك ببقرةٍ حمراءٍ سليمةٍ خاليةٍ

1/ التفسير القرآني للقرآن، 1109/3.

2/ العهد الجديد (الإنجيل)، باب: إيمان إبراهيم والآباء، ص: 810.

3/ سورة الصافات، الآية: 102.

4/ سورة الصافات، الآية: 112.

5/ سورة البقرة، الآية: 73.

من كلِّ عيبٍ ...⁽¹⁾. وهذا يجسّد الاختلافَ الشاسعَ في المعاني والرموز بينَ الكتابين، حيثُ يُبرزُ القرآنُ جانبًا مُعجّرًا يهدفُ إلى نقلِ دروسٍ روحيةٍ وعبرٍ تتجاوزُ التفاصيلَ الظاهرةَ.

وبالنظرِ إلى التشابهِ والاختلافِ بين ما جاء ذكرُه في قصص القرآن، وبين ما ذُكرَ في التوراة والإنجيل، يتبيّنُ أنّ القرآنَ امتازَ بأسلوبه البديعِ في كلّ ما يعرضُه، وفي جميعِ سياقاتِ آياته، بحيثُ يختلفُ اختلافًا بارزًا عن جميعِ النصوصِ التوراتيةِ الأخرى، التي تبدو عليها الرّكاكةُ في ألفاظها، مع تدنّي المستوى الذي يصلُ بها إلى درجةِ الإسفافِ. وكذلك الاختلافُ في المضمون، حيثُ يصفُ القرآنُ اللهَ تعالى بما يُنزّهه عن كلّ شبيهٍ ومثيلٍ، وبما يليقُ به سبحانه، في حين أنّ التوراةَ تصفُ الرّبَّ بأنّه يأمرُ بالفحشاءِ.

وفي حقيقةِ الأمرِ أنّ ما يزعّمه بعضُ المستشرقينَ وأتباعِ الأناجيلِ، بل وبعضُ المُنتسبينَ إلى الإسلامِ من وجود تشابهٍ، إنّما مردهُ إلى بقايا الوحيِ القديمِ التي دوّنها كُتّابُ العهدِ القديمِ في عصورٍ مختلفةٍ، غيرَ أنّها اندرست تحت رُكامِ الباطلِ، وتلاشت في ثنايا موجاتِ التّحريفِ المُتكرّرةِ. أمّا القرآنُ الكريمُ فقد تكفّلَ اللهُ بحفظه من التّحريفِ والتبديلِ، ولا يزالُ هذا الحفظُ قائمًا مصداقًا لقوله -ﷻ-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾⁽²⁾. فظلَّ نصًّا خالصًا يُعبّرُ عن وحيِ

الله الخاتم للناس جميعًا.

1/ العهد القديم (التوراة)، سفر العدد، ص: 810.

2/ سورة الحجر، الآية: 9.

الخاتمة

جرت هذه الدراسة في مجال الإحياءات الواردة في القصص القرآني، والتي خطت معالمها جلة من المفكرين، فلقد كان لعبد الكريم الخطيب وفضل عباس جهوداً في هذا الجانب، وذلك بدرسيهما للإشارات المكتنزة في قصص القرآن، إذ يُعدّان من دعاة الانفتاح - المنضبط - على فهم النصوص، فهما يصنّان جُلَّ اهتمامهما في هذه الدراسات القصصية لأجل استخراج تلك الإحياءات والإيماءات واللطائف، ومما ساعدهما على ذلك الاطلاع على دراسات السابقين للقصص القرآني، وأن لكلٍ منهما تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم، وما درسوه على يد نخبة من علماء عصرهما، ممّا شكّل لديهما هذا المنحى الإشاري - بمفهومه الصحيح - للقصص القرآني، حيث سجّلا عدداً من تلك الإحياءات في درسيهما للقصص. كما أنّه من الممكن اعتبارهما من المؤسسين لهذا الدرس الإحيائي للقصص القرآني.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- 1- تأثر الخطيب في آرائه ببعض المدارس الفكرية المتأثرة بالتغريب الفكري في تقرير بعض القضايا، ممّا أدّى به إلى إنكار بعض المسلمات في الشريعة الإسلامية. ومخالفته لجمهور العلماء في بعض المسائل، وتسجيل بعض المآخذ التفسيرية عليه في تفسيره.
- 3- كان لفضل عباس عدة وقفات علمية مُتأنيّة في تحقيق عددٍ من القضايا، التي كانت مثار خلاف بين العلماء.
- 4- أنّ المخاطب بتحدّي القرآن في المراحل الثلاث - بمثل هذا القرآن، أو بعشر سورٍ مثله، أو بسورةٍ مثله - هم العرب، وجاءت المرحلة الرابعة مُتحديةً - بسورةٍ من مثله - مُخاطبةً للناس جميعاً، من عربٍ وعجم، وهذا التحدي لم يكن بالبيان وحده، بل هو تحدٍ عامٌ لكلّ المخاطبين به؛ لأنّ هذه الرسالة خاتمة الرسالات، فكذا كانت معجزةً لكلّ مخاطبٍ بتلكم الآيات.
- 5- أنّ القصة القرآنية أداة من أدوات الإقناع، وهي أفضل وسيلة له، ويتمثل ذلك في شخصياتها، وفي الحوار الذي يجري على لسان تلك الشخصيات، فقد حرص القرآن على تداخل القصة بالحكم والعبر والدروس المستفادة منها، وذلك بحسب ما دعت إليه الحاجة.
- 6- أنه يتبدى من طلب العزيز من امرأته الترفق بيوسف وحسن معاملته اتخاذه ابناً لهما؛ لعدم إيجابهما.
- 7- أنّ الهمّ الذي جاء ذكره في سياق قصة يوسف - ﷺ - إنّما كان من جهة امرأة العزيز، ولم يأت من جهة نبي الله، وأنّ ما وقع فيه الخطيب وبعض المفسرين من أنّ الهمّ قد وقع من قبل يوسف،

- يعدُّ خطأً وخرقاً للسياق القرآني والصحيح أن يوسف شهدت على براءته وعفته الآيات البيّنات، إذ هو سليل بيت النبوة، من ذلك شقُّ القميص من الدبر، وشهادة الشاهد، وغيرهما من الدلائل.
- 8- أنه بالرغم من قصر بعض القصص القرآني، حيث لا تتعدى سورة من قصاص السور، إلا أنها تُشعُّ بالهداية، وتُحقِّق مقصدها من الاعتبار بتلك الصورة المُكتنزة في الحدث المذكور بها.
- 9- أن شقاء آدم -ﷺ- في الجنة يحتمل أن يكون عامًا يُعاني منه الكيان الإنساني كُلُّه.
- 10- أن سليمان -ﷺ- كملكٍ قصرَ ملكه عن أن يمتدَّ إلى ما وصل إليه سلطان الهدد وأحاط به علمه. وأنَّ في تقديم الصدق على الكذب إشارةٌ إلى علم سليمان بصدق الهدد. وأنَّ في وصف الله تعالى لآل داود بالقلَّة إشارةٌ إلى علو مكانتهم عند مليكهم.
- 11- أن التصوير القرآني جمع بين ذكره لطلوع الشمس وغروبها عن الكهف، وذلك فيه إشارةٌ إلى حفظهم من الهلاك والتآكل؛ سلامةً لأجسادهم.
- 12- أن في تنقل الآيات بين إرادة العبد الصالح وإرادة الله إشارةٌ إلى أن مردَّ الأمور كُلِّها إلى الله تعالى، وأنه وإن كان للعبد إرادة كانت إرادة الله قائمةً على كلِّ إرادة.
- 14- أن في بحث الغراب للأرض إشارةٌ تفتح عيني القاتل على قبر يُورِي فيه جسد أخيه المُضرج بالدماء؛ لأنَّ المعروف عن الغراب أنها لا تُورِي موتاهم التراب. فهي من باب العبرة لا القصد.
- 15- أنه في تشبيه القرآن للجنة بأنها أصبحت كالصريم، مما يُعمِّق الإحساس بالمشهد، إذ تبدو وكأنَّها تحوّلت إلى ليلٍ حالِك السواد بعد أن كانت خضراء يانعةً.
- 16- أن بعض آي القرآن الكريم توحى بأنَّ تدبير الله قد يكسو في ظاهره ثوب الخوف والفقْد، لكنَّه في حقيقته رحمةٌ واصطفاءٌ ووعدٌ بالعود والأمان.

وختامًا: أسألُ الله -ﷻ- التوفيقَ والقبولَ، وأنَّ يتجاوزَ عمَّا وقع في هذا البحثِ من أخطاءٍ وزلَّاتٍ،

إذ الكمالُ لله وحده -ﷻ-.

وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا محمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

آمين آمين آمين. والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الباحث.

فهرسُ الآياتِ القرآنيّةِ

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية الكريمة	ر.ت
76	5	الفاتحة	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	-1
103	31	البقرة	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	-2
106	35	البقرة	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	-3
106	36	البقرة	﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾	-4
105،59	38	البقرة	﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾	-5
105	61	البقرة	﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾	-6
186	73	البقرة	﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ^٤ ﴾	-7
9	187	البقرة	﴿ثُمَّ أَوْتُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ^٥ ﴾	-8
159،158 160	246	البقرة	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	-9
159،158 161	247	البقرة	﴿أَلَيْسَ لِي الْمُلْكُ عَلَيْنَا ^٦ ﴾	-10
162	249	البقرة	﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾	-11
162	251	البقرة	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾	-12

160	253	البقرة	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ ﴾	-13
51	62	آل عمران	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾	-14
184	96	آل عمران	﴿ إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾	-15
67	1	النساء	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾	-16
54،42	82	النساء	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾	-17
156	11	المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ ﴾	-18
156	12	المائدة	﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	-19
74	25	المائدة	﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾	-20
157،146	28	المائدة	﴿ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ﴾	-21
157،155	30،32	المائدة	﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾	-22
155،154	31-27	المائدة	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ ﴾	-23
90-74	25	الأنعام	﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾	-24
71	38	الأنعام	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ ﴾	-25
53	124	الأنعام	﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾	-26
66	86-83	الأنعام	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ﴾	-27

68	11	الأعراف	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾	-28
60	13	الأعراف	﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنهَا ﴾	-29
107	14	الأعراف	﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾	-30
148	156	الأعراف	﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ ﴾	-31
165،163	175	الأعراف	﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا ﴾	-32
153	176	الأعراف	﴿ فَأَقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	-33
82	25	الأنفال	﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾	-34
182	48	الأنفال	﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ ﴾	-35
51	92	يونس	﴿ فَأَلَيْكُم نُنَجِّيكَ بِدِينِكَ ۚ ﴾	-36
44	1	هود	﴿ كَتَبْنَا أَحْكَامَ ءَايَاتِنَا ثُمَّ فَصَّلْنَا ﴾	-37
65	46	هود	﴿ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾	-38
53	120	هود	﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ﴾	-39
117،100	3	يوسف	﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ ﴾	-40
32	7	يوسف	﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ ﴾	-41
130،118	8	يوسف	﴿ إِذْ قَالَ الْيُوسُفُ لِأَخُوهُ ﴾	-42

130،118	11	يوسف	﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾	-43
119	12	يوسف	﴿ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدَا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ﴾	-44
119	13	يوسف	﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ﴾	-45
119،118	16	يوسف	﴿ وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾	-46
120	17	يوسف	﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾	-47
120	19	يوسف	﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾	-48
120	21	يوسف	﴿ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْجِيَهُ وَلَئِن كُنَّا لَلْغَائِبِينَ ﴾	-49
،121،89 122	23	يوسف	﴿ وَرَوَدَتْهُ الْأَيُّ ﴾	-50
125،121	24	يوسف	﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَيْءٍ ﴾	-51
127،122	25	يوسف	﴿ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ ﴾	-52
124	26 - 28	يوسف	﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾	-53
124	30	يوسف	﴿ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾	-54
128	32	يوسف	﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ ﴾	-55
124	33	يوسف	﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾	-56
125	34	يوسف	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾	-57

129،80	43	يوسف	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ ﴾	-58
146،129	44	يوسف	﴿ أَضَعَفْتُ أَحَلِيمٌ ﴾	-59
129	45	يوسف	﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ﴾	-60
،125،124 128،126	51	يوسف	﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدُّنَّ يُوسُفَ ﴾	-61
127،126	52	يوسف	﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾	-62
126،125	53	يوسف	﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ﴾	-63
129	54	يوسف	﴿ أَتُؤْتِي بِهِمْ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾	-64
128	58	يوسف	﴿ وَجَاءَ إِخْوَتُهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾	-65
130	61	يوسف	﴿ سَتَرُوهُ عَنْهُ آبَاؤُهُ وَإِنَّا لَنَجْعَلُونَ ﴾	-66
130	60	يوسف	﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِمْ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي ﴾	-67
130	77	يوسف	﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ ﴾	-68
131	76	يوسف	﴿ كَذَلِكَ كَذَّبْنَا لِيُوسُفَ ﴾	-69
131	79	يوسف	﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾	-70
131	88	يوسف	﴿ يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنَاوَاهُنَا الصُّرُ ﴾	-71
91	92	يوسف	﴿ لَا تَنْزِيبَ عَلَيْكُمْ ﴾	-72

132	100	يوسف	﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾	-73
133	101	يوسف	﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ ﴾	-74
53	102	يوسف	﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾	-75
29،31،54 153،	111	يوسف	﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾	-76
187	9	الحجر	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	-77
61،59،57	26	الحجر	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ ﴾	-78
104	28	الحجر	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ ﴾	-79
101،46	29	الحجر	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾	-80
107	36	الحجر	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾	-81
45	2	النحل	﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾	-82
71	66	النحل	﴿ وَإِنْ لَكُنَّ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ ﴾	-83
99	68	النحل	﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾	-84
176	89،90	النحل	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ ﴾	-85
162	6	الإسراء	﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾	-86
107	62	الإسراء	﴿ لَيْنَ آخِرَتِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾	-87

35	85	الإسراء	﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾	-88
35،28	88	الإسراء	﴿ قُلْ لِيْنَ أَجْتَمَعْتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾	-89
136،134	12-10	الكهف	﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾	-90
138،31	13	الكهف	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾	-91
137	16	الكهف	﴿ وَإِذِ اعْتَرَقْتُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ ﴾	-92
137،135	19-16	الكهف	﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ ﴾	-93
138،137	17	الكهف	﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾	-94
138	18	الكهف	﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتِنَا ظُحُوفاً ﴾	-95
139	22	الكهف	﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾	-96
166	32	الكهف	﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾	-97
166	34	الكهف	﴿ وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ ﴾	-98
167،166	35	الكهف	﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾	-99
167،166	36	الكهف	﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾	-100
168،167	37	الكهف	﴿ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾	-101
168،167	38	الكهف	﴿ لَنَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾	-102

169	42	الكهف	﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾	-103
169	45	الكهف	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	-104
170،169	46	الكهف	﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	-105
144،81	60	الكهف	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آتِبِحُ ﴾	-106
144،143	62	الكهف	﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنِنَا غَدَاءَنَا ﴾	-107
143	63	الكهف	﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾	-108
143	64	الكهف	﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ ﴾	-109
142	65	الكهف	﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ﴾	-110
145	66	الكهف	﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ ﴾	-111
145	71	الكهف	﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ ﴾	-112
148،146	72	الكهف	﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾	-113
147	74	الكهف	﴿ أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾	-114
148	78	الكهف	﴿ سَأَتَّبِعُكَ بِمَا أَوْيِلُّ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ ﴾	-115
150،149	79	الكهف	﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾	-116
148	80	الكهف	﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا ﴾	-117

150،149	82	الكهف	﴿ ذَٰلِكَ نَآوِئِلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾	-118
141	83	الكهف	﴿ وَتَسْتَلُونَا عَنْ ذِي الْقُرُونِ ۗ ﴾	-119
142	84	الكهف	﴿ وَءَايَاتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِّأًا ﴾	-120
142،141	86،87	الكهف	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾	-121
79،61	94	الكهف	﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾	-122
142	95	الكهف	﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾	-123
142	98	الكهف	﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ۗ ﴾	-124
37،28	109	الكهف	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي ﴾	-125
99،98	11	مريم	﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾	-126
106	2	طه	﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَىٰ ﴾	-127
73	22	طه	﴿ وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ إِيَّانَا فَاجْعَلْ يَدَكَ مَشْفًىٰ ﴾	-128
172	83	طه	﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يٰمُوسَىٰ ﴾	-129
172	87	طه	﴿ قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ﴾	-130
173،172	90	طه	﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴾	-131
173	91	طه	﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ﴾	-132

173	97	طه	﴿لَنَحْرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾	-133
106	117	طه	﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾	-134
106	118	طه	﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾	-135
105:59	120	طه	﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلَّةِ﴾	-136
106	123	طه	﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾	-137
83	78	الحج	﴿مِثْلَهُ أَيُّكُمْ أَنْزِلْنَاهُ﴾	-138
169	44	النور	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾	-139
69	- 128 130	الشعراء	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾	-140
73	7	النمل	﴿سَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ قَبِيلٍ﴾	-141
109	15	النمل	﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾	-142
109	16	النمل	﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾	-143
110	17	النمل	﴿وَحِشْرٌ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ﴾	-144
109	18	النمل	﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ﴾	-145
108	19	النمل	﴿فَنَبَسْ صَاحِبًا مِّن قَوْلِهَا﴾	-146
111	21،20	النمل	﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى﴾	-147

111,113	22	النمل	﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ ﴾	-148
111	26	النمل	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾	-149
11	27	النمل	﴿ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾	-150
112	28	النمل	﴿ أَذْهَبَ بِكَتَابِي هَذَا فَأَلْفَهُ إِلَيْهِمْ ﴾	-151
112	29	النمل	﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُؤِذِينَ أَلْقَى إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾	-152
113	31,30	النمل	﴿ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾	-153
113	- 34 44	النمل	﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾	-154
113,110	- 36 44	النمل	﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِي ﴾	-155
114	44	النمل	﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ﴾	-156
114,63	72	النمل	﴿ بَعْضُ الَّذِي سَتَعَجِلُونَ ﴾	-157
77,58	82	النمل	﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً ﴾	-158
148,99	7	القصاص	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهٗ ^ط ﴾	-160
29	11	القصاص	﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِيهٗ ﴾	-161
146	15	القصاص	﴿ فَاسْتَعْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ^ط ﴾	-162
73	32	القصاص	﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ ﴾	-163

174،173 175	76	القصاص	﴿ إِنَّ قَدْرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَعَثْنَا ﴾	-164
175،105	83-81	القصاص	﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾	-165
105	88	القصاص	﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ. ﴾	-166
127	61	العنكبوت	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	-167
178،177	14-12	لقمان	﴿ وَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾	-168
176	13	لقمان	﴿ وَهُوَ يَعِظُهُ. ﴾	-169
178	19،18	لقمان	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴾	-170
160،115	13	سبأ	﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾	-171
77	7	يس	﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ ﴾	-172
77	31	الصفات	﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾	-173
186	102	الصفات	﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي ﴾	-174
186	112	الصفات	﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	-175
115	30	ص	﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾	-176
81	34	ص	﴿ وَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ ﴾	-177
108،65	35	ص	﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾	-178

104	71	ص	﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا ﴾	-179
107	79	ص	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾	-180
92	5 - 1	فصلت	﴿ حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾	-181
70	15	فصلت	﴿ مَنْ أَشَدُّ مَنَاقِبَةً ﴾	-182
53	42	فصلت	﴿ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾	-183
99	7	الشورى	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾	-184
45،35	52	الشورى	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾	-185
36	44	الزخرف	﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾	-186
136	17	محمد	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادْنَاهُمْ هُدًى ﴾	-187
88	30	محمد	﴿ وَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾	-188
72	29	الفتح	﴿ وَمَثَلُهُ فِي الْإِنجِيلِ كَرِزٍّ أَخْرَجَ شَطْرَهُ ﴾	-189
39	37- 35	الطور	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾	-190
60	14	الرحمن	﴿ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾	-191
64	19	الرحمن	﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾	-192
64	22	الرحمن	﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ ﴾	-193

180،179	17:10	القلم	﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَالِفٍ مَّهِينٍ ﴾	-194
،181،180 182	30-19	القلم	﴿ نَطَافَ عَلَيهَا طَافٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾	-195
183	28	القلم	﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾	-196
165	11	المدثر	﴿ ذَرَفِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَجِيدًا ﴾	-197
163	16	المدثر	﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِبْنِنَا عَيْنِدًا ﴾	-198
72	13	الشمس	﴿ فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ ﴾	-199
99	5	الزلزلة	﴿ يَا نَّ رَبَّنَا أَوْحِن لَهَا ﴾	-200
184	5-1	الفيل	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾	-201
185	4-1	قريش	﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾	-202

فهرسُ الأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ

رقمُ الصَّفحة	التَّخرِج	نصُّ الحديثِ الشَّرِيف	م.ر
27	الحاكم	"وواللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً...".	-1
27	مسلم	"لقد سمعتُ قولَ الكهنةِ، فما هو بقولهم...".	-2
32	الترمذي	"كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ...".	-3
39	البخاري	"سمعت النبي - ﷺ - يقرأ في المغرب بالطور...".	-4
57	الطبري، وغيره	"مِنَ أَكْثَرِ الْمَسَاجِدِ حُرْمَةٌ...".	-5
65	البخاري	"إِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً".	-7
78	الحاكم	"يَكُونُ لِلدَّابَّةِ ثَلَاثُ خُرُجَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ...".	-8
79	التنويري، وغيره مسلم	"أَنَّ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْتَلَمَ...".	-9
79	البخاري	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَعِ".	-10
79	البخاري	"يُرْحِمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوْ كَانَ صَبْرًا يُقْصَعُ عَلَيْنَا...".	-11
80	البخاري	"كَلِّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ".	-12
80	البخاري	"إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ...".	-13
80	البخاري	"ورجلٌ طلبته امرأةٌ...".	-14
81	البخاري	"لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثْتُ يَوْسُفَ...".	-15

81	البخاري	"إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيْبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ"	-16
81،82	البخاري	"قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لِأَطْوَفَنَّ اللَّيْلَةَ"	-17
82	البخاري	"لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُلِ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ"	-18
83	أحمد	"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ"	-19
83	أحمد	"إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ التَّبِيِّينَ"	-20
84،83	ابن حبان	"وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: هُوْدٌ، وَشُعَيْبٌ، وَصَالِحٌ"	-21
84	مسلم	"بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعِ الشَّمْسِ"	-22
84	مسلم	"إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعِ الشَّمْسِ"	-23
85،84	مسلم	"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ"	-24
85	مسلم	"لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثْتُ يَوْمًا"	-25
85	مسلم	"إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ"	-26
85	أبو داود	"أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ"	-27
85	أبو داود	"أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ."	-28
86،85	الترمذي	"تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ"	-29
86	الترمذي	"شَيْبَتِي هُوْدٌ"	-30
86	الترمذي	"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قُبْضَةٍ قَبْضَهَا"	-31
86	الترمذي	"إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ"	-32

86	الترمذي	"دَعْوَةُ ذِي التُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ . . .".	-33
87	الترمذي	"لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ . . .".	-34
91	البخاري في تاريخه الكبير	"تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ هَذَا، فَإِذَا فَتَرَ فِي شَبْرِ".	-35
91	ابن كثير في البداية	"وَمَنْ أَهْلُ أُمَّيِّ بِلَادٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ؟ . . .".	-36

فهرسُ الأعلام

رقم الصفحة	اسمُ العلم	ر م
17	يوسف عبد الرزاق المشهدي: الشافعيُّ، الأزهرِيُّ، وُلِدَ ونشأَ بالمشهدِ من قُرى النَّاصرةِ بفلسطين، تحمَلَ من الأزهرِ على العالِمِيَّةِ في الفقه وأصوله، له عدَّةُ مؤلَّفاتٍ، توفي (1969م). فضل عباس، ينظر: مجلة هدي الإسلام الأردنية، المجلد: 13/1389.	-1
18	محمَّد سليمان بن أحمد سليمان الشندويلي: ولد بسوهاج، وأقام ودفنَ بالقاهرة (1403هـ-1983م)، أزهرِيُّ، مالكيُّ، من علماء القراءاتِ المغمورين، شيخُ مقارئِ مسجدِ الحسينِ بالقاهرة لقرابةِ نصفِ قرنٍ. ينظر: عمير بن محمد تيسير الجنباز، منحة الجليل في ترجمة ومآثر العلامة المقرئ المحقق: الشيخ محمد سليمان الشندويلي، ص: 3 - 5.	-2
18	مشهور الضامن بركات: وُلِدَ في مدينة (نابلس) بفلسطين، التحقَ بالأزهرِ، مؤسسُ ورئيسُ شعبةِ الإخوانِ المسلمين في نابلس، كان مفتياً لنابلس وقاضيها، ورئيساً لجمعية التضامن الخيرية بها. توفيَ بعَمَّان (1998م). ينظر: الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين في مصر.	-3
18	عبد الحلیم محمود: من مواليد الإسماعيلية، تحصَّلَ على الدكتوراه من فرنسا (1940م)، عين أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية، ثمَّ وزيراً للأوقاف، ثمَّ وكيلاً للأزهر، فشيخاً له. توفيَ بمصرَ (1398هـ). من أهمِّ مؤلفاته: التفكير الفلسفي في الإسلام. ينظر: محمد خير رمضان يوسف، تمة الأعلام للزركلي، 270، 271/1.	-4

18	5- محمد عبد الرحمن بيسار: من مواليد كفر الشيخ، تحصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة (أدنبرة)، عين أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية، ثم وكيلاً للأزهر، فوزيراً للأوقاف، توفي سنة 1402هـ، من أهم مؤلفاته: تأملات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة. ينظر: محمد خفاجي، الأزهر في ألف عام، 397/2 - 399.
18	6- محمد عبد الله دراز: وُلِدَ بمصر، تحصل على الدكتوراه من السوربون، ثم اشتغل بالتدريس بجامعة القاهرة في دار العلوم، وفي كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية، عضو كبار العلماء بمصر، توفيَ بباكستان سنة (1377هـ - 1958م). من أهم مؤلفاته: النبأ العظيم. ينظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين، 212، 213/10.
18	7- محمد البهي: ولدَ بمحافظة البحيرة بمصر، نالَ الدكتوراه في الفلسفة من جامعة (هامبورغ) بألمانيا. تولى إدارة جامعة الأزهر، وعُيِّنَ في وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر. توفيَ سنة (1403هـ - 1983م). من أهم مؤلفاته: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (جزء عم). ينظر: محمد خير يوسف، تكملة معجم المؤلفين، ص 456 - 459.
25	8- الراغب الأصفهاني - علمٌ شهيرٌ
30	9- محمد الطاهر ابن عاشور - علمٌ شهيرٌ
35	10- القاضي عبد الجبار الهمداني - علمٌ شهيرٌ
38	11- القاضي عياض - علمٌ شهيرٌ
40	12- أبو سليمان الخطابي - علمٌ شهيرٌ
43	13- ابن عطية - علمٌ مشهورٌ

44	القاضي الباقلاني - علمٌ شهيرٌ	-14
52	سيد قطب: هو سيد قطب بن إبراهيم، ولد بأسبوط، تخرج في كلية دار العلوم (بالقاهرة)، وعمل في جريدة الأهرام، وعين مدرسا للعربية، سجن، ثم صدر حكم بإعدامه، فأعدم سنة (1387هـ - 1967م)، من أهم مؤلفاته: التصوير الفني في القرآن، وفي ظلال القرآن. ينظر، الزركلي، الأعلام، 3/ 147، 148.	-15
56	ابن جرير الطبري - علمٌ شهيرٌ	-16
57	أبو جعفر الكليني: هو أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي الكليني، شيخ الشيعة، وعالم الإمامية، صاحب (التصانيف)، أبو جعفر محمد بن يعقوب، روى عنه: أحمد بن إبراهيم الصيمري، وغيره، وكان ببغداد، وتوفي بها سنة (328هـ) وقبره مشهور. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 15/ 280.	-17
58	الآوسي - علمٌ شهيرٌ	-18
58	القمي: هو أبو الحسن المحمدي، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، من مصنفي الإمامية، من أهم مؤلفاته: (التفسير) و (الناسخ والمنسوخ). ينظر: الداودي، طبقات المفسرين، 1/ 392.	-19
58	الطبرسي: هو أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، أصله من طبرس، من أهم مؤلفاته: (المقصد) في النحو، وتفسيره المشهور، وكان يشار إليه في علوم الحساب والجبر والمقابلة، توفي بقصبة السبزووار سنة (548هـ). ينظر: ابن فندمه البيهقي، تاريخ بهق، 4/ 437، 438.	-20
59	القرطبي - علمٌ شهيرٌ	-21
60	البيضاوي - علمٌ شهيرٌ	-22
61	ابن كثير - علمٌ شهيرٌ	-23

61	الحازن: هو علي بن محمد بن إبراهيم الشحي علاء الدين خازن، من أهم تصانيفه عدا تفسيره: شرح العمدة، ومقبول المنقول في عشر مجلدات جمع فيه بين مسند الشافعي وأحمد والسة والموطأ والدارقطني فصارت عشرة كتب ورتبها على الأبواب، توفي سنة 741هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 115، 116/4.	-24
64	دروزة: هو محمد عزة دروزة، ولد في نابلس، وتعلم في مدن فلسطينية ولبنان وسورية، من أهم مؤلفاته: التفسير الحديث، توفي بدمشق سنة (1404هـ - 1984 م). ينظر: محمد خير رمضان، ثمة الأعلام للزركلي، 2 / 196، 197.	-25
64	الفخر الرازي - علمٌ شهيرٌ	-26
66	رشيد رضا: هو محمد رشيد بن علي رضا القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، ولد ونشأ في القلمون بطرابلس الشام، أحد رجال الإصلاح الديني، أصدر مجلة المنار بمصر، من أهم مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم، ولم يكمله. توفي بمصر سنة (1354هـ - 1935م)، ودفن بالقاهرة. ينظر: الزركلي، الأعلام، 6/ 126.	-27
66	محمد عبده - علمٌ شهيرٌ	-28
68	شارلز داروين: ولد سنة (1809م)، باحث إنجليزي نشر كتابه أصل الأنواع سنة (1859م)، ناقش فيه نظريته في النشوء والارتقاء. ينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 225/2.	-29
70	الزمنخشري - علمٌ شهيرٌ	-30

75	الزركشي: هو بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله التركي الأصل، المصري، جمع في الأصول كتابا سماه البحر في ثلاثة أسفار وشرح علوم الحديث لابن الصلاح وجمع الجوامع للسبكي، وشرح الأربعين للنوي، من أهم تصانيفه: البرهان في علوم القرآن، توفي سنة (794هـ) بالقاهرة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 134/5، 135.	-31
77	الطبراني: هو أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ولد بطبرية بالشام، رحل في طلب الحديث، بلغ عدد شيوخه ألف شيخ، وسكن أصبهان، وبها توفي سنة (360هـ)، من أشهر مصنفاته: المعاجم الثلاثة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 407 / 2.	-32
78	الحاكم: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي الطهاني النيسابوري، الشافعي، انتقل إلى العراق، ثم طلب الحديث وغلب عليه فاشتهر به، وسمعه من جماعة يقرب من ألفي رجل، تقلد القضاء بنيسابور، وتوفي بها سنة (405هـ)، من أهم مصنفاته: (المستدرک علی الصحیحین). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 280، 281 / 4.	-33
79	البخاري - علمٌ شهيرٌ	-34
79	النوي - علمٌ شهيرٌ	-35
82	أحمد بن حنبل - علمٌ شهيرٌ	-36
83	ابن حبان: هو أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي الدارمي البستي، سمع الحديث عن كبار العلماء، وكان قاضي سمرقند، من أهم مؤلفاته: المسند الصحيح، توفي ببست بسجستان سنة (354هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 96/16 - 102.	-37

84	مسلم - علم شهير	-38
85	أبو داود - علم شهير	-39
85	الترمذي - علم شهير	-40
88	الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكثاني الليثي، البصري، المعتزلي، من أهم مؤلفاته: البيان والتبين، توفي (255هـ) بالبصرة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 470 - 474.	-41
88	أبو علي القالي: هو أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيزون القالي البغدادي، رحل إلى بغداد وكتب بها الحديث، ثم رحل إلى الأندلس فاستوطنها، وأملى كتابه الأمالي بها، من أهم كتبه: (الأمالي)، توفي بقرطبة سنة (356هـ)، ودفن بمقبرة متعة. ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص: 185 - 188.	-42
89	أبو العلاء المعري: هو أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء المعري، ولد بالمعرة، وأخذ العربية عن قوم من بلده، ثم رحل إلى طرابلس الشام، ثم استوطن مصر، من أهم مؤلفاته: اللزوميات، توفي سنة (449هـ) بمعرة النعمان من الشام. ينظر: ابن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 1/ 81 - 109	-43
89	الرافعي: هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعي، أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم سنة (1298هـ)، وكان أصمًا، من أهم مؤلفاته: (تاريخ آداب العرب)، توفي بمصر سنة (1356 هـ - 1937م). ينظر: الزركلي، الأعلام، 7/ 235.	-44

90	ابن هشام: هو أبو محمد عبد الملك بن هشام، الحميري، المعافري، وهو من مصر، وأصله من البصرة، من أهم مصنفاته: كتاب في أنساب حمير وملوكها، وكتاب السيرة النبوية، توفي بمصر سنة (218هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 177.	-45
92	ابن خلدون - علمٌ شهيرٌ	-46
94	المسعودي: هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، نزل مصر مدة، وكان أخباريا، صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون، وكان معتزليا، من أهم مؤلفاته: مروج الذهب، توفي سنة (345هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 569/15.	-47
94	إخوان الصفا: هم جماعة من الحكماء اجتمعوا وصنفوا رسائل إخوان الصفا، وألفاظ هذا الكتاب للمقدسي، وهم: أبو سليمان محمد بن معشر البستي، ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، وأبو أحمد النهرجوري، والوعقي، وزيد بن رفاعة. ينظر: ابن فندمة البيهقي، تمة صوان الحكمة، ص:5.	-48
94	جوستاف جرونباوم (1909 - 1972م) مستشرق نمساوي هاجر إلى أمريكا بعد ضم ألمانيا للنمسا، وهناك حصل على الجنسية الأمريكية وترك ديابته اليهودية إلى الكاثوليكية، وكان أستاذا لقسم الدراسات الشرقية بجامعة كاليفورنيا. ينظر: محمد إلهامي، من إعجاز الفتوحات الإسلامية: السرعة والرسوخ: 2017/6/28م. على الموقع: https://www.aljazeera.net/blogs	-49

95	وليام جيمس ديورانت: فيلسوف ومؤرخ أمريكي، تلقى تعليماً كاثوليكياً، نال الدكتوراه في الفلسفة سنة (1917م)، فأصبح أستاذاً في جامعة كولومبيا، من أشهر مؤلفاته: قصة الحضارة، توفي سنة (1981م)، ينظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الإنترنت.	-50
101	الصادق النهوم: ولد في بنغازي، رحل إلى القاهرة لمتابعة دراساته العليا، ومنها إلى هلسنكي في فنلندا لدراسة مقارنة الأديان، وأسهم في تأسيس المؤسسة العامة للصحافة في ليبيا، توفي بجنيف سنة (1415هـ - 1994م)، من أبرز كتبه: تحية طيبة وبعد . ينظر: محمد خير رمضان يوسف، تنمة الأعلام للزركلي، 235/1.	-51
105	أبو مسلم الأصفهاني: هو محمد بن بحر النحوي الأديب المفسر. ينظر: أحمد بن يحيى بن المرتضى، طبقات المعزلة، 155/1.	-52
140	الإسكندر المقدوني: قيل اسمه: فليفوس بن الإسكندر المقدوني اليوناني، وقيل: هو الإسكندر بن فليفوس المقدوني، تأدب على أرسطو طاليس، وسمي (ذو القرنين) لأنه بلغ المشرق والمغرب، وبنى سمرقند، وهرارة، والإسكندرية، مات ببابل، ودفن في تابوت ذهب بالإسكندرية، وكان ملكه أربع عشرة سنة، ولم يعقب. ينظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، 1593/4 - 1597.	-53
140	أرسطو - علمٌ مشهورٌ	-54

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.
- 1- ابن حبان، محمد بن حبان البستي (1414هـ - 1993م). صحيح ابن حبان (ط2). لبنان (تحقيق: شعيب الأرنؤوط)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
 - 2- ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (1421هـ - 2001م). مسند الإمام أحمد. (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي)، مؤسسة الرسالة.
 - 3- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (1984م). مقدمة ابن خلدون. لبنان، بيروت: دار القلم.
 - 4- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (1971م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لبنان (تحقيق: إحسان عباس)، بيروت: دار صادر.
 - 5- ابن عاشور، محمد الطاهر (1984هـ). التحرير والتنوير. تونس، الدار التونسية للنشر.
 - 6- ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن (1415هـ - 1995م). تاريخ دمشق. مصر (تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي)، القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
 - 7- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (1422هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لبنان (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد)، بيروت: دار الكتب العلمية.
 - 8- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (1399هـ - 1979م). معجم مقاييس اللغة، مصر (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، القاهرة: دار الفكر.
 - 9- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1417هـ - 1997م). البداية والنهاية. السعودية (تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر)، الجيزة: دار هجر للطباعة والنشر.
 - 10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1420هـ - 1999م). تفسير القرآن العظيم (ط2). السعودية (تحقيق: سامي بن محمد سلامة)، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
 - 11- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). لسان العرب (ط3)، لبنان، بيروت: دار صادر.

- 12- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب (1375هـ - 1955م). السيرة النبوية لابن هشام (ط3). مصر (تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي)، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- 13- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد (1985م). مغني اللبيب عن كتب الأعراب (ط6). لبنان (تحقيق: مازن المبارك - محمد علي حمد الله)، دمشق: دار الفكر.
- 14- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (1430هـ - 2009م). سنن أبي داود. لبنان (تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي)، بيروت: دار الرسالة العالمية.
- 15- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب (1412هـ). المفردات في غريب القرآن. لبنان - سوريا (تحقيق: صفوان عدنان الداودي)، دمشق - بيروت: دار القلم، الدار الشامية.
- 16- الأصفهاني، شمس الدين محمود بن عبد الرحمن (1406هـ - 1986م). بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب. السعودية (تحقيق: محمد مظهر بقا)، المدينة المنورة: دار المدني.
- 17- الألوسي، أبو المعالي محمود شكري (1422هـ - 2001م). غاية الأمان في الرد على النبهاني. السعودية (تحقيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي)، الرياض: مكتبة الرشد.
- 18- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. لبنان (تحقيق: علي عبد الباري عطية)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 19- الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب (دون). إعجاز القرآن. مصر (تحقيق: السيد أحمد صقر)، القاهرة: دار المعارف.
- 20- البخاري، محمد بن إسماعيل (1437هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. سوريا (اعتنى به وقابله: عبد الرحيم محمد يوسفان - حسنين سلمان مهدي رحمه الله - عمر النشوقاتي)، دمشق: دار عطاءات العلم.
- 21- البخاري، محمد بن إسماعيل (دون). التاريخ الكبير. السعودية (تحقيق: محمد بن صالح الدباسي)، الرياض: الناشر المتميز.

- 22- البركتي، محمد عميم الإحسان (1424هـ - 2003م). التعريفات الفقهية. لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 23- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (1417هـ - 1997م). معالم التنزيل في تفسير القرآن (ط4). السعودية (تحقيق: محمد النمر - عثمان ضميرية - سليمان الحرش)، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، موقع جمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- 24- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله (1418هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. لبنان (تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 25- البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين ابن فندمه (1425هـ). تاريخ بهق. سوريا، دمشق: دار اقرأ.
- 26- البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين ابن فندمه (دون). ثمة صوان الحكمة.
- 27- الترمذي، محمد بن عيسى (1395هـ - 1975م). سنن الترمذي (ط2). مصر (تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج4، 5))، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- 28- الجاحظ، عمرو بن بحر (1423هـ). البيان والتبيين. لبنان، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- 29- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1403هـ - 1983م). التعريفات. لبنان (تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 30- جرونيباون، جوستاف (1994م). حضارة الإسلام. مصر (ترجمة وتحقيق: عبدالعزيز توفيق جاويد - عبد الحميد العبادي)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 31- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (1411هـ - 1990م). المستدرک علی الصحیحین. لبنان (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 32- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (1995م). معجم البلدان (ط2)، لبنان، بيروت: دار صادر.
- 33- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (1414هـ - 1993م). معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب). لبنان (تحقيق: إحسان عباس)، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- 34- الخازن، علاء الدين علي بن محمد (1415هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. لبنان (تصحيح: محمد علي شاهين)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 35- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (1976م). بيان إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (16)] (ط3). مصر (تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام)، القاهرة: دار المعارف.
- 36- الخطيب، عبد الكريم يونس (1395هـ - 1975م). القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (ط3). لبنان، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.
- 37- الخطيب، عبد الكريم يونس (1964م). الإعجاز في دراسات السابقين - الكتاب الثاني، الإعجاز في مفهوم جديد. مصر، القاهرة: دار الفكر العربي.
- 38- الخطيب، عبد الكريم يونس (1974م). الإعجاز في دراسات السابقين - الكتاب الأول. مصر، القاهرة: دار الفكر العربي.
- 39- الخطيب، عبد الكريم يونس (1390هـ - 1970م). التفسير القرآني للقرآن. مصر، القاهرة: دار الفكر العربي.
- 40- الخطيب، عبد الكريم يونس (دون). القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور. لبنان، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- 41- خفاجي، محمد عبد المنعم (1407هـ - 1987م). الأزهر في ألف عام (ط2). مصر، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية - لبنان، بيروت: عالم الكتب.
- 42- الداودي، محمد بن علي (دون). طبقات المفسرين. لبنان (مراجعة: لجنة من العلماء بإشراف الناشر)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 43- دروزة، محمد عزة (دون). القرآن المجيد. لبنان، بيروت - صيدا: منشورات الكتب العصرية.
- 44- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (1405هـ - 1985م). سير أعلام النبلاء (ط3). لبنان (تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- 45- الذهبي، محمد حسين (دون). التفسير والمفسرون. مصر، القاهرة: مكتبة وهبة.

- 46- الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (1420هـ - 1999م). مختار الصحاح (ط5). لبنان (تحقيق: يوسف الشيخ محمد)، بيروت- صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية.
- 47- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (1420هـ). مفاتيح الغيب (ط3). لبنان، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 48- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (1420هـ). مفاتيح الغيب (ط3). لبنان، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 49- الرافي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق (1421هـ - 2000م). وحي القلم. لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 50- الرضوي، السيد مرتضى (1418هـ - 1998م). مع رجال الفكر في القاهرة (ط4). لندن، بيروت: الإرشاد للطباعة والنشر.
- 51- رمضان، محمد خير بن إسماعيل (1422هـ). تمة الأعلام للزركلي [وفيات (1396 - 1415 هـ) = (1976 - 1995 م) يليه المستدرك الأول والثاني] (ط2). لبنان، بيروت: دار ابن حزم.
- 52- رمضان، محمد خير بن إسماعيل يوسف (1418هـ - 1997م). تكملة معجم المؤلفين، وفيات (1397 - 1415 هـ = 1977 - 1995 م). لبنان، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.
- 53- الزبيدي، محمد بن الحسن (دون). طبقات النحويين واللغويين (ط2) (سلسلة ذخائر العرب 50). مصر (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة: دار المعارف.
- 54- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر (1376هـ - 1957م). البرهان في علوم القرآن. مصر (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- 55- الزركلي، خير الدين بن محمود (2002م). الأعلام (ط15). لبنان، بيروت: دار العلم للملايين.
- 56- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ط3). لبنان، بيروت: دار الكتاب العربي.
- 57- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود (1419هـ - 1998م). أساس البلاغة. لبنان (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، بيروت: دار الكتب العلمية.

- 58- السامرائي، فاضل صالح - النعيمي، حسام - الكبيسي، أحمد (دون). لمسات بيانية لسور القرآن الكريم - حلقات (لمسات بيانية) للسامرائي وبعض كتبه، و (الكلمة وأخواتها) لأحمد الكبيسي. جمع سمر، ويسرا الأرنؤوط، المكتبة الشاملة.
- 59- السامرائي، فاضل صالح (دون). لمسات بيانية. أعده للشاملة: أبو عبد المعز.
- 60- السفاريني، أبو العون محمد بن أحمد (1402هـ - 1982م). لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية (ط2). سوريا، دمشق: مؤسسة الخافقين ومكبتها.
- 61- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (1394هـ - 1974م). الإتيان في علوم القرآن. مصر (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 62- الشوكاني، محمد بن علي (1419هـ - 1999م). إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول. سوريا (تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية)، دمشق - كفر بطنا: دار الكتاب العربي.
- 63- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (دون). المعجم الأوسط. مصر (تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني)، القاهرة: دار الحرمين.
- 64- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (دون). المعجم الكبير (ط2). مصر (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي)، القاهرة: دار النشر: مكتبة ابن تيمية.
- 65- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (دون). تفسير مجمع البيان. إيران، طهران: المجمع العالمي لأهل البيت.
- 66- الطبري، محمد بن جرير (1420هـ - 2000م). جامع البيان في تأويل القرآن. لبنان (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- 67- الطيب، محمد سليمان (1421 - 1431هـ). موسوعة القبائل العربية - بحوث ميدانية وتاريخية (ط3). مصر، القاهرة: دار الفكر العربي.
- 68- عباس، فضل حسن - سناء فضل عباس (1436هـ - 2015م). إعجاز القرآن الكريم (ط8). الأردن، عمان: دار النفائس.

- 69- عباس، فضل حسن (1407هـ - 1987م). القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته. الأردن، عمان: دار الفرقان.
- 70- عباس، فضل حسن (1430هـ - 2010م). قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف، إرهاف حس وتهذيب نفس (ط3). الأردن، عمان: دار النفائس.
- 71- عباس، فضل حسن (1437هـ - 2016م). التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث. الأردن، عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع.
- 72- العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر (1392هـ - 1972م). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (ط2). الهند (تحقيق: محمد عبد المعيد ضان)، حيدرآباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية.
- 73- العقيلي، عمر بن أحمد (دون). بغية الطلب في تاريخ حلب. مصر (تحقيق: سهيل زكار)، القاهرة: دار الفكر.
- 74- العهد الجديد (الإنجيل)، إنجيل متى (دون).
- 75- العهد القديم (التوراة) (دون).
- 76- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر (دون). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. مصر (تحقيق: محمد علي النجار)، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- 77- القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض (دون). مشارق الأنوار على صحاح الآثار. المكتبة العتيقة، ودار التراث.
- 78- القالي، أبو علي (1398هـ - 1978م). الأماي في لغة العرب. لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 79- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (1384هـ - 1964م). الجامع لأحكام القرآن (ط2). مصر (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- 80- قطب، سيد إبراهيم حسين (1412هـ). في ظلال القرآن (ط17). مصر - لبنان، القاهرة - بيروت: دار الشروق.
- 81- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي ابن يوسف (1406هـ - 1982م). إنباه الرواة على أبناء النحاة. لبنان (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، بيروت: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية.

- 82- القلموني، محمد رشيد رضا (1990م). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 83- القمي، علي بن إبراهيم (دون). تفسير القمي. (دون).
- 84- كحالة، عمر رضا (دون). معجم المؤلفين. لبنان، بيروت: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي.
- 85- الكلبي، ابن جزري أبو القاسم محمد بن أحمد (1416هـ). التسهيل لعلوم التنزيل. لبنان (تحقيق: عبد الله الخالدي)، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- 86- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار (دون). المعجم الوسيط. مصر، القاهرة: دار الدعوة.
- 87- المدني، السيد أبو ضيف (1979م). عبدالكريم الخطيب والثقافة الإسلامية. مصر، القاهرة: دار الفكر العربي.
- 88- المرتضى، أحمد بن يحيى (1380هـ - 1961م). طبقات المعتزلة. لبنان (تحقيق: سوسنة ديفلد - فلز)، بيروت: دار مكتبة الحياة.
- 89- مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري (دون). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. لبنان، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 90- المعري، أبو العلاء (دون). اللزوميات. مصر (تحقيق: أمين عبدالعزيز الخانجي)، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- 91- الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين في مصر (دون).
- 92- النجار، عبد الوهاب (1998م). قصص الأنبياء. مصر، القاهرة: مطبعة النصر.
- 93- الندوة العالمية للشباب الإسلامي (1420هـ). الموسوعة المبسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (ط4). مصر (إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني)، القاهرة: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.
- 94- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (1392هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ط2). لبنان، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

95- نزار أباضة، ومحمد رياض المالح (1999م). إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين للزركلي). لبنان، بيروت: دار صادر.

96- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي (1414هـ - 1994م). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. مصر (تحقيق: حسام الدين القدسي)، القاهرة: مكتبة القدسي.

97- ول ديورانت، ويليام جيمس ديورانت (1408هـ - 1988م). قصة الحضارة. لبنان (تقديم: محيي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين)، بيروت: دار الجيل - تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

• المجلات والدوريات العلمية:

1- حسن، محمد جبر محمد (2014م). منهج الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره المسمى بالتفسير القرآني للقرآن الكريم عرض وقد. مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسبوط، 32، (1). جامعة الأزهر، مصر، أسبوط.

2- حوار علمي مع الأستاذ الدكتور: فضل حسن عباس، أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة اليرموك، مجلة الفرقان - 2044/16م. الأردن، عمان.

3- عودة، عبدالله عودة عبد (1436هـ - 2015م). دراسة تحليلية نقدية لكتاب: القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه للأستاذ عبد الكريم الخطيب. (تحقيق: إبراهيم داود)، مجلة تبيان للدراسات القرآنية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الرياض.

4- مجلة هدي الإسلام الأردنية، المجلد: 1389/13، الأردن، عمان.

5- مرصد تفسير للدراسات القرآنية (يوليو 2024م). التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (ت: 406هـ)، طبعاته- مصادره- ملاحظه- تصنيفه- الدراسات حوله. السعودية، الرياض.

6- مرصد تفسير للدراسات القرآنية، (أبريل 2024 م). أ. د. فضل حسن عباس (ت: 1432هـ) سيرته - جهوده في الدراسات القرآنية - الكتابات حوله. السعودية، الرياض.

الرسائل العلمية:

- 1- الناطور، دعاء أمين (2013م). منهج الدكتور فضل عباس في دراسته لمسائل علوم القرآن الكريم. رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، عمان.
- 2- العواصة، عبد الله حماد (2014م). البلاغة القرآنية عند العلامة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس وأثرها في الإعجاز والتفسير. رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، عمان.
- 3- زقوت، يوسف محمد (2024م). موقف عبد الكريم الخطيب في تفسيره من مسألة النشوء والارتقاء. بحث، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، نابلس.

المواقع الإلكترونية:

- 1- "عمير بن محمد تيسير الجنباز، مقالات في مآثر أهل العلم ذوي الكمال، منحة الجليل في ترجمة ومآثر العلامة المقرئ المحقق: الشيخ محمد سليمان الشندوبلي (1322 - 1403هـ، 1905 - 1983م). 15 مايو 2025م"، متاح عبر:

<https://mtafsir.net/threads/%D9%85%D9%86%D8%AD%D8>

- 2- محمد إلهامي، من إعجاز الفتوحات الإسلامية: السرعة والرسوخ: 2017/6/28. متاح عبر:

<https://www.aljazeera.net/blogs/2017/6/28/%D9%85%D9%86>

Stady Abstract

L'importanza di questa ricerca risiede nell'evidenziare l'approccio e il metodo adottati da Abdul Karim Al-Khatib e Fadl Abbas nello studio delle storie coraniche, che combinano autenticità e contemporaneità, nonché nel chiarire i riferimenti utilizzati nei loro studi sulle storie coraniche, illustrando il loro impatto sugli studi relativi al testo coranico e individuando i significati impliciti in alcune storie. L'importanza di questa ricerca è evidente anche nel suo argomento, ovvero il Libro di Dio - l'Altissimo.

La problematica della ricerca riguarda l'impossibilità di spiegare razionalmente l'effetto positivo delle immagini metaforiche contenute nelle suggestioni delle scene della storia coranica, il che crea un apparente contrasto tra le due cose. Come è possibile conciliare queste realtà e queste suggestioni, che si basano sulla metafora nella loro presentazione, soprattutto considerando che il testo coranico descrive scene storiche realmente accadute o che accadranno, secondo quanto riferito da Dio Onnipotente?

Tra gli obiettivi della ricerca vi è quello di: comprendere il rapporto tra l'incredibilità e le storie coraniche, dal punto di vista di alcuni studiosi contemporanei, individuare alcune suggestioni figurative in alcune storie del Corano e analizzare le deduzioni suggestive di Abd al-Karim al-Khatib e Fadl Abbas. In questa ricerca ho seguito un approccio descrittivo e comparativo nell'esposizione di alcune questioni, un approccio analitico per estrapolare i risultati più importanti e un approccio critico in alcune questioni.

Ho suddiviso la ricerca in: introduzione, prefazione, quattro capitoli e conclusione. La prefazione è intitolata: La vita scientifica di Abd al-Karim al-Khatib e Fadl Abbas. Il primo capitolo: Il rapporto tra l'incredibilità e la storia coranica secondo al-Khatib e Abbas. Il secondo capitolo: la loro autorevolezza nello studio delle storie coraniche. Il terzo capitolo: suggestioni nelle storie di alcuni profeti e popoli. Il quarto capitolo: le condizioni comportamentali e culturali.

Tra i risultati più importanti di questa ricerca vi è il fatto che Al-Khatib è stato influenzato da alcune scuole di pensiero che rientrano nell'ambito dell'occidentalizzazione intellettuale nel trattare alcune questioni, il che lo ha portato a negare alcuni principi fondamentali della legge islamica. E anche la sua contraddizione con la maggioranza degli studiosi su alcune questioni. E che la sfida del Corano è stata generale per tutti coloro a cui è rivolto, perché questo messaggio è la conclusione dei messaggi, così come è stato un miracolo per tutti coloro a cui sono rivolti quei versetti. E nonostante la brevità di alcune storie coraniche, esse risplendono di guida e raggiungono il loro scopo di riflessione attraverso l'immagine racchiusa nell'evento in esse menzionato.

Parole chiave: miracolo, storie, suggestioni, riferimenti.